

بَحْثُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ

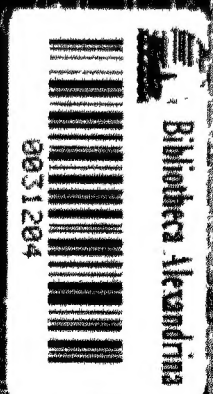
رَشْحُ الدَّاهِنِ وَالْهَاجِسِ

تَأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
النخعي القشيري

مُقدِّم
محمد مرسى المنوفي

دار الكتب العلمية



بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ، وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ
وَشُحْدُ الْذَاهِرِ وَالْخَاصِ

بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ ، وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ وَشَحَذُ الذَّاهِنِ وَالْهَاجِسِ

تَأْلِيفُ

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الأول

تصنيف

محمد مرسي البخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

باب الظنِّ والزَّكَاةِ (١)

قد تقدم في الباب الذي قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنَّ ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لامرئٍ مسلم سَمِعَ (٣) من أخيه كلمة أن (٤) يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها في شيء من الخير . مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا ينتفعُ بنفسه من لا ينتفع بظنه .

قال علي بن أبي طالب : حُسْنُ الظنِّ بالله ألا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يعوتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحَسِّنُ الظنَّ بالله » .

قال الحسنُ البصريُّ : إنَّ المؤمن إذا أحسن الظنَّ أحسن العمل .

قال أبو مسلم الخولاني : اتَّقُوا ظَنَّ المؤمن ، فإن الله جعل الحقَّ على لسانه وقلبه .

(١) الزكاة : الفهم والتفكير والظن ، أو هي ظن بمنزلة البغي .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلمًا^(١) ألا تزال مخاصماً ، وكفى بك إثماً
ألا تزال ممارياً .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى
أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين^(٢) بن علي رضي الله عنهم : المرء رائدُ الغضب ،
فأخزى^(٣) الله عقلاً يأتيك به الغضب .

قال محمد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنبتُ الشَّحْناء في
صدر الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين^(٤) : ماتقول في المرء ؟ قال : يفسد الصداقة
القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دريئة^(٥) للمغالبة ، والمغالبة
أمن^(٦) أسباب القطيعة .

قال عبد الله بن عباس لمعاوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت^(٧) أنك خاصمت^(٨)

(١) ب : ظالماً . (٢) ساقط من أ .

(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من أ .

(٥) ب : درية ، والدريئة : ما يستتر به من الصيد ليختل . (٦) أ : أمس .

(٧) أ : رغبت . (٨) أ : خصمت .

فيه أصحابي؟ قال : وما تصنع بذلك ؟ أشنب بك وتشنب بي ، فيبقى في قلبك ^(١) ما لا ينفعك ، ويبقى في قلبي ما يضرك ^(٢) .

قال إبراهيم التيمي : إياكم والمخاصمات في الدين ، فإنها تحبط الأعمال .

قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التثقل

قال الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدال ، ومنهمم العمل .

قال ابن الزناد : ما أقام الجدال شيئاً إلا كسره جدل مثله .

وقد أفردنا في كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال ، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة ، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلاف ما فيه كفاية وبيان ، والحمد لله وهو المستعان .

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : من لاحى الرجال وماراهم قلت ^(٣) كرامته ، ومن أكثر من شيء عرف به .

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصي ابنه كداما :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلِيكَ شَفِيقِ
أَمَّا الْمَرْاحَةُ وَالْمِرَاةُ فَدَعُهُمَا خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمَدْهُمَا لِمُجَاوِرِ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

(١) : ذلك

(٢) ب : ما لا يضرك .

(٣) : كثرت .

وَالْجَهْلُ يُزْرَى بِالْفَقْتِ فِي قَوْمِهِ وَعُرُوقُهُ فِي النَّاسِ أَيْ عُرُوقِ^(١)

وقال مصعب الزبيري :

أَأَقَمْتُ بَعْدَمَا وَجَعْتُ^(٢) عِظَامِي وَكَانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أُجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْخُصُومَةُ وَهِيَ لَبْسٌ تُصَرِّفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ^(٣)

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العباس النأشي :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَامِلٍ يَحْدُ الْمُحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلَيْتُهُ مَنَى السَّكُوتِ وَرُبَّمَا كَانَ السَّكُوتُ عَلَى الْجَوَابِ جَوَابًا^(٤)

(١) محاضرات الأدباء ١/ ١٣٦ ، جامع بيان العلم ٢/ ٩٩ ، عيون الأخبار ١/ ٣١٨ . حاشية البهاري ٣٨٩
ونبها : أ كدام إلى قد محضت نصحتي .

(٢) ١ : رجعت .

(٣) انظر الأبيات في معجم الشعراء ٤٠٢ ، البيان ٣/ ٣١٩ ، جامع بيان العلم ٢/ ١٠٠ .

(٤) البيتان في وفيات الأعيان ٣/ ٥٣ .

باب المراء والخصومة والملاحاة^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيمُ بيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض^(٢) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً ، ومن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ومن حسنت مخالفته للناس » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لما أُسْرِى بى كان^(٣) أول ما أمرنى به ربى أن قال : إِيَّاكَ وَعِبَادَةَ الْأَوْثَانِ ، وَشُرْبَ الْخَمْرِ ، وَمَلَاةَ الرِّجَالِ » .

قال قيسُ بنُ السَّائِبِ : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى فى الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : إذا كان لك أخ فى الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .
قال لقمانُ لابنه : يا بنى لا تُمارين حكيماً ، ولا تجادلن لجوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبن متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بنى مَنْ قَصَرَ فى الخصة خُصِمَ ، وَمَنْ بالغ فيها أُثِمَ ، فَقُلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفى الحديث المرفوع : « احذَرُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ، فَإِنَّهُ يُبَلِّغُنْ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِطَاعِ مُدَّتِهِ » .

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .
(٢) ب : ربط ، والربض من الجبل : ما بلى الأرض منه .
(٣) ساقطة من أ .

سب أعرابي أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكتَ عنه ؟ فقال : ما لي علم
بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثي :

وَأَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ نَفْسٍ وَرُبَّمَا تَذَلَّتْ فِي إِكْرَامِهَا لِنَفْسٍ
وَإِنْ رَأَيْتَنِي يَوْمًا خَسِيسٌ بِجَهْلِهِ أُنِي اللَّهُ أَنْ أَرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسٍ^(١)

وقال حسان بن ثابت :

مَا أَبَالِي أَنْتَ بِالْحُزْنِ تَبْسُ أُمِّ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثِمٍ^(٢)

وقال آخر :

وَقُلْ لِيَزِيدَ إِنْ شَتَمْتَ سَرَائِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِينَ لِلْمُشْتَمِّ
وَلَكِنَّا نَأْتِي الْجَوَابَ وَنَقْتَضِي بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ غَشَمَشَمٍ^(٣)

قال الخليل : الغششم : الجريء الماضي ، قال الشاعر :

عَبْلُ الشَّوَى غَشَمَشَمًا غَاشِمًا ،

(١) ساقط في ب ، وهما في القمد الفريد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت في ديوانه ١٠٠ ، التنبيل والمحاضرة ٦٣ ، وب التيس : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتي في الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لمعبد بن علقمة ، انظر حساسة أبي تمام ١٥٧/١ ، الأمل للقال ١١٥/١ عيون الأخبار ١/١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهر ، ونتمشى مكان تقتضى ، ومعناها . نأخذ لل سيف ونضرب به مثل العصا ، وروى : مصم ، بدل غششم ، وتجهل بدل تبطش .

(٤) عبّل الشوى : ضغم اليدين والرجلين ، والغششم : الجريء الماضي - كما ذكر الخليل ، والغاشم : الطالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وَتَبْطِشُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنْبَتُ كُلِّبًا تَمَّى أَنَّ نُسَافِهِنَا وَطَالَمَا سَافَهُونَا مُنَّمْ مَا ظَفِرُوا
قَدْ أَنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذِّكْرُ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقْرَضُ الْعُثُ مُلْسَ الْأُدْمِ

الْعُثُ : دَوَّيَّةٌ صَغِيرَةٌ لَيْسَ بِهَا قُوَّةٌ إِلَّا أَنَّهَا تَقْرَضُ كُلَّ شَيْءٍ .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمُنِي لَا أَبَا لَكُمْ دَنَسُ الشَّيَابِ كَطَابِخِ الْقِدْرِ
جَعَلُ تَعَطًى فِي غَنَائَتِهِ زَمِنُ الْمُرُوءَةِ نَاقِصُ الشُّبْرِ^(٢)

أعطى الحسن بن علي شاعراً ، فقليل له : تعطى من يقول البهتان ، ويمصي

(١) ديوانه ٢/ ٢٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثاني هذا ملق من بيتين ، والرواية في الديوان :

قد أندروا حية في رأس هضبته وقد أنتمم به الأخبار والنذر

هنالك قالوا أمام الماء حينه وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجمل : دومة مئة ، والفئانة : الإفراجات أو الفبح ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر :

القصير القصر .

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتنى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَمَا حَمَلْتُ أُمِّ امْرِئٍ فِي ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنْ الْجَانِي عَلَيْهَا هِجَايَا^(١)

وقال آخر :

اضْحَبِ الْأَخْيَارَ وَأَرْغَبْ فِيهِمْ رَبِّ مَنْ صَاحَبَتْهُ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَدَعْ النَّاسَ وَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَيْمًا كَالَّذِي يَبْدُلُ الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٢)

وقال آخر :

مَا لِي أَكْفِكُ مِنْ سَعْدٍ [وَتَشْتُمُنِي] وَلَوْ شِئِمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكْتُوا^(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(٤)

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : الحاس ، وانظر الأبيات في الأمل ٢٠٤/٢ ، لباب الآداب ٢٥ ، وفيه : إن من شاتم وغدا .. الخ .

(٣) وتشتمني ساقط من ا ، ب ، وفيه : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) في العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوك ، وقد نسب البيت في حماسة البجترى ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب العطفاني ، ونسب في العقد ١٧٨/١ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كثير :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ لعزّةٍ من أعراضنا ما استحلّت
أُميئتي بناً أو أحسنني لأمّومةٍ لديناً ولا مقليةٍ إن تقلت^(١)

وقال قيس الجنون :

حلالٌ ليليّ شتّمنا وانتقاصنا هنيئاً ومغفوراً ليليّ ذنوبها

وقال آخر :

إذا ما شئتَ سبّك غير قوم^(٢) وإن كنتَ المهذب واللّبّاباً
يهابك كلُّ ذي حسَبٍ ودينٍ وأما في التّمامِ فإنّ تهاباً

وقال آخر :

مَنْ شاتَمَ النَّاسَ رَمَوْهُ بِمَا لَمْ يَكُ يَمْتَدُّ فِي الْحِسَابِ^(٣)

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(٤)

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، التمثيل والمهاضرة ٧٢ ، السكامل ٢٣٥/١ ، هذا وينسب
البيتان أيضاً لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .
(٢) ب : مند .
(٣) نهاية الأرب ٦٨/٣ .
(٤) البيان ٣٢٩/٢ ، محاضرات الأدباء ١٨٩/١ ، نهاية الأرب ٦٨/٣ ، لباب الآداب ٣٦٠ ،
وفد سبق مع أبيات أخرى ص ٤٠١ .

وقال آخر:

وَلَسْتُ مُشَاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّي رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ
إِذَا جَعَلَ النَّاسُ أَبَاهُ نُصْبًا لَشَاتِمِهِ فَدَيْتُ أَبِي بِمَالِي

وقال آخر:

وَتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ شَتْمِ مَرْءٍ وَيُشْتَمُ الْفَقْرَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَصْبِرُ^(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ^(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرُكَ بِشَتْمٍ عَنْ أَخٍ فَهُوَ الشَّائِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
ذَلِكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهَكَ بِهِ إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ^(٣)

وقال آخر:

أَبَا حَسَنِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ شَاتِمًا لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر:

وَمَا بَقِيَ عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمَثَلِ دَفْعِكَ جُهْلًا بِجُهَالٍ

(١) ١: ويشتم عشرة بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن العذل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٢ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل

المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦١ ، فصل المقال ٩٤ .

فَأَقْعَسَ إِذَا أَحْدَبُوا وَاحْدَبَ إِذَا قَعَسُوا وَوَازَنَ الشَّرَّ مُشْقَالًا بِمُثْقَالٍ^(١)
وقال آخر:

ثَأَلَنِي عَمْرُو وَثَأَلَتْهُ فَقَدْ أَيْمَ الْمُثْلُوبُ وَالثَّالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الْعَمَّا كُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبٌ^(٢)

(١) القعس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحذب ضده ، والمتصود المزوجة بين اللبن والشدّة في معانيهم .
(٢) ثأله : لومه وعابه ، والثنا : الفحش ، والبيان لمى بن معاذ كما في البيان ١/٣٨٠ ، وأطرحهما في محاضرات الأدباء ١/١٨٧ ، وفيات الأعيان ٦/٦٧ .

بَابُ الْكِبَرِ وَالْمُجَبِّ وَالْتِيهِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عزّ وجلّ : « الكبرياءُ ردائي ، ^(١) والمظمةُ إزارى ^(٢) ، فمن نازننى ^(٣) ^(١) واحداً منهما ^(١) أدخلته النار . »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه خيلاً » ، وفي حديث آخر : « لا ينظر الله عزّ وجلّ إلى من جرّ ثوبه بطراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفَّهَ الحقّ ، ويُعمَّضَ الناسُ » .

قال محمد بن عليّ بن حسين : يا عجباً من المختال الفخور الذي خلّق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل به .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه في التيه ، فقال : يتيه ^(٣) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

(١) ساقط من ١ .

(٢) ١ : نازعنيه .

(٣) ب : تمه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلَائِكَ إِنَّ الْمَيْنَ تَثْرِيْبُ^(١)
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ^(٢) شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ^(٣)
قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ،
ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ فِي النَّيِّهِ
حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ » .

قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نطفة مَذِرَةٌ ، وآخره جيفة قَذِرَةٌ ،
وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذِرَةٌ .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نَظْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ^(٤)

(١) : الفس تخریب .

(٢) ب : الناس .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ وفيه : إن التين .. الخ .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الكامل ٢٣٦/١ .

وقال منصور الفقيه :

تَنِيَهُ وَجِسْمُكَ مِنْ نَظْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَالَمٌ لَمَّا تَعْلَمُ^(١)
وله أيضاً :

قُولُوا لِرُؤُوسِ السُّكُفِ وَالْمُنَشِّينِ مِنْ نُظْفٍ
يَا جِيْفًا مِنْ الْجِيْفِ مَا لَكُمْ وَلِلصِّلَفِ

كان يقال : لولا ثلاثُ سَلِمَ النَّاسُ : شَحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ
المرءِ بِنَفْسِهِ .

قال جعفر بن محمد : علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من^(٢) العُجْبِ ،
ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيتَ الرجلَ لجوجاً ممارياً فقد تمت خَسَارَتُهُ .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤَجِرُ عليها المبتلى بها : العُجْبُ ، والنعمة التي
لا يُحْسَدُ عليها : التواضع .

كان يقال : لا شيءٌ أَكْلَمَ للمحاسن من العُجْبِ والتهيه .

قال نصر بن أحمد :

وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ عُجْبًا بِرَأْيِهِ أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَهْمَلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٢) ساطعة من ١ .

وقال منصور الفقيه :

لَا تَحْلِفَنَّ بِدِيَارٍ فَتَحْمِلَهُ عَلَى التَّزْيِيدِ . مِمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ
وَاهْجُرُهُ اللَّهُ لَا لِلنَّاسِ مَبْتَغِيَا ثَوَابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانٍ مِنْ تَأْهَا

وقال آخر :

إِنْ عَيْسَى أَنْفُ أَنْفِهِ أَنْفُهُ ضِعْفٌ لِيُضْعِفَهُ
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالتِّيهِ قَدْ مَالَ بِعُطْفِهِ
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ جَ وَعَيْسَى مِثْلُ رَذْفِهِ

وقال ابن السَّلْمَانِي :

أَتَيْتُهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْسِيَا وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهْتُ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْتُهُ فَلَا أَذْرِي مِنَ التِّيهِ مَنْ أَنَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جِنْسِي^(١)
فَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ^(٢) فَأَلِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ^(٣)

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَلِجْ لِحَاجَاتِنَا مِنَ الْخُفْنَسَاءِ وَأَزْهِى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ^(٤)

(١) : ١ : ومن حسي .

(٢) : ١ : خالص .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢٧١/١ .

(٤) انظر البيتين في معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٣٨٧ .

ولأبي العتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَذَرْتُكَ الْكَبِيرَ لَا يَمْلِكُكَ ^(١) مِسْمُهُ فَإِنَّهُ مَلَبَسٌ نَارَعُهُ اللَّهُ
يَا بُوْسَ حَامِلِ رِجْسٍ لِنَسٍّ يَنْفُسُهُ بِالْمَاءِ عَنْهُ إِذَا كَلَمْتَهُ تَاهَا
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا وَمَنْزِلَةً إِنَّ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السَّاطَانَ وَالْجَاهَا
مُنًى ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بِسِيرَتِهِ كَذَبْتَ يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلْمُعْجِبِ لَمَّا قَالَ مِثْلِي لَا يَرَا جَعٍ
يَا قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْمَخْ رَجَلٌ لَمْ لَا تَتَوَاضَعُ ^(٤)

قال علي بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والمُعْجِب ، ولو ثَبَتُوا ولم يمجلوا
لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبي ليلى : ما رأيتُ ذَا عُجْبٍ قَطَّ إِلَّا اعْتَرَانِي بَعْضُ دَائِهِ . يريد أنه
يبعثه على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعض الحكماء : من استطاع أن يَمْنَعَ نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به
مكروه : العَجَلَة ، واللجاجة ، والتواني ، والمُعْجِب .

(١) ب : لا يملكك .

(٢) ب : مبق .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوان أبي العتاهية ، وإنما هي في ديوان أبي نواس ١٩٧ ، وفيه البيت الثاني :
يا بُوْسَ جلد على عظم مخرقة فيه الخروق إذا كلمته تاهَا .

(٤) ب : مما تواضع ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١/٣١١ .

ولإبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرٍ عرّجٍ على خطائِكَ وأقصرٍ قليلاً عن مدى غلوائِكَ
فإن كنتَ قد أوتيتَ بالأمسِ رقعةً فإن رجائي في غدٍ كرجائك^(١)

ولنصور الفقيه :

قد كنتُ أيامَ كنتُ مثلكُم أرى الهلالَ الخفيَّ بالمجلة
لو مرّ بي تائهٌ على جملٍ لم أره الآنِ قلةً^(٢) ولا مجلةً

(١) معجم الأدباء ١٧٢/١ .

(٢) ب : قلة ، عبون الأخبار ٢٧٣/١ وفيها فإن كنت قد أعطيت لي اليوم .

بابُ التَّوَاضُّعِ وَالْإِنْصَافِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله ^(١) إلَّا رفعه الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضعُوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَشَقَّة ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « لا حَسَبَ إلَّا في التواضع ، ولا نسبَ إلَّا بالتقوى ، ولا عملَ إلَّا بالنية ، ولا عبادةَ إلَّا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ دَظْمَتْ نِعْمَةُ الله عليه فليطلب ^(٢) بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديمُ حُسْنِ النية ، وعِزُّها التواضعُ في الحقِّ ، والإنصافُ في المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجة ، ومُغرَّتْها حفظُ الثواب ، في العاجلة ، والنجاةُ في العاقبة ، وحُثُّها العملُ بها ، وألَّا تُمنَعَ من مُسْتَحَقِّها ، وأن تُوقَّرَ أوعيتها لو قارها .

(١) ساقطة من أ .

(٢) ١ : فليطلب .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : ما من أحدٍ إلّا وفي عنقه حكمةٌ موكل بها مَلَكٌ ، يقول الله له : إنَّ تَوَاضَعَ عَبْدِي فَارْفَعَهُ ، وإن ارتفع فضَعَّهُ .

قال بكرُ بن عبد الله المزني : ما أرى امرءًا إلّا رأيت له الفضلَ على ، لأننى من نفسى على يقين ، وأنا من الناس على شك .

قال عبد الله بن مسعود : إن من التواضع الرضا بالذون من شَرَفَ المجلس ، وأن تُسَلِّمَ على مَنْ لَقِيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَّعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحقُّ النعمة^(١) .

كان سليمان عليه السلام يجرى إلى أوضع مجالس بنى إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهْرَانِي مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرّاحة ، وثمرَةُ التواضع المحبة .

قال لقمان لابنه : يا بني تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس .

قال أبو الدرداء : ليس الذى يقول الحق ويفعله بأفضل من الذى يسمعه^(٢) فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَكَ الشريفُ تَوَاضَعَ ، وإذا نَسَكَ الوضيعُ تَكَبَّرَ .

(١) ب : تحقّق النعمة .

(٢) ١ : يرضاه .

ولذى الرُّمَّةُ الأَسَدِيُّ :

إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَذْلُهُمْ لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبَرَّ وَأَفْضَلًا
وما الفضلُ فِي أَنْ يُؤْتِرَ^(١) المرءَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّ فَضْلَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَا^(٢)

قال سالم بن قتيبة : ما تكبر في ولايته^(٣) إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها
إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب
فيمن يبعده .

قال بُرَزَجْهَر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمد من الكبر مع الأدب
والسخاء فَأَعْظِمَ بِحَسَنَةٍ سَدَرْتِ مِنْ صَاحِبِهَا سَيِّئَتَيْنِ ، وَأَقْبَحَ بِسَبْئَةٍ غَطَّتْ مِنْ
صَاحِبِهَا حَسَنَتَيْنِ .

قال عبدُ الملك بن مروان : أفضَلُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ،
وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ .

كان يقال : من حقوق الشَّرَفِ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَتَنْصِفَ مَنْ هُوَ
مِثْلُكَ ، وَتَنْبِلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ .

قال ابن السَّمَاكِ للرَّشِيدِ : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ .

(١) : يندم .

(٢) ورد البيتان في ديوان أبي العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما في ديوان ذي الرمة .

(٣) ب : ما تكبر في ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قضى به حكماً لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ^(١)

قال مالك بن الرئيب :

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا لَ مَرْوَانَ تَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَعَادِ
فِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتَ كِبِلَادِي^(٢)

قال العباس بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقْطُرُ الدَّمَ
تَرْكَنَاهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَهَا لَدَى رَحِمٍ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَحْرَمًا^(٣)

قال الحكم بن المنذر الجارودي الإنصاف :

بَنَى عَمَّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَمَانِنَا^(٤) فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكَىً وَبَجْزَعًا
وَذُوقُوا كَمَا ذُقْنَا مِنَ الْحَرْبِ إِنَّنَا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ قَدْ تَضَعَضَعَ
وَنَادَى مَنَادٍ يَا لَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَنَادَى بَعِيدُ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا
فَمَا خَذَلْتَنَا الْأَزْدُ إِذْ دَارَتْ الرَّحَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِرًّا مُنْعَا

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ١٨/٣ ، حاسة أبي تمام ٤/٢ ، حاسة البحري ٢٨ .

(٢) سبق البيتان في ص ٢٣٨

(٣) انظر البيتين في مجموعة المعاني ٥٢ ، عيون الأخبار ٧٨/١ ، حاسة البحري ٦٠ .

(٤) ب : من طماننا .

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعًا^(١)
وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا قُلْتُ أَنْصِفْنِي وَلَا تَظْلِمْنِي رَمَى كُلِّ حَقٍّ أَدْعِيهِ بِبَاصِلِ
فَاطَلَتْهُ حَتَّى ارْعَوَى وَهُوَ كَارِهٌ وَقَدْ يَرْعَوِي ذُو الشَّعْبِ عِنْدَ التَّجَادُلِ
وَإِنَّكَ لَمْ تَعْطِفْ إِلَى الْحَقِّ ظَالِمًا^(٢) بِمَثَلِ خَصِيمٍ عَاقِلٍ مُتَجَاهِلٍ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإنفاق ، [والابتداء]^(٣) بالسلام
والإنصاف من نفسك .

وفي سماع أشهب ، قال مالك رضي الله عنه : ليس في الإنسان شيء أقل
من الإنصاف .

قال جعفر بن سعد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلاف^(٤) ،
موكل بكل شيء حتى القذاة في رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت
إلى فيك ، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخ^(٥) الكرام الْمُنْصِفِينَ وَصِلَهُمْ واقطع مودة كل من لا يُنْصِفُ

(١) ب : في حريمهم يذهبها معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط في حماسة أبي تمام ١٥١/١ ، منسوباً إلى
المثلث بن رباح بن طالم المري .

(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات في ديوانه ١٩٠ .

(٣) زيادة من ب .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : ارج ، وانظر البيت في البيان ٢١٩/٣ .

وقال أبو المتاهية :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسْأَلُ إِجَابَةً وَأَسْأَلُ سَمْعًا^(١)

وقال أبو عثمان الشريشي :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ لَمَّا تَمَنَّيْتُ بَأَنْ أُبْرَأَ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ١٩/٣ .

بابُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما تَشَاوَرَ قومٌ إلَّا هَدَاهُم الله لأرشدِ أمورهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلِكَ امرؤٌ عن مَشُورَةٍ » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشَارُ مؤْتَمِنٌ » .

قال الحسنُ : إن الله لم يأمر نبيَّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَ به أمرٌ فشاور فيه من هو دونه تَوَاضَعًا منه عَزِمَ له على الرِّشْدِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرٍك من يخاف الله عز وجل .
 قيل لرجلٍ من بني عيس . ما أكثر صوابكم ؟ قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بنُ الظَّرب^(١) : الرَّأْيُ نائمٌ والهوى يقظان ، فلذلك ينلب الهوى الرَّأْيُ .

(١) المدونى : كان من حكام العرب فى الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذى قيل فيه : إن المعاصى قرعت لى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيفه عن الصواب لسكبر سنه ، فكلّموه فى ذلك فقال : اجعلوا لى أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجاس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : بإجالة الفكرة يُستَدَّرُ الرَّأْيُ المصيب .

كان على بن أبي طالب يقول : رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُزْرَجهر : حسبُ ذا الرَّأْيِ ومن لا رأى له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرَّ حارثة بن زيد بالأخنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والعطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يُطلق ، والمُضِلُّ حتى يجد ، والراغب حتى ينفع ^(١) .

كان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزَّلَّ ، كما يتقى الورع على دينه الجرح .

قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحبُ الخلف الضيق ، وحاقلُ البول ^(٢) ، وصاحبُ المرأة السليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأى إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة .

وقال بعضهم : لا تترك الأمر مُقْبِلاً ، وتطلبه مُدْبِراً ، فإن ذلك من ضعف العقل ^(٣) وقلة الرَّأْيِ .

(١) صافط من أ .

(٢) حاقن البول : محتبسه .

(٣) أ : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخِلْ فِي رَأْيِكَ بَخِيلًا فَيَقْصُرَ فِعْلُكَ ، ولا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ
مَالًا تَخَافُ ، ولا حَرِيصًا فَيَعِدَكَ مَالًا يُرْجَى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَكْرَمُونِي وَأَتَّقُوا سِجَالًا بِهَا أَسْقَى الَّذِينَ أُسَاجِلُ
كَفَفْتُ الْأَذَى مَا عَشْتُ عَنْ حُلَمَائِهِمْ وَنَاصَلْتُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ يُنَاصِلُ
وَلَكِنَّ قَوْمِي عَزَّمُ سَفَهَاؤُهُمْ عَلَى الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ لِلرَّأْيِ حَامِلٌ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحزم : في مُشَاوَرَةِ ذَوِي الرَّأْيِ وَطَاعَتِهِمْ » .

قال المهلب : إذا كان الرأي عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخَّ ذا الرأي والنصيحة ، فإنه لا يكتفى
برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنرة^(٢) ، وقيل : إنها للعجاج الأسدي :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِمْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةٍ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِ رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ
وَأَذَنْ مِنَ الْفُرْبَى الْمُقَدَّمِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأَةً غَيْرَ كَاتِمَةٍ
وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُوْتَدَ بِقَاتِمٍ

(١) أتأقوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، ومزمم :
غابهم : وانظر الآيات في أمالي القالي ٨٣/١ .

(٢) ب : لغيره .

فإنَّكَ لَا تَسْتَطِردُ الهمَّ بالمعنى وَلَا تَبْلُغِ العُلْيَا بغيرِ المَكَارِمِ^(١)

أُشدني الأعرابي :

وَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَ مَنْ كَانَ نَاصِحًا شَفِيقًا فَأَبْصِرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ
وَلَيْسَ بِشَافِيكَ الصَّدِيقُ^(٢) وَرَأْيُهُ غَرِيبٌ وَلَا ذُو الرَّأْيِ وَالصَّدْرُ وَاعِرٌ

وقال بكر بن أذينة ،

وَلَا أَشِيرُ عَلَى مَنْ لَا يُشَاوِرُنِي إِذَا طَوَى ذَاتَ يَوْمٍ أَمْرُهُ دُونِي

قال أكرم بن صيفي : المشورة مادة الرأي .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبد ، ولا على عدو ، ولا على
متلون ، ولا على لجوج ، ولا تكوننَّ أوَّلَ مستشار ، ولا أولَ مشير ، وإياك
والرأي الفطير^(٣) ، وخف الله في المستشير ، فإن التماس موافقه لؤم ، وسوء
الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً

فإنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ تَنْدَمْ .

(١) بروي : ولا تجمل الصوري ، و... فريش الخواي تابع ، وروي : وأدن من الشوري السكوم لسه ،
ولم يؤيد مكان بوتد ، وروي : فإنك لا تستدرك الرأي بالمى .

وانظر الأبيات منسوبة لبشار في : المختار من شعر بشار ٣٠١ ، البيان والبيان ٣/٢٧٠ ، النخيل والمهاضرة
٧٤ ، - مجموعة المعاني ١٧ ، زهر الآداب ٣/٢٣٦ ، الكامل ٢/٢٨٧ .

(٢) ١ : الشقيق ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١/٣٢ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .

(٣) ١ : الفطير . والفطير : المجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَنْ اجتهد رأيه وشاور صديقه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلتْ بي قطَّ عَظيمةٌ فأبرمتُها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين ^(١) فإنَّ أُصِبتُ كان الخطُّ لي دونهم ، وإنَّ أخطأتُ لم أرجع على نفسي بلائمة .

قال بعضُ الأعراب :

خَليليَّ لَيْسَ الرَّأْيُ في صَدْرٍ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَى اليَوْمِ ما تَرَيَانِ
أَأَرْكَبُ صَعْبَ الأَمْرِ إِنَّ ذُلُولَهُ بَنَجْرَانَ لا يُقْضَى بِحِينَ أَوَانٍ ^(٢)

وأظن هذين البيتين من الأعرابي القائل :

لَقَدْ هَزَّتْ مِنِّي بَنَجْرَانَ إِذْ رَأَتْ مَقَامِي فِي الكَبَلَيْنِ أُمُّ أَبَانٍ
كَأَنَّ لَمْ تَرِ قَبْلِي أُسِيرًا مَكْبَلًا وَلَا رَجُلًا يَزِي بِهِ الرَّجَوَانِ ^(٣)
وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالتَّفَرُّدِ ، ولا يَصْلُحُ الْآخَرُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ ، الْمُلْكُ وَالرَّأْيُ ، فَإِنْ اسْتَقَامَ الْمُلْكُ بِالشَّرْكَاءِ اسْتَقَامَ الرَّأْيُ بِالاسْتِبدَادِ ، وَهَذَا لا يَكُونُ أَبَدًا .

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لعطارد بن قران أحد بني صهصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمالي ٤٤/١ ، شرح حماسة أبي تمام ٧٥/١ ، ويرى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرها الناحية ومثناها الرجوان ، والشئ الذى يلقى في هذه الناحية ثم يلقى في الناحية الأخرى شئ لا يعبأ به .

قال صالح بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لِبَيْبَا وَلَا تَعْصِهِ
وإن ناصحٌ منك يوماً دَنَا فَلَا تَنَأْ عَنْهُ وَلَا تُقْصِهِ^(١)

قال الأحنف : اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولد منه الصواب ، وتجنبوا منه
شدة الحزم ، واتهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذم العاقبة .

كان يقال : خذ الأمر مقبلاً ، فسر الرأى : الدبرى^(٢) .

قال الشاعر ، وهو القطامي :

وخيرُ الأمرِ ما استقبلتَ منه وليسَ بأنَ تَتَّبِعُهُ اتِّبَاعاً^(٣)

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمَى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقَبْلَ أَوَانِ الرَّمَى تُعْمَلُ الْكَنَانِ^(٤)

وقال الفارسي : بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

تَذَارِكُ الْأَمْرَ قَبْلَ نُهْبَتِهِ أَبْلَغُ فِيمَا تُحِبُّ مِنْ دَرَكِهِ

(١) سبق البيتان في ص ٢٧٨

(٢) الرأى الدبرى : الذى يسبق بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى .

(٣) ديوانه ٤٠ .

(٤) التمهيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعضُ الحكماء : حقيق أن يُوكَّل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبد الملك : اللحن هُجْنَةٌ^(١) الشريف ، والمُعْجَب آفةُ الرأى .

قال قتيبة بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفيا ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزْرَجهر : أفرَّه الدَّواب لا غنى به عن السَّوط ، وأعفَّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأَن أُخْطِئَ وقد استشرتُ أحبَّ إلىَّ من أن أصيب من غير مشورة .

قال قتيبة بن مُسلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب .

قال المأمون : ثلاثٌ لا يعدم المرء الرشده فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداواةُ حاسد ، والتَّحَبُّبُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه يستشيرُ في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلا .

كان يقال : ما من قوم تماثلوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تَبَّرَ الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم وَلَّوا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأي ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً .

قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إذا الأمر أشكل إنفاذه ولم تر منه سبيلاً فسيحاً
فشاور بأمرك في ستره أخاك اللبيب المحب النصيحاً
فربتما فرج^(١) الناصحون وأبدوا من الرأي رأياً صحيحاً
ولا يلبث المستشير الرجال إذا هو شاور أن يستريحاً^(٢)

وقال آخر :

إن اللبيب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً^(٣)
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يعتسف الأمور مخاطراً^(٤)

وقال آخر :

وعاجز الرأي مضياح لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدر^(٥)

وقال آخر :

أنتم أناس عظام لا حلوم لكم لا تعلمون أجاء الرشد أم غاباً

(١) : كفف .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب للنائل .

(٣) زيادة من ب .

(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ٩١/١ .

(٥) مجموعة المعاني ٢٥ ، العقد ٧٥/١ ، البيان ٢٩١/٢ ، من غير نسبة ، واسب إلى يحيى بن زباد في معجم الشعراء ٤٩٨ .

لَا تَبْصُرُونَ وَجُوهَ الرَّأْيِ مُقْبِلَةً وَتَبْصُرُونَ إِذَا وَلَيْنَ أَذْنَابًا^(١)

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحده ، إلا رجل واحد مفتون ، يخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجل فاك يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسق مائث ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة .
يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْ مَا تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَعِدُّ^(٢)

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العبدي الأعرابي^(٣) .

إِذَا هَمَّ أَلْقَى يَنِينَ عَيْنِيهِ عَزَمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(٤)
سئل الحسن البصري ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستضيئوا
نار المشركين » . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

(١) البيتان في عيون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) ديوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من ب .

(٤) مجموعة المعاني ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبي تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالي

الغالي ٢/١٧٥ ، ونسبت في الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمر بن تميم .

بابُ كتمانِ السِّرِّ وإفشائه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَسَرَّ إِلَى أَخِيهِ سِرًّا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْشِيَهُ عَلَيْهِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرَّض نفسه للثَّمة فلا يلوهُنَّ من أساء الظنَّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما : يا بُنَيَّ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْنِيكَ — يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ — فَاحْفَظْ عَنِّي أَلَامًا : لَا تَفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عَنْهُ أَحَدًا ، وَلَا يَطْلَعَنَّ مِنْكَ عَلَى كَيْدَبَةٍ .

قال أكرمُ بن صفيي : إِنْ سَرَّكَ مِنْ دَمِكَ ، فَانْظُرْ أَيْنَ تُرِيقُهُ .

كان يقال : احفظوا أسرارَكم كما تحفظون أبصارَكم .

وكان يقال : أَكْثَرُ مَا يَنْبَغُ بِهِ الْإِدْبَارُ الْكُتْمَانُ .

قال فَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ الزَّلَادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينَ
وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُمُ الْأَسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُ
يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا اسْتَمْنَتْهُ مَكَانُ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ مَكِينُ

إذا جَاوَزَ الْإِنْسَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ^(١) بنشرٍ وإفشاء الحديث قين^(٢)
وفي مثل هذا : إن السرَّ لا يسمَّى سرًّا حتى يُسرَّه رجلٌ [واحد]^(٣) إلى
رجل آخر .

قال الصِّلَتَانِ الْعَبْدَى :

وسرُّك ما كانَ عِنْدَ امْرِئٍ وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفي^(٤)

وقال سابق :

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كُلُّ سِرٍّ إذا ما جَاوَزَ الْإِنْسَيْنِ فَاشِي^(٥)

وقال آخر :

إِكْلُ امْرِئٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو طَبِيعَةٌ وتفضيلُ ما بين الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ
فَلَا يَسْتَعْمَنُ سِرِّي وَسِرُّكَ ثَالِثٌ أَلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٌ^(٦)
وَكَيْفَ يُشِيعُ الْقَلْبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حجابٌ وما فوق الحجابِ الْأَضَالِعُ^(٧)

(١) يروى : بمضون ، ويمكنون ، والعشير بدل الحليل ، وما صنفته مكان اثمه . ومقر بدل مكان ،
وكنين بدل مكين ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

النلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .

والأبيات في الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو في ذيل الديوان ص ٨٢ ، وانظرها في الأمل للقال ١٧٧/٢ ،
٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ٢٤٥/١ ، والبيت الأخير في حماسة البحتري
٢٢٦ ، والكامل ١٧/٢ ، وقد نسب فيه إلى جميل الدنرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت في عيون الأخبار ٣٩/١ ، حماسة أبي تمام ٥٢/٢ ، لباب الآداب
٢٤٠ ، حماسة البحتري ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأنشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ١ : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد سبت الأبيات في الكامل ١٦/٢ إلى جميل الدنرى ، ونسبت في معجم الشعراء
٣٢٥ إلى قيس بن حذافية الخزاعي ، وفي حماسة أبي تمام ٢٢٦/١ سماعة قيس بن مقلة الخزاعي .

وذهبت طائفة إلى أن السرَّ ما أسررتَه في نفسك ، ولم تبدِه إلى أحد .
قال عمرو بن العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنّي كنت به
أصيق صدرأ حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه فَعِدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ^(١)

وأنشد الأصمعي قال : أنشدني أعرابي :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُبْثِّهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْتُلْنِي غَمًّا
وإنَّ سَخِيفَ الرَّأْيِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ حَرِيْبًا بِكُتْمَانٍ كَأَنَّ بِهِ مِحْيًى
وَفِي بَثِّكَ الْأَسْرَارَ لِلْقَلْبِ رَاحَةٌ وَتَكْشِفُ بِالْإِفْشَاءِ عَنْ قَلْبِكَ الْهَمَّا^(٢)
وقال سُهَيْمُ الْفَقْعَسِيُّ :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَذِيْعُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وإنَّ ضَعِيفَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ^(٣)

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشِيَنَّ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

(١) الكامل ١٦/٢ ، العقد الفريد ٧٧/١ ، لباب الآداب ٧٤٠ ، المستطرف ٢٤٥/١ .

(٢) معاضرات الأدباء ٦٠/١ ، مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٤٩/١ .

(٣) يروى : لكس أتعها ، ولا أنرك الأسرار ، ويروى : وإن أحق الناس بالسخط لأمروء . انظر

الكامل ١٨/٢ ، حباسة أبي تمام ٣٧١/٢ ، المستطرف ٢٤٦/١ .

فإني رأيتُ غَوَاةَ الرِّجَالِ لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا سَحِيحًا^(١)

وقال رجل من بني سعد :

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ عَنْ حَدِيثِ
إِذَا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي
وَأَنَّى حِينَ أَسْأَلُ حَمَلَ سِرِّي
وَلَسْتُ مَحْدَثًا سِرِّي خَلِيلًا
وَأَطْوَى السَّرِّ دُونَ النَّاسِ إِنِّي
لَمَّا اسْتَوْدِعْتُ مِنْ سِرِّكَ تَوْمًا^(٢)

وقال المتنبي :

رِصَاكَ رِصَايَ^(٣) الَّذِي أُورِثُ
كَفَّتِكَ الْمُرُوءَةَ مَا تَتَّقِي
وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ^(٤)
وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ
وَأَمْنَكَ الْوُدَّ مَا تَعْذَرُ
إِذَا انْتَشَرَ السَّرُّ لَا يَنْشُرُ^(٥)

وقال حارثة بن بدر القداني :

خَلِيلِيَّ لَوْلَا حُبُّ زَيْنَبٍ لَمْ أَسَلْ
أَفِي الْيَوْمِ لَقِيتُ الْمَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

(١) انظر البيهقي في مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ٧٦/١ ، الكامل ١٥/٢ ، حسانة البحتري ١٠٦ .

(٢) ١ : سري .

(٣) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، ولسبه فيه إلى رجل من عبد شمس بن سعد .

(٤) ١ : رصائي .

(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أُنشِرَ السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبي العتاهية . ووردت في

ديوانه ٩١ .

خَلِيلِيَّ إِنِّ أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُمَا فَلَا تَجْمَلَا سِرِّي حَدِيثًا مُبَدَّدًا
فَإِنْ أَتَمَّا أَفْشَيْتُمَاهُ فَلَا رَأَتْ عَيُونُكُمَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَمَّدًا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَمِيرُوكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ^(١)

وقال ابن ميادة واسمه الرماح :

يَا خَلِيلِي هَجَرًا كَيْ تَرَوْحَا^(٢) هِجْمًا لِلرَّوَّاحِ قَلْبًا قَرِيحًا
إِنْ تَرَوْحَا^(٣) لَتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى تَجِدَانِي بِسِرِّ سُعْدَى شَجِيحًا
إِنَّ سُعْدَى كَمْنِيَّةِ الْمُتَمَنَّى جَمَعَتْ عَفْةً وَوَجْهًا صَبِيحًا
كَلْتَنِي وَذَاكَ مَا نَلْتُ مِنْهَا إِنَّ سُعْدَى تَرَى الْكَلَامَ رَاجِحًا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر^(٤) ؟ قال : أجدد المُنْخِير . وأحلف
للمُسْتَنْخِير .

أُسر رجل إلى رجلٍ سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال : (٤) لا . بل (٤) نسيت .
قال أبو محجن الثقفي :

قَدْ أَرَكَبُ الْهُوْلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ^(٥)

(١) عيون الأخبار ١/ ٤٠ ، لباب الاداب ٢٤٢ . حساسة البجترى ٢٢٤ .

(٢) ١ : هجراني خروجاً .

(٣) ب : روجا .

(٤) ساقطة من ا .

(٥) ساقط من م ، وهو في ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت فيه : وقد أجود وما مالى بنى فتح ، والتمن :
الفضل ، وفي العقد ١/ ٧٨ : قد أظعن الطمنة النجلاء عن عرس ، وانظروا في عيون الأخبار ١/ ٣٨ .

وقال مسكين الدرامي :

وَإِنِّي أَمْرُوؤٌ مِّنِي الْحَيَاءُ الَّذِي تَرَى
أَوْاخِي رِجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جِئْتُهَا
يَظْلُونَ شَقَى فِي الْبِلَادِ وَسِرَّهُمْ
أَعِيشُ بِأَخْلَاقٍ قَلِيلٍ خِدَائُهَا
إِلَى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرَّجَالَ انْصِدَّاعُهَا^(١)

وقال آخر :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانٍ مَا اشْتَمَلْتُ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَائِرَهُ^(٢)
مِنِّي الضَّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ^(٣)

قال أبو الشَّيْص :

صَنَعَ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ
وَلَكِنَّهَا قَلْبُ امْرِئٍ ذِي حَفِظَةٍ
يَمُوتُ وَمَا مَاتَ كَرَائِمُ فِعْلِهِ
صَلُودٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
يَرَى ضَيْعَةً^(٤) الْأَسْرَارِ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ
فَيَبْلَى وَمَا يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النساء على سركم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَخَتَمِ الصَّعِيفَةِ بِالْخَاتَمِ

(١) الأبيات في مجموعة المعاني ٧١ ، الأمالي ١٧٦/٢ ، الحماسة ٤٧٣/١ ، وفيها البيت الثاني :
وفتيان صدق .

(٢) ب : ضائره .

(٣) لباب الآداب ٢٤١

(٤) ١ : شعبة ،

هَوَتْ بِي فِي حُبِّهَا نَظْرَةً هَوَىَّ الْفَرَّاشَةَ فِي الْجَاهِمِ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَكُ لَيْلِي حَمَلْتَنِي أَمَانَةً فَلَا وَأَبَى لَيْلِي إِذَا لَا أَخُونَهَا

حَفِظْتُ لَهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ إِلَّا الْأَمِينُهَا^(٢)

كان يقال : كل شيء تكتمه عن عدوك ، فلا تُظهِر عليه صديقك .

وقال آخر :

إِذَا كَتَمَ الصَّدِيقُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضْلُ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ^(٣)

وقال آخر :

وَأَبْثْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَاحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

وَلَا بَدَّ مَنْ شَكُونِي إِلَى ذِي حَفِيزَةٍ إِذَا جَعَلْتُ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطْلُعُ^(٤)

وقال أبو الشَّيْخِ :

لَا تَأْمَنْ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَى الْقَرَّاطِيسِ^(٥)

وقال ابن وكيع :

إِذَا كُنْتَ ذَا سِرٍّ تَخَافُ مِنَ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ ظُهُورًا فَاطْوِهِ دُونَ ذِي الْوُدِّ

(١) ١ : للجاحم .

(٢) عيون الأخبار ٤٢/١ ، الأمل للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) البيان ٣٨٠/٣ .

(٤) انظر البيهقي في معاضرات الأدباء ٤٥/٢ ، البيان والتبيين ٣٨٠/٣ ، من غير نسبة ، ومما لبشار بن

برد ، كما في المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) عيون الأخبار ٤٢/١ ، شرح المختار من شعر بشار ١٥٧ .

فِيَا رَبِّ خِلْ حَالَ عَمَّا عَهْدَتُهُ فظل لما قد كنت أودعته يُبْدِي

وقال شبيب بن البرصاء :

وَإِنِّي لَا كُفِّنُ السِّرَّ عِنْدِي وَإِنِ اتَى لذلك من عمْد الأمانة حين^(١)

كُمُونِ النَّوَى لَا يَشْعُرُ النَّاسُ أَنَّهُ ثوى في رفات الأرض وهو دفين

وقال آخر :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وتبغى لسرك من يكتم

وَكَمَا نَكَ السِّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ ومن لا تخوفه أحزم^(٢)

وقال آخر :

أَدَارِي خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بُوْدُهُ وأمنحه ودى إذا يتعجب

وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ ولا أنا مبدى سره حين أغضب

ومما أشده الرياشى رحمه الله :

بَدِيئُهُ قَبْلَ تَدْيِيرِهِ متى رُميته فهو مستجمع

وَفِي كَفِّهِ لِلْمَنَى مَطْلَبُ وللسر في صدره موضع^(٣)

(١) : ١ بين .

(٢) البيتان للحسين بن على بن أحمد النقيي ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٣٠ ، وانظرهما في لباب الآداب

٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمي ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديته مثل تدبيره .

بَابُ الْحَرْبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَمْنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهم فَانْبِئْتُوا » .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كتابه إلى خالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة . أخذته الشاعر فقال :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(١)
ومن هذا قول الخنساء :

نَهَيْتُ النَفُوسَ وَهَوْنَ النُّفُوسِ سِ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا^(٢)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض بني عباس : كم كنتم في يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر ففتوا كل ونفشل ، ولم تقل فنذل . قال : فبم كنتم تظهرون على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبر بعد الناس هنية .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بني ! لا تدعون أحداً إلى البراز ، فإنه بغي^(٣) ، ولا يدعوك أحد إليه إلا أجبتة .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

(١) نسب البيت إلى حسانة ابن تمام ٦٨/١ إلى الحسين بن حمام المري ، ونسبه في الأغانى مرة إلى الحسين ٢٦٧/١٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ٢٨١/١٢ ، ونسب في عيون الأخبار ١٢٥/١ إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحاشية للرزوقي ١٣٥/١ ، محاضرات الأدباء ١٤٥/١ ، عيون الأخبار ١٢٥/١ .

(٣) ب : نبي ، وما أثبتناه موافقاً لرواية القند ، وببديها فيه : والباغي منصروع .

النهار . قال : فمضى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أو قام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره ١١ والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد ثمومه بعدى ^(١) ، أو أحدثته بعدكم ، ولقد استعملت يُعَلَى بن أمية على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق ^(٢) ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثر فتوا كل ^(٣) فنفسل ، ولم تقل فنذل .
لم يكن قبيل في العرب ^(٤) ألف فارس ^(٥) إلا ثلاث قبائل : مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

^(٦) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمر بن معة كرب ^(٧) : أخبرني عن السلاح . قال : سل عما شئت . قال : الرمح ، قال : أخوك وربما خانك ^(٨) .
قال : التنبل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب . قال : الترس ، قال : ذلك المجن وعليه تدور الدوائر . قال : الدرع ، قال : مشغلة ^(٩) للرجال متعبة للفراس ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمك على الشكل . قال : عمر : بل أمك .
قال : أخبرني عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهي كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتيّة ^(١٠) تسمى بزيتها لكل جهول

(١) ب : أجمتموه .

(٢) الفروق : موضع بديار بى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذبيان . وفى المقد ١١٨/١ ، كننا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) فى المقد : وربما خانك فاقصف .

(٥) فى المقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاوراة فى عيون الأخبار ١٢٩/١ وفى المقد ١١٨/١ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصراع الأول فى النهاية ٤١٢/٣ . وضبط فتيّة بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حَتَّى إِذَا اشْتَمَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خُلِيلٍ
شَمَطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ^(١) مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ^(٢)

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تُلقَح بالعجوى ، وتُنتَج بالشكوى . أخذ نصر بن
ميسار^(٣) قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال :

وإن الحرب أولها الكلام

وهي أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُودِنِ تُذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَّمَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَظُ أَمِيَّةً أَمْ نِيَامُ^(٤)

بلغ أبا الأغر^(٥) أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر^(٦) ، وقال له :
يا بني كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتق
الرمح ، فإنه رسالة المنيّة ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ،
قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

(١) : تكهرت .

(٢) : العقد ١/١٠٩ ، وفي هامشه أنها نسبت لامرئ القيس في العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة
الجاهليين ، وانظرها في الشعر والشعراء ٣٣٣ ، عيون الأخبار ١/٢٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .

(٣) : سنن .

(٤) : العقد الفريد ١/١١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٣٢٧ ، عيون الأخبار ١/٢٢٨ ، ونسبها لأعرابي يدعى أبا مهيم
في محاضرات الأدباء ٢/٧٥ .

(٥) : ب : الفر ، والمصحح ما أثبتناه كما في العقد وغيره .

(٦) : ب : الآخر .

جَلَامِيدُ أُمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رءوس رجالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّي تُمَيِّزُ بِالْعَمَامِ لُؤْمَهَا وَكَيْفُ يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَى الْعَمَامِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا ضَرَبْنَاكُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإِنْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّءُوسَ فَإِنَّا حَلَقْنَا رءوساً بِاللَّحَى وَالْغَلَاصِمِ
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَمَعِنَدَنَا سِلَاحٌ لَنَا^(١) لَا يُشْتَرَى بِالْذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ أُمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رءوسُ رجالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول نهشل بن حرّى بن ضمرة :

ويومٍ كأنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قِيَامٌ عَلَى الْجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَقْضَى وَإِنَّمَا تَفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ^(٣)

ومثله قول الآخر :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ مُوقِنًا مُطِلاً كَأَطْلَالِ السَّحَابِ إِذَا اكْتَهَرَ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَدًا حَسَنُ الشَّاءِ^(٤) لِمَنْ صَبَرَ
فَا أُخِّرَ الإِحْجَامُ يَوْمًا مُقَدِّمًا وَلَا عَجَلَ الإِقْدَامُ مَا أُخِّرَ الْقَدَرُ

(١) ساقطة من ١ .

(٢) الأبيات لجريز ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ١٢/٣ ، العقد الفريد ٢١٣/١ ، معاضرات الأدباء ٧١/٢ ، الكامل ٣٤٤/١ ، ونسبت في ذيل الأمل ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوي وانظر البيت الأخير في عيون الأخبار ١٣١/١ وفيها : يعلّان بد أملاء .

(٣) يروى : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين في شرح الحماسة للمرزوقي ٣٦٣/١ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، العقد ١٢٥/١ ، الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات في عيون الأخبار ١٣٥/١ .

ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب^(١) ، قول قطري بن الفجاءة
التميمي الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن تُراعى
فإنك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تُطاعى
فصبراً في مجال الموتِ صبراً فما نيلُ الخلودِ بمُسْتَطاع
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ فيطوى عن أخى الخنوعِ اليراع
سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ حيٍّ وداعيه لأهل الأرضِ داعي
ومن لم يُمتبِطْ يهرمَ ويسقمُ وتُسلمُه المنونُ إلى انقطاع^(٢)
وقال أصرم بن حميد :

حرّامٌ على أرمحينّا طعنٌ مُدبِرٍ ويندقُّ قُدماً في الصدورِ صدورها
مسلمةٌ أعجازُ خيلٍ في الوغى وداميةٌ لبّاتها ونحورها^(٣)

وقول الآخر :

وقد يلتقي الجمعانِ والموتُ فيهما فيقتل من ولّى ويسلم من نبت
وقد ذكرتُ في « باب الاعتذار » أحسن ما قيل في النظم ، في الاعتذار
من الفرار .

(١) ب : في التحريض على القتال .

(٢) الخنوع : النذل والخصوع ، واليراع : القصبه الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجنان ، ويمشط : يمت شاباً
من غير علة ، والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ٩٦/١ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر
ونيات الأختين ٢/٢٥٣ ، لباب الآداب ٢:٢٤ ، عيون الأخبار ١/٢٠٦ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروى : وتفرق منها بدل يندق قدنا ، ويروى صدر البيت الثاني : محرمة أكفال خبلى على القنا ،
والبيتان في العقد الفريد ١/١٠٧ ، وقد نسب في مجموع المعاني ٣٧ إلى أبي تمام .

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللقاء والصدق في ذلك ،
قول عبد الشارق بن عبد العزى الجهني :

تَنَادَوْا يَا لَ بُهْثَةٍ يَوْمَ صَبْرٍ^(١) فَقُلْنَا : أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَ
سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرٍ غَيْبٍ فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْضْنَا لِلْكَلاَكلِ فَارْتَمَيْنَا^(٢)
وَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
تَلَأَلُوْا مُزَانَةً بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا جَاءُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا^(٣)
شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فَتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا
وَكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتِيَانِ زَيْنَا
فَأَبَوْا بِالرِّمَاحِ مُكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَدَيْنَا
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحُ وَلَوْخَفْتُ لَنَا أَنْ كَلَمْتِي سَرَيْنَا^(٤)

(١) في ا ، م : يا لهيبة قوم صبر ، وفي حماسة أبي تمام : يا لهيبة إذ رأونا ، ورواية حماسة البحري :
يا لهيبة إذ لقونا ، فقالوا أحسن .

(٢) ب : فارقيننا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجعنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان ، ورواية حماسة
أبي تمام لهذه الشطرة : إذا حجلوا بأسياف ردينا ، فالججلان : تقارب الخطو كشي المقيد ، والرديان : مشية
فوق الحجلان ، وقتلت قينا : أي فارسهم المدعو قين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الفيظ وحزاة لهم .
والسكلى : الجرحى . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة
البحري ٦١ إلى سلامة بن الحجاج .

وقال المديّل^(١) المجلى :

إذا ما حملنا حملةً ثَبَتُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تَقْرَى السَّوَاعِدَ مِنْ مُبْعَدٍ
وإنْ نحنُ نازلناهمُ بصوارمٍ رَدَوْا فِي سَرَائِلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزِدِي^(٢)
وقال آخر :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بَخَطُونًا قُدُماً وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ^(٣)
وقال آخر :

إِنَّ الرِّمَاحَ نَصِيرَةٌ بِالْجَالِسِ

وقال آخر :

وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا هُوَ عَامِرٌ فَلَا تَرْهَبِيهِ وَانْظُرِي أَيْنَ يَرْكَبُ^(٤)
قال قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ :

لَا يَرْكَبَنَّ أَحَدٌ إِلَى الْإِحْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنِّ يَمِينِي مَرَّةً وَأُمَامِي
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي أَحْنَاءَ سَرْجِي بِلِ عِنَانٍ لِحَايِي

(١) ب : المذيل ، وهو نحرير ، فهو المديّل بن الفرخ المجلى ، شاعر إسلامي أموي يلقب بالعباب من رهد أبي النجم المجلى ، انظر حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٢) في الحماسة ، مثلوا بدل ثَبَتُوا ، وتذرى مكان تَقْرَى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا في سرايل الخ : هروا لولا إيانا كما نهروا لإيهم . وانظر البيتين في حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٣) نسب البيت في حماسة أبي تمام ١٠٦/١ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب في الأغاني ٣٠/١٥ ، الشعر والشعراء ٣٤٢ ، السكامل ٦٨/١ إلى كعب بن مالك الأنصاري ، وانظره في البيان ٢٣/٢ من غير نسبة .

(٤) البيت لسكركز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البحتري ١٢ ، والرواية هناك : وانظري أى مركب .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جدع البصيرة قارح الإقدام^(١)

قال عمر بن الخطاب : الجرأة والعجز غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالعجزان يفر عن أهله وولده ، والجرىء يقاتل عن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبي يثوب الخريمي :

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عَرْسِ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ^(٢)

وقال قطري بن الفجاءة :

يَا رَبُّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَحْتَلِدُ
وَرَبُّ بَوْمٍ حَمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي افْتِسَارًا وَأُحَارِفُ الْقَنَا قِصْدُ
وَيَوْمَ لَمْ يَلَهُ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءَ الْوَعْيِ أَوْ نَارُهُ تَقْدُ
مُشَهَّرًا مَوْفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ مُطْرِدُ
وَرَبُّ هَاجِرَةٍ تَعْلَى مَرَاجِلُهَا مَخْرُتُهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ
تَجْتَابُ أودية الأفراع آمنة كَانَهَا أَسَدٌ يَقْتَادُهَا أَسَدُ
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَنْفِي لَا أُمْتُ كَمَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصُرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ^(٣)

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التي يتعلم عليها الطعن : والأحناء : الجوانف ، ويروى بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فني الاستبصار ، أي وأنا على بصيرتي الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه في الجرأة . والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٠ ، والحماسة طبعة بيروت ١/٤٤ ، الأمل للقال ٢/١٩٠ .

(٢) في عيون الأخبار ١/١٧٢ : عن أم رأسه ، وفي العقد الفريد ١/١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفي مناقشات الأدباء ١/١٣١ ، ٥٧/٢ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجدد : تتقاتل ، والعقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو متكسرة من الطعان ، مخرتها : قطعنها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخذ : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أي حسب . والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأمل ١/٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ تَمَنُّ يَلَاقِي الْحُرُوبَ بِالْأَلَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا^(١)

وقال حبيب الطائي :

وَدَنُونًا وَدَنُونًا حَتَّى إِذَا أَمَكْنَ الضَّرْبُ فَمِنْ شَاءَ ضَرَبُ
تَرَكَوا الْقَاعَ لَنَا إِذْ كَرِهُوا . غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَاخْتَارُوا الْهَرَبَ^(٢)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، ويقال : إنها لَعَمْرُو بْنِ مَعْدَى كَرِبَ :

أَعَاذَلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي رُكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى سُلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَبْلُ التَّجَادِ^(٣)

وقال آخر :

قَوْمٌ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا جَعَلُوا الْقُلُوبَ لَهَا مَسَالِكَ
الْأَلْبِيسِ——يُنْ قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدَّرُوعِ لَدَفْعٍ^(٤) ذَلِكَ^(٥)

ومن أحسن ما قيل في صفة^(٦) الطعن ، قول الحارث بن حِلْزَةَ :

فَرَدَدْنَاَهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَنْخُ رُبُّجٌ مِنْ جَرِيَةِ الدَّزَادِ الْمَاءِ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ وَمَا إِنَّ لِلْخَائِنِينَ ذِمَامَ

(١) الديوان ١٤٦ .

(٢) الديوان ٢١١ .

(٣) ب : سل عظمي . والبيتان في عيون الأخبار ١/١٣٣ ، المقرر القريب ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : لجابتي الصريخ ، وانظر البيت الأول في معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ١ : لوقع .

(٥) البيتان في أمالي القالي ١/٦٥ .

(٦) ب : صغره .

وقال الفندُ الزُّمَانِي (١) :

وطعنِ كَفْمِ الزَّقِّ غَذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ

وقال آخر :

وَمِثْلِكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمُوحَ فِيهِ فَآبَ بِدَائِهِ وَشَفِيتُ دَائِي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء (٢) :

وَقَالُوا : فَارِسُ الْهَيْجَاءِ ، قُلْنَا : كَذَاكَ الرُّمُوحُ يَكْلَفُ بِالْكَرِيمِ

وقال آخر :

ضَمَمْتُ إِلَيْهِ بِالْقَنَاءِ قَمِيصَهُ نَحَرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ (٣)

وقال عنتره :

فَشَكَّكَتُ بِالرُّمُوحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمَحْرَمِ (٤)

وقال آخر :

صَرَاعِنَا طَرِيفًا بِأَرْمَاحِنَا وَلَا تَأْكُلِ الْحَرْبُ إِلَّا السَّمِينَا

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي ، كان سيد بكر بن وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبها بفند الجبل أي القطعة منه ، مات نحو سنة ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى في حماسة أبي تمام ١/١٦ ، حماسة البجري ٧٥ وفيها : «وهي» مكان غذا ، والأما إلى لقائي ١/٢٦٠ . والزق : وعاء الحمر ، وغذا : سال .

(٢) في الحماسة أن فائته هي بنت فروة بن مسعود من شعر فائته في رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابني مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرئ القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسة أبي تمام ١/٢٧١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكدم ، الكامل ٢/١٧١ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال علي بن محمد^(١) العلوي ، المعروف بالمُبرقع^(٢) ، صاحب الزنج :

يَنْتَنِي الصَّارِمُ الْمُهَنْدُ وَالرُّمُ سِحُّ الرُّدَيْنِي وَالشُّجَاعُ الْجَرِي
حَيْثُ لَا أَنْتَنِي وَلَا يَتَلَنِّي بِيَدِي صَارِمٌ وَلَا سَمَهَرِي
مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى مَشْرِفِيًّا مَاضِيًّا^(٣) فِي يَمِينِهِ مَشْرِفِي
شَأْنِي الْفَارِسُ الْمَدَجِّجُ فِي النَّقَّةِ عِذَا نَازَلَ الْكَمِي الْكَمِي
وَرَأَيْتُ الْفَضَاءَ أَضْيَقَ مَا يُسَدُّ مَيَّ بِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَطْوِي
يَا ابْنَةَ الْعَمِّ أَوْ قَدَى أَنْارٍ فِي اللَّيْلِ لِي فَإِنِّي لِكُلِّ آتٍ أَتِي^(٤)
أَكْرِمُ الضَّيْفَ مَا اسْتَطَعْتُ لِأَنِّي مَطْعَمِي حَاضِرٌ وَكَأْسِي رَوِي
كَيْفَ لَا تُرْهَقُ النُّفُوسُ لِشَخْصِي حِينَ أَغْشَى الْوُغَى^(٥) وَجَدِّي عَلِي
ذُو الثَّقَى وَالنُّبَلِ وَذُو الْعِلْمِ وَالْحِلْدِ مِـ وَمِنْ خَيْرِ طِينَةِ وَالْوَصِي
وَالَّذِي قَالَ إِنَّهُ الْبَوْمَ مِنِّي مِثْلُ هَارُونَ مِنْ أَخِيهِ النَّبِيِّ

وقال عبيدة بن هلال :

يَهْوِي وَتَرْفَعُهُ الرَّمَاحُ كَأَنَّهُ سِلَاحٌ تَنْشَبُ فِي مَخَالِبِ ضَارٍ

(١) في ١ : علي بن أحمد وهو خطأ ، فهو علي بن محمد الوزني العلوي ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي ، طهر في أيام المهدي بالله العباسي سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها ، حتى بلغ جيشه ٣٠ ألف مقاتل ، وهجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله في أيام المعتمد سنة ٢٧٠ هـ أن يقتله . انظر الطبري ١١/١٧٤ ، الأعلام ٥/١٤٠ .

(٢) زيادة في فقط ، وليس هذا لقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ١ : آتٍ أبي .

(٥) ساقطة من ب .

فُيرى صَرِيحاً وَالرَّماحُ تنوُّشُهُ إن السَّرَّاةَ قصيرة الأعمارِ
وقال مهلهل :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وأخو الحَرْبِ مَنْ أَطاقَ النَّزُولَ^(١)
وقال^(٢) ابن مقروم^(٢) الضبي :

ودَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نازِلٍ وَعَلَّامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وقال أعشى همدان :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَالِكَةَ أَنَّ الْكَتائبَ لَا يَهْزَمَنَّ بِالْكَتُبِ
إِنَّ الْوَعِيدَ بظهِرِ الْغَيْبِ مَعْجَزَةٌ فَإِنْ أُرِدْتَ قِتَالَ الْقَوْمِ فَاقْتَرِبِ
من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ^(٣)
وقال آخر :

وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
من كَانَ يَهْوَى أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ^(٤)

(١) ب : النزلا ، والبيت في عاضرات الأدباء ٥٧/٢ .

(٢) ساقط من ا ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبي ، شاعر منضم شهيد القادسية وجولاء أيام عمر ، ويعد من شعراء مضر المجيدين . والبيت في عيون الأخبار ١٢٦/١ ، حماسة أبي تمام ٢٣/١ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١٦٩/١ ، عيون الأخبار ١٨٣/١ وفيه : من كان ينوى أهله...

قال السمّوع بن عادياہ اليهودی :

يَقْرُبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(١)

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَيْسَى أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

وقد تُدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَاطِلُ^(٢)

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خُرَيْم :

إِنَّ لِلْفَتَنِ مَيْلًا يَبْنِي فُرُودَ الْمَيْلِ مِنْهَا يَمْتَدِلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَأَقِمَّ^(٣) وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَاعْتَزِلْ

إِنَّمَا يُسْعِرُهَا جَهَالُهَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَعِلُ^(٤)

وقال آخر :

أَضْحَتْ تَشَجُّعِي هَنْدٌ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ^(٥)

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَّوْا

(١) حاشية أبي تمام ٢٨/١ ، البيان ٢٨١/٣ .

(٢) عيون الأخبار ١٦٥/١ .

(٣) ب : فَأَتَمُّ .

(٤) الأبيات في العقد الفريد ١٦٧/١ ، نهاية الأرب ٧١/٣ ، عيون الأخبار ١٦٣/١ ، وفيها كلها : ميطا بدل

مبل وما بمعنى ، وفي العقد فاتحز بدل أم ، وفي عيون الأخبار فَأَتَمُّ ، وهي موافقة للنسخة ب .

(٥) ساقط من ١ . وفي العيون فقلت لها لأن الشجاعة ، وفيها : إلى حوبائها بدل نيرانها .

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أُبْنَىٰ فَعَالَهُمْ
لَا الْقَتْلَ يَعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ^(١)
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْفِرْدَوْسَ جَنَّةً^(٢) مَا يَشْتَهَى الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَرْبُ^(٣)

وقال أبو النعمان المدني كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِي لِسَانُ الْعَارِ وَالْعَذْلِ
إِنِّي بَخَلْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا
هِيَهَاتَ تَبَاقَىٰ لِي التَّغْرِيرَ فَلَسَفَةٌ
مَتَى رَأَيْتَ شَجَاعًا مَاتَ بِالْأَجَلِ
كَأَنَّ أَجَالَ شُجْعَانَ الْوَرَى خُلِقَتْ^(٤)
فَلَسْتُ آأَنَفُ مِنْ جُبْنٍ وَلَا فَشَلٍ
وَلَسْتُ بِالْمَالِ أَفْدِيهَا مِنَ الْبَخْلِ
تَرَى حُضُورَ الْوَعَى مِنْ أَكْثَرِ الزَّلَلِ
وَنَالَ مِنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدَى الْأَمَلِ
فِي أَنْفُسِ الْبَيْضِ وَالْحَطَاطَةِ الذُّبُلِ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنِّي أَضِنُّ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا
مَا أَبْعَدَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِ الْعِجَابِ وَمَا
وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ السَّرَفِ
أَحْلَهُ بِالْفَقَى الْعَامِي عَنِ الشَّرَفِ^(٦)

وقال أيمن بن خُريم :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ وَقَدْ رَأَى
تَقَدَّمَ حِينَ جَدُّ بَنَى الْمِرَاسُ

(١) ب : لا الجند يعجبني منها ولا الالع .

(٢) في المقد : لا والذي منع الأبصار رؤيته ، وفي العميون : لا والذي حجت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبي النعمان محمد بن أبي حمزة الطوسي ، انظرها في عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد ١/١٦٦ ، مجموعة المعاني ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) المحاسن والمساوي ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إني بغلت .. الخ .

فألى إن أطمعتك غير نفسى ومالى غير هذا الرأسِ رأس^(١)

وقال الهذلى يصف جباناً :

تَحُولُ قُشَعْرِيرَاتُهُ^(٢) دُونَ لَوْنِهِ فرائضه من خيفة الموتِ ترعد^(٣)

وقال آخر :

وَكَيْتِبَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي
فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُّ الرِّمَاحَ ظُهُورَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُنْجَدِلٍ وَآخَرَ مُسْنَدٍ
مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ - وَقَتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ - لَا تَبْعَدِ^(٤)

ورويانا أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خريم إلى القتال بمرج راهط، فقال له :
إن أبى وعمى شهداء بدر، وعهدا إلى ألا أقاتل مسلماً، ثم أنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِقَاتِلٍ رَجُلًا يَحْمِلُ عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِيْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفِهِ وَطَيْشٍ
أَقْتُلُ مُسَلِّمًا فِي غَيْرِ جُرْئِمٍ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا عَشْتُ عَيْشِي^(٥)

(١) فى الكامل أنهما لحبيب بن الملهب بن أبى صفرة ، وقيل لهما للأعور الشئى ، وقد وردا فى حماسة أبى تمام ٣٦٥/٢ بغير نسبة ، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآنى ، ومن حياة مكان غير نفسى ، وفى عاصمات الأدباء ٧٩/٢ : بغير نصح . وفى مجموعة المائى ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشع برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى ، ديوان الهذليين ٣١٨/٢ .

(٤) يروى : من بين منعقر الجبين ومسند ، ومن بين مقتول ، ويروى : هل كان بدل ما كانى ، وحنى ينفعنى أن يقول نساؤهم ... إلخ . ومعنى نفضت لها يدي أى أعرضت عنها ، ونقص : تكسر ، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمي (حيان بن الحكم) كما فى حماسة أبى تمام ٦٥/١ ، عيون الأخبار ١٠٤/١ ، وانظرها أيضاً فى حماسة العنترى ٥٠ ، العقد الفريد ١٦٤/١ ، محاصرات الأدباء ٧٩/٢ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأعين بن حُرَيْم مع عبد الملك بن مروان .

ولأبي النعمان كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكَرِّ بالكِرَارِ ولا عَلَى الطَّعْمَانِ بالصَّبَّارِ
هانت عَلَى سَبَلَاتِ العَارِ وما أَبَالَى قبلوا اعْتِدَارِي
أَوْ وَسَمُونِي سِمَةَ الْغَدَارِ^(١) أنا طليق الرِّكْضِ والْفِرَارِ
فَدَيْتُ نَفْسِي مِنْهُ بِالْإِضْمَارِ فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى إِحْضَارِي^(٢)
لَا أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ خَلَّتْنِي عَجَلَانِ ذَا انْشِمَارِ^(٣)
طَرَفًا^(٤) نَجَا مِنْ وَخْزَةِ الْبَيْطَارِ أَحْكِمَ مِنْهُ الصَّنْعُ فِي الْمِضْمَارِ
أَوْ عَدَوٌ غَيْرِ غَيْرِ مَا عِثَارِ أَوْ كَنْجَاءِ النَّقِيقِ الطِّيَّارِ^(٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير
عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عليّ وأنا حيّ ، أحب إليّ من أن يرضى عني
وأنا ميت .

وأسلم بن زُرعة هذا هو القائل^(٦) ، وقد عبأ جيشاً عظيماً ليفزع به الخوارج ،

(١) ب : الفرار . (٢) ب : لإحصار .

(٣) ب : لإنسار . (٤) ب : طرباً .

(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالفتح ، وهو السب والشتم ، والإضمام : إعطاء الفرس
القوت بعد السمن لتهزل وتستطيع دخول السباق . والإحصار : ارتفاع الفرس في العدو ، وانشمر : مر جاداً في
عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معاليج الدواب ، والمضمار : موضع إضمام الخيل ، والنقيق :
الطليم ، أو النافر أو الخفيف .

(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفرغوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمت^(١) خارا لله لنا ولكم ، ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم — وكانوا أربعين — وأسلم بن زُرعة في ألفين :

أَلَّفَا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ رَجَالُ أَرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكُمْ كَذَاكُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِتَّةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِتَّةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُّونَا^(٢)

وجه أبو جعفر المنصور ، رُوِّحَ بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقيه أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت فأبليت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ، قال : هات ، فأنشأ يقول :

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحٍ أَنْ يَقْرَبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَشْقَى بِي^(٣) بَنُو أَسَدٍ
إِنْ الدُّنُوْءُ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَعَلَّمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٤)
قال : فضحك وأمر له بجائزة .

وقال أبو الفدر :

ظَلَّتْ تُشَجِّمُنِي صَلًّا بِتَضْلِيلِ^(٥) وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ

(١) ساطعة من أ .

(٢) الأبيات لعيسى بن فانك الخطمي ، أحد بني تميم الله بن ثعلبة ، كما في السكامل ١٨٥/٢ ، وفي المقفد الفريد ١٧٣/١ ورد البيت الأول : أَلَّفَا . مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١٦٣/١ وفيها : بأسك أربعونا .

(٣) ب : فيسفو إلى .

(٤) البيتان في نهاية الأرب ٤٣/٤ ، وفيه : فتخزي بني بنو أسد ، وانظر معهم الأدباء ١٦٧/١١ :

(٥) ب : خلا بتضليل تهريب ، وضلا بتضليل دعاء عليها بالضلال .

هل غير أن عدلوني أني فشيل
الحرب تعقب من يصلي بها حزنا^(١)
والله لو أن جبريلاً تكفل لي
الله خلصني منهم وفلسفتي
وله أيضاً:

لست بدام الحرب بوقاف
قد أمن الله عدوي فإ
إذا رأيت الحرب من فرسخ
ولا على القرن بمطاف
يخاف أزمأحي وأسيفي
خذرفت أرجلي أي خذراف^(٢)

(١) ب : جريا .

(٢) ١ : آمال .

(٣) الحسن والسوى ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

(٤) الحفوف : السريم الجري ، وانظر الأبيات في الحسن والسوى ١١٠/٢ ،

باب الاعتذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيَّ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَلْيَسْتَبَلْ عَذْرَهُ ، مَا لَمْ يَعْلَمْ كَذِبَهُ » .

قال عمرُ بنُ الخطاب : لَا تَلْمُ أَخَاكَ عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ .

قال الأحنفُ : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ قَلِمَا اعْتَذَرَ أَحَدٌ فَسَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو أنَّ رجلاً شتمني في أذني هذه ، واعتذر إلي في أذني هذه لقبلت عذره .

ومن النظم في معناه :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَا إِلَيْكَ فُلَانٌ وَقُعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيِّمِ عَارٌ
قُلْتُ : قَدْ جَاءَنَا فَأُحْدِثْ عُذْرًا دِيَّةً . الذَّنْبُ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ، فَتَلَقَّهِ بِالْبِشْرِ .

اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لَا يَذْعُونَكَ أَمْرٌ قَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ إِلَى الدُّخُولِ فِيمَا لَعَلَّكَ لَا تَتَخَلَّصُ مِنْهُ .

قال صالح بن أبي النجم :

وَلَرُبَّمَا جَاءَ الْفَتَى بِدِيَّةٍ وَوَرَاءَهَا عُذْرُهُ لَهُ لَمْ يُفْهَمِ .

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد بمطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أُخْبِرُهُمْ
بِالْعُذْرِ مِنِّي فِيهِ لَمْ يَلُومُونِي

قال البحترى :

اقبل معاذير مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
إن برَّ عندك فيما قال أو فجرا
وقد أجلك من يعصيك مستترا^(١)

وله أيضا :

إذا محاسني اللاتي أدل بهن
عدت ذنوبي فقل لي كيف أعْتَذِرُهُ^(٢)

وقال محمود بن داود القياسي :

العذر يلحقه التخويف^(٣) والكذب
فإن أسأت فبالنعمى التي سلفت
وليس في غير ما يرضيك لي أرب
لما منيت بعفو ماله سبب

وقال أبو علي البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ
قَدْ تَطَرَّفَ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا
جَنَيْتُ ذَنْبًا فَقَيْرُ مُعْتَمِدٍ
فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنْ الرَّشِيدِ^(٤)

(١) البيتان في ديوانه ١/٥٨ .

(٢) ديوانه ١/٦٣ .

(٣) ب : الصريف .

(٤) نهاية الأرب ٢/١١٥ .

وقال علي بن الجهم :

إِنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ وَالِإِعْتِذَارِ خَطَّةٌ صَعِبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّطَهَا الْحُرُّ وَلَكِنْ سَوَابِقُ الْأَفْدَارِ
أَرْضَ لِلْسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا رِفَ ذَنْبًا مِثْلَهُ الْإِعْتِذَارِ^(١)

وقال آخر :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تُرَى لِي زَلَّةٌ وَلَكِنْ قِضَاءُ اللَّهِ مَا عَنَّهُ
إِذَا عَتَذَرَ الْجَانِي مَحَا الْعُذْرُ ذَنْبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يَقْبَلُ الْعُذْرَ مُذْ
كَانَ يُقَالُ : مَنْ وَفَّقَ لِحَسَنِ الْإِعْتِذَارِ خَرَجَ مِنَ الذَّنْبِ .

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب^(٢) ، فأساء الاعتذار
أبو عبيد الله : ما رأيت اعتذاراً أشبه باستئفاف ذنبٍ من هذا .

وللشافعي رضي الله عنه ، وقد قيل : إنَّما تمثَّل بها :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفْرَقَنِي عَلَى الْمُقِلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْمَالِ
إِنْ عَتَذَرِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمَالِ

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ٢٨٧/١ ، وفيه : إن بين السؤال ٥٠٠ الخ .

(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ١٤٣/٢ .

(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدي ، كان أُوحد الناس في عصره حقاً وخبرة
مات سنة ٨١٧ ، انظر تاريخ بغداد ١٣/١٩٧ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنشد للفراء من قوله :

أردتُ لكَيْمًا لا تُرى لى عَمْرَةً وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ^(١)

وقال محمود الوراق :

أراني إذا ما زِدْتُ مالا ورفعة وخيرا إلى خيرٍ تَزِيدْتُ في الشرِّ
فكيف بشكر الله إذ كنتُ إنما أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر
بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقولُ الذى يدري من الأمر : ما أدري؟
إذا كان وجهُ العذرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطرَاحَ العذرِ خيرٌ من العذرِ^(٢)
قال أبو بكر الصولى ، أخبرنى أبو بكر بن عبدالله ، قال : سألنى أبو سليمان
الشَّاشَى حاجة فاعتذرت بشغل فى تأخيرها ، فكتب إلى :

سَكَنْتُ نَفْسِي لَمَّا أَلَيْفَ حَبْلِي بِحَبَالِكَ
إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْ جَا هَكَ نَفْعًا لَا بِعَالِكَ
لَا تَصِيرَ شُغْلَكَ الْيَوْمَ مَ اعْتِذَارًا لِاطْلَابِكَ^(٣)
لو تَفَرَّغْتَ مِنَ الشُّغْلِ لِي اسْتَوَيْنَا فِي الْمَسَالِكِ^(٤)

وهذا عندى مأخوذ من قول أبي العتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلِ عَازِرٌ لَكَ عِنْدِي إِنَّمَا تُرْتَجَى إِذَا كَانَ شُغْلُ^(٥)

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العكلى ، انظر أمالى القالى ٤٣/٢ .

(٢) الكامل ٣٣٨/١ ، زهر الآداب ٩٠/١ ، محاضرات الأدباء ١١٦/١ ، نهاية الأرب ٨٥/٣ .

(٣) ب . لا تصير ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٦٦/١ .

(٥) ديوانه ٢١٦ .

وقال آخر :

ولا تعتذرْ بالشُّغلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عَنَّا بِشَيْءٍ وَلَيْتَهُ كَمَا لَمْ يُصَغَّرْ عِندَنَا شَأْنُكَ الْعَزْلُ^(١)

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي لئن رحلتُ إِلَى الْحَجَّاجِ مُعْتَذِرًا
أَنَّ انْطِلَاقِي إِلَى الْحَجَّاجِ تَغْرِيرُ^(٢) إِنِّي لِأَحَقُّ مِنْ تَجَرِّي بِهِ الْعِيرُ^(٣)

وقال آخر :

لَا تَرْجُ تَوْبَةً مُذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَاجًا^(٤) بِاعْتِذَارِ

وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

بِنَفْسِي وَمَالِي مِنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَعْضُ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِّ وَلَمْ يَزَلْ بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ^(٥)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي^(٦) فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مِنْ مُسِيءٍ وَيُعْذَرُ^(٧)

(١) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبي علي البصير ، وانظرهما في زهر الآداب ٢٥٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقبيل الفيني ، كما في المؤلف والمختلف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكتثوم بن عمرو العنابي كما في الكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره في المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٢ ، البيان ٢١٥/١ ، حسنة أبي تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلاني .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ ،

وقال آخر :

وما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عذر^(١)

وقال آخر :

هي المقادير فلمنى أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر^(٢)

وقال آخر :

وعاجز الرأى مضياح لفرصته حتى إذا فات أمره عاتب القدر^(٣)

وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقادير قد جرت وما العار إلا ما تجر المقادير^(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يسبق للقلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .

قال محمود الوراق :

أراني مع الأحياء حيا وأكثري على الدهر ميت قد تخونته^(٥) الدهر
فلم يمت^(٦) مني لما مات ميت وبعض لبعض قبل قبر البلى قبر
فيا رب قد أحسنت بدءا وعودة إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر

(١) حماسه أبى تمام ١٥/٢ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المعاني ١٣ ، ٢٦ .

(٢) البيت من مزدوجة أبى المتاهية ، انظر ديوانه ٢٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، معجم الأدباء ١٢٧/٧ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٣) العقد ١/ ٧٥ ، البيان والتبيين ٣٩١/٢ ، معجم الشعراء ١٩٨ .

(٤) الأمالي ٣١/١ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٥) : تخوفه .

(٦) : يهب .

وفي الأشعار في الاعتذار من الفرار

قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام
الخنزومي :

اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرِ مُزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يُحْزِنُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعَقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ^(١)
وقال خلف الأحمر : أحسن ما قيل في الاعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبي
وهب الخنزومي :

لَعَمْرُكَ ما وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَسَكُنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِيْفِي غِنَاءَ إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا نَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خَفْتُ ضَيْعَةً مَوْفِي رَجَعْتُ لَعَوْدِ كَالْهَزْبِ أَيْ الشَّبْلِ^(٢)
فر ابن مطيع^(٣) يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل
يحتهد معه في القتال ، ويقول :

(١) يروي : علوا فرسي ، ولا يضرر عدوي ، ويوم مرصد أبي معلوم . وانظر الأبيات في حماسة أبي
تمام ٦٤/١ ، عيون الأخبار ١٦٩/١ ، حماسة البجتي ٥٠ .

(٢) يروي : خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفي ، ويروي البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجِدْ لي مقدما صدحت كضرام هزبر أبي الشبل

انظر حماسة البجتي ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٧٨/٢ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبي القرشي ، كان على قریش يوم الحرة (حرة واقم ، انظر في
خبرها : معجم البلدان المجلد الثاني ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم
يزل معه حتى قتل سنة ٥٧٣هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٣٦/٦ . وتروى الشطرة الأخيرة
فيما يلي : لا بأس بالكرة بعد القرّة ، وانظر البيت في العقد ١٧٥/١٧٥ ، وحماسة البجتي ٥٣ ، عدا الشطرة الأخيرة .

أَنَا الَّذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَرَّةِ وَالْحُرُّ لَا يَفْرُ إِلَّا مَرَّةً
فَالْيَوْمُ أَجْزَى فَرَّةً بِكَرِّهِ يَا حَبْذَا الْكَرَّةُ بَعْدَ الْفَرَّةِ

وقال أوس بن حجر :

أَتَوْنَا فَرْدُوا حَافَتَيْنَا بِزَاعِقٍ (١) مِنَ الضَّرْبِ ضَرَمَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْيَبَسِ
وَمَا بِفَرَارِ الْيَوْمِ عَارٌّ عَلَى الْفَتَى إِذَا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ (٢)

قال الأحنف بن قيس : أَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى الْفِتْنَةِ ، أَقْلَهُمْ حَيَاءً مِنَ الْفَرَارِ .

وقال آخر (٣) :

الْعَبْدُ يَذْنِبُ وَالْمَوْلَى يُقَوِّمُهُ وَالْعَبْدُ يَجْهَلُ وَالْمَوْلَى يُعَلِّمُهُ (٤)
إِنِّي نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ وَزَلَّةُ الْمَرْءِ يَتَجَوَّهَا تَنْدُمُهُ

(١) ب : براعن ، والزاعق : الشديد الذي لا يستعمل .

(٢) نسب البيتان في شرح الحماسة للتبريزي ٢٢/٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا في العقد ١٧٢/١

لعمر بن معدى كرب ، ونسبهما في محاضرات الراغب ٧٨/٢ إلى عبد الله بن غافا .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : والموتى تعلمه .

بابُ التَّوَاعِيْدِ

أَثْنَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ ^(١) ، قَالَ كَعْبٌ : كَانَ لَا يَعِدُّ أَحَدًا إِلَّا أَنْجَزَهُ ، وَقَالَ : انْتَظِرْ رَجُلًا وَعَدَهُ سَنَةَ كَامِلَةٍ .

وَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَظَرَ رَجُلًا وَعَدَهُ فِي مَوْضِعٍ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا .

وَرَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّهُ انْتَظَرَهُ ثَلَاثًا ، وَالْمُنْتَظَرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَمَسَاءِ ^(٢) .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مَنْجُزٌ لَهُ مَا وَعَدَهُ ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَإِنْ شَاءَ عَذِبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ » ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلُهُ ^(٣) .

وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ بْنُ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيُّ : لِأَنَّ أَمُوتَ عَطَشًا أَحَبَّ إِلَى مَنْ أَنْ أَخْلَفَ مَوْعِدًا .

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : وَعْدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ ، وَعْدُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ .

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبي الحَمَسَاءِ الْهَمَزِيُّ ، لَهُ صَحْبَةٌ ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ ، وَقِيلَ مِصْرٌ . انْتَظَرَ تَرْجُمَتَهُ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ١٩٣/٥ .

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ،
ألا ترام يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفى بالضمان ، وَيَصْدُقُ في المقال ، ولولا
ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إِنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر بُحْجَه ، لم
تجَآوِبْ الأَنفسُ سُؤرها ، فدَعِ الحاجةَ تحتمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنعِ
حُسنُ موقعٍ ولطفٌ محَل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ،
لأنَّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبان سامة ، (ونعم) اللئيم تصدر
عن تصنع وفساد نية وقبح مآل .

أَنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةُ الْمُتَهَدِّدِ
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَخَلِيفُ إِيْعَادِي وَمَنْجَزُ مَوْعِدِي^(١)

وقال آخر :

لسانُكَ أَجَلِي مِنْ جَنَى النَّحْلِ وَعَدُّهُ وَكَفَّاكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضِيقُ مِنْ نَعْلِ
تُمْنِي الَّذِي يَأْتِيكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى أَمَلٍ نَاولَتْهُ طَارِفَ الْحَبْلِ^(٢)

- (١) محاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل
في العقد ٢٨٤/١ .

(٢) البيهقي لمصالح اللغوي ، انظر المستطرف ٣٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ وفيهما : أضيق من نعل .

وقال زياد الأعجم :

للهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى لو كنتَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ
لا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجُؤَا دِحْبَذًا صِدْقُ الْبَخِيلِ^(١)

وقال آخر :

وإنْ جُمِعَ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّهُ مِنَ الْبَخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(٢)
قال ابن عيينة : وعد رجلُ ابنِ شُبْرمةَ عدةَ فطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :
الْخَيْرُ أَنْفَعُهُ لِلنَّاسِ أَعْجَلُهُ وَلَيْسَ يَنْفَعُ خَيْرٌ فِيهِ تَطْوِيلُ

ومثل هذا قول سابق :

وَتَأْخِيرُ ما يُرْجَى بِلَا مُبَرَّحٍ وَأَفْضَلُ ما يُرْجَى مِنَ الْخَيْرِ عَاجِلُهُ
وقال كعبُ بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٣)

وقال الأشجعي :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرُقوبٍ أَخَاهُ يَيْتَرِبُ^(٤)
قال ابن مُنَبِّه : هكذا قرأته على البصريين ييترب^(٥) بالتاء ، وفتح الراء .

(١) عيون الأخبار ١٤٦/٣ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ٢٨٧/١ .

(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٣١ .

(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ١٤٧/٣ .
نهاية الأرب ١٢٢/٢ .

(٤) عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، فصل المقال ١٠٢ .

(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا طَلَعَ نَحْلِي ^(١) ، فلما طلع أتاها فقال له : إذا بَلَغَ ، فلما بلغ أتاها ، فقال : إذا زَهَى ^(٢) ، فلما زهى أتاها ، فقال : إذا أَرطَبَ ، فلما أَرطَبَ أتاها ، فقال : إذا تَمِرَ ، فلما تَمِرَ جَذَّه ليلاً ، ولم يُعطه شيئاً ، فضربت به العربُ المَثَلَ في خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مَكَلَّل بالسحاب أبداً ، ولا يعطر شيئاً .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : أنا والله منه في مواعيد تُهَيِّضُ العظم ^(٣) ، وخُلِفَ يذكر العدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجله ، وأنشد :

أَمَلْتُ مِنْكَ نَوَالاً لَسْتُ أَذْرِكُهُ مَتَى ^(٤) أَقُولُ الَّذِي أَمَلْتُ يَا بَنِي
أَفَى حَيَاتِي فَأَرْجُوهُ وَيَنْفَعَنِي أَمْ فِي مَمَاتِي فَإِنَّ الْمَوْتَ يُغْنِينِي ^(٥)
وقال الشاعر :

فَلَا تَعِدْ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُنْ مُخْلِفًا يَوْمًا لَمَّا تَعِدْ

(١) طالع النحل : أول ما يبدو من ثمرته .

(٢) زهى : تلون بصره .

(٣) ١ : تهبط العظم .

(٤) ١ : من أن .

(٥) محاضرات الأدباء ، ١ / ٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنّ إذا ما لم ترّدّ أن يتمّ الوعدُ فى شيءٍ نعم
وإذا قلتَ نعم فاصبر لها بنجاح الوعدِ إن الخلفَ دَمٌ^(١)

وروى لعمار السكبي، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه الله بالحقِّ وكُنْ صادقَ الوعدِ فمن يُخلفُ يَلُمُ
وقال آخر :

إذا قلتَ فى شيءٍ نعم . فأتيمه
وإلا فقلْ لا واسترخِ وأرخ بها
فإنَّ نعمَ دينٍ على الحرِّ واجبُ
لثلا يقول الناسُ إنَّكَ كاذبٌ^(٢)
وقال آخر :

إنَّ الكريمَ إذا حَبَاكَ بموعدٍ أعطاك سلساً^(٣) بنير مطالٍ^(٤)
وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

ليتَ هندا أنجزتنا ما تعدُّ وشققتَ أنفُسَنَا بما تجبُّ
واستبدتَ مرّةً واحدةً إنما العاجزُ من لا يستبِدُّ^(٥)

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً فى حماسة البعترى ٢٢٢ ، وأوردما فى العقد الفريد ٢٨٤/١ لابن أبى حازم ، وانظرهما والبيت التالى الذى نسبته المصنف لعمار السكبي فى معاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .
(٢) معاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .
(٣) ١ : أعطاك سلسلة .
(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .
(٥) سبق البيتان فى ص ٤٥٧

وقال آخر :

تَمَيَّتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ حُسْنٍ وَعَدِ كُمْ
هَبُونِي لَمْ أَسْتَأْهِلِ الْعُرْفَ مِنْكُمْ

وقال عباس بن الأحنف :

مَا ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يُخْلِلُهُ
لَوْ كَانَ عَلَّانِي بوعدي كاذب^(١)

وقال آخر :

إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ لِمَا^(٢)
يَشْنِي الصَّبَابَةَ فَلَيْسَ كُنْ وَعْدُ

وقال آخر :

فَإِنْ تَدْعِي^(٣) تَجِدَا أَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ كَانَ يَوْمُ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا
فَلَا تَعْذِلْنِي أَنْ أَقُولَ مَتَى الْوَعْدُ^(٤)

وقال محمد بن مُنَازِر :

أَنْبِلِ الْمَالَ وَلَا تَبْخُلْ بِهِ
لَا تَعِدْ شَرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلَا
فَإِذَا أَعْسَرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ
تُخْلِفِ الْوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، العقد الفريد ١/٢٨٥ ، وفيه . ماض من شغل الفؤاد . . . الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تلعني .

(٤) محاضرات الأدباء ١٦/٢ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ مِنَ الْمَدْحِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمرُ ، وأصدقهم حياءَ عثمان ، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأقرأهم أبيّ ابن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجةٍ أصدق من أبي ذرٍّ ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقتلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ دورِ الأنصارِ دورُ بني عبد الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارني ، واختار لي أصحابا وأنصارا ، وجعل لي منهم وزراء وأصهارا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نسلٍ ركبَ الإبل نساءُ قريش ، أحناهن على ولدٍ في صغره ، وأرعاهن لبعلٍ في ذات يده » .

ذكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفيا ، وعلى الكافر قسيا ، وعن اللذة سليا ، يتواضع حيث لا تؤهن نُصْرَتُهُ^(١) ، ويعلو حين

(١) ب : يؤمن بقربه .

لأشخاف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثانى اثنين إذ هما في الغار ، وثانى اثنين في العريش ، وثانى اثنين في القبر .

قال الشعبي : لما مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعَمَ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتَ يَا أَبِى ، جَوَادًا بِالْحَقِّ ، بَخِيلًا بِالْبَاطِلِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، تَغْضَبُ حِينَ الْغَضَبِ ، وَتَرْضَى حِينَ الرِّضَا ، عَفِيفَ النَّظَرِ ، غَضِيبُ الطَّرْفِ ، لَمْ تَكُنْ مَدَاحًا وَلَا شَتَامًا ، تَجُودُ بِنَفْسِكَ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَبْخُلُ بِهَا الرِّجَالُ ، صَبُورًا عَلَى الضَّرَاءِ ، مُشَارِكًا فِي النِّعَمِ ، وَلِذَلِكَ ثَقُلْتُ عَلَى أَكْتَافِ قَرِيشٍ .

ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسْكِنُهُ الْحِلْمُ ، وَيُنْطِقُهُ الْعِلْمُ .

ذكر علي بن أبي طالب عند صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ ، فقال : هو بالله عليم ، والله في عينيه عظيم .

قال معاوية ليضار الصدائى : صف لى عليًا . قال : اعفنى بأمر المؤمنين . قال : لتصفنّه . قال : أَمَا إِذْ لَا بَدَمِنْ صِفَتِهِ ، فَكَانَ وَاللّٰهُ بِعِيدِ الدِّى ، شَدِيدِ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ عَنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، وَكَانَ وَاللّٰهُ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ،

ملوئيل الفكرة ، يقلب كفه ومحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ^(١) ، لا يطعم القوى في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يحيننا إذا سألناه ، وينبثنا إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكاه لهيبته ، ولا نبتدئه لهظته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ^(٢) ، ويبكي بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! أغرّى غيري ، أليّ تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟ هيمات ، هيمات ، قد بايتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحداً في حجرها .

سئل عبد الله بن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما شئت من ضرر قاطع في العلم بكتاب الله ، والفقه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبطن في العشيرة ، والنجدة في الحرب ، والبذل للماعون .

نظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولاً ، فقال : والله لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : القيم ، والليم ، اللوغ وسمى بذلك تبعاً بشفاة .

وقف على علي قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَذَرِي إِذَا أْزَمَمْتَ أَمْرًا بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُكَ الْمَقِيلُ^(١)
ثم قال :

فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ^(٢)
وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه^(٣) :

وَلَمْ أَذَرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جِدَّ يَحْضِي
ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ لَا وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَجِيَّ بِنِ خَالِدٍ
فَقُلْتُ : شَرَاءٌ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ وَرَاثَةٌ تَوَارَثَهَا عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ^(٤)
وقال آخر :

إِنَّ لِلنَّاسِ غَايَةً فِي أَعْمَالِي وَقَفُّوا عِنْدَهَا وَأَنْتَ تَزِيدُ
قَدْ تَنَاهَيْتَ فِي الْمَكَارِمِ وَالْمَجْزِ بِدِ وَحَزَّتْ الْعُلَى فَأَيْنَ تَزِيدُ

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعاني ٦ ، حماسة البجترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفي ، في رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبي تمام ٤٠٥/١ ، أمالي الفاي ٧/٢ ، وقال في الكامل ١٣٦/١ ما نصه : يقول بعضهم : إنه للأبجد الرطاحي . وهذا وورد البيت في حماسة البجترى مرتين ٩٨ ، ٣٢ ، ونسبه في الأولى لسلمة بن يزيد ، وفي الثانية للبي بننت سلمة ترمى أخاها ، وانظره في عبون الأخبار ١٧/٢ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلي ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت في رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام في الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ١٥٨/٢ ، الحماسة ٣٣٣/١ ، وفيه : على أنه بدل لكنه ، وانظر البيت أيضاً في معجم الأدباء ٢٥٨/٣ ، زهر الآداب ١٠٨/٣ .

(٤) المستطرف ١٩٣/١ ، العقد الفرید ٣١١/١ .

ولحبيب ويروى لإسحاق الموصلي :

إِنْ يَكُنْ شَيْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
عُقِدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فَبَيَّ لَا ^(١) تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكَ

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُغَشُونَ حَتَّى تَاهَرُوا كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
يُبِضُ الْوُجُوهُ أَعْفَى أَحْسَابُهُمْ شِمُّ الْأُنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)

قال جبلة بن الأهم لحسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله لشمالك
أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أكرم من أبيه .

وقول الأبرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه ^(٣) مأخوذ من قول حسان هذا ،
وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وَأَنْتَ الَّذِي كَلَّمَا يَدِيكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
بَلَفْتَ مَدَى الْجَارِ بِنَ قَبْلِكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْجَارُونَ بَعْدُ مَدَاكَ ^(٤)
فَجَدَّاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمَ مِنْهُمَا . هَذَا تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ

(١) ساقط من ب ، وجعل الأبي تمام سكتاً في ديوانه ١١٨ : يمدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية
هناك للشطر الأول : إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقال ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الأدب
٢١٥/٤ .

(٣) ب : سكته .

(٤) ساقط من ب .

وَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ: ^(١)

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجُومٌ سَمَاءٌ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَصْنَاءُ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ

وَقَالَ طُفَيْلُ النَّغَوِيِّ:

نَجُومٌ ظَلَامٌ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ بَدَأَ سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبٌ

وَقَالَ آخَرُ:

دَرَارِي نَجُومٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَرَفَضُ ^(٢) عَنْهُ الْكَوَاكِبُ

وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ يَمْدَحُ بَنِي خُبَيْرٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ بْنِ حَارِثَةَ:

بَقِيَّةُ أَقْوَامٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَيْتَ لَظَلَّتْ مَعْدُهُ فِي الْمَلَا ^(٣) تَتَسَكَّعُ
إِذَا قَمَرُهُ مِنْهَا تَغَوَّرَ أَوْ كَبَا بَدَأَ قَمَرُهُ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

وَمَدَحُ بَعْضِ بَنِي صَمْرُو إِخْوَتِهِ فَقَالَ ^(٤):

خَبَرٌ ثَنَاءٌ بَنِي صَمْرُو فَإِنَّهُمْ أُولُو فَضُولٍ وَأَنْفَالٍ ^(٥) وَأَخْطَارِ

(١) الصحيح أن الأبيات لأبي الطمجان القيني (حنظلة بن المرقى)، انظر السكائل ١/٣٩، وفيه: ولئن من القوم الذين هم هم، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨، وفيات الأعيان ١/٤٣، المستطرف ١/١٥٧، وانظر البيت الأخير في حماسة أبي تمام ٢/٢٥٨، لباب الآداب ٣٦٧.

(٢) ترفض: توارى أو تنكسر.

(٣) ١: الدجى.

(٤) قبل الأول البيت في السكائل ١/٤٨ قوله:

بل أيها الراكب المقي بشيئته يبيكي على ذات خلخال وأسوار.

(٥) ب: وأنفال.

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ وَإِنْ جَهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ
هَيُّونَ لَيْتُونَ أَيْسَارَ بَنُو يُسْرِ سَوَاسُ مَسْكُومَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارٍ
مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَهْدِي بِهَا السَّارِي
لَا يَنْطُتُونَ عَنِ الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُعَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ^(١)
وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب^(٢) يمدح بهض بنى غنّى ، وكان
أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابى غنويًا^(٣)

قالت، الخنساء :

أَشْمُ أَبْلَجُ يَأْتُمُّ اللَّهُ دَاةً بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ ،
وقال آخر :

إِذَا قِيلَ أَيْ فَتَى تَعْلَمُونَ أَهْشُ إِلَى الطَّعْنِ بِالذَّائِلِ

(١) يروى : بنو كرم ، و .. نقل لافيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ،
ويروى البيت الثانى :

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ وَإِنْ جَهِدُوا كَشَفَتْ أَذْمَارُ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارِ
والعنى : الأيسار جمع يسر من اليسر بالقداح ، والرب تمدح بذلك باعتباره من علاوات البذل والكرم ،
وسواس مسكومة : بروضون المسكوم ويلون أمرها ، والمارة : اليوم والعب .
والآيات بنهما فى السكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها فى معجم الشعراء ٣٠٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .
(٢) هو العرنس السكالى كما فى الأمالى وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، وأبنة عبيد بن العرنس كما
فى السكامل ، يمدح به عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب فى هذا كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام القالى فى الأمالى صفحة ٧٣ ، فهو أن
فرارة كانت قد أوقعت بنى بكر بن كلاب وجيرانهم من عارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنفذتهم ،
وحدث بعد ذلك أن قتلت طليء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس سرير بن سنان الغنوى أيضا ، فاستغاثت
غنى بنى بكر ونفى عارب ليكافئوهم يدهم عندهم ، فقدموا عنهم ولم يجيبوهم . فلم يزالوا متدابرين ،
وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى فى استجالة نسبة البيت إلى سكالى وليسكن ما الذى يمنع من
أنه قالها قبل أن يحدث التدابر بين القبيلتين ؟ خاصة وأننى لم أجدها اختلفا بين الرواة فى نسبها .
(٤) الديوان ٨٠ ، التنبيل والمحاضرة ٢٥٣ .

وَأَضْرَبُ لِلْقَرْنِ فِي مَفْرِقٍ^(١) وَأَعْطِمُ فِي الزَّيْنِ الْمَاحِلِ
أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكْفُ الْوَرَى إِشَارَةً غَمَرَقِي إِلَيَّ سَاحِلٍ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ، قول أبي الجهم المدوي في معاوية
رضي الله عنه :

تُقَلِّبُهُ . لَتَحْبُرَ حَالَتِيهِ فَتَحْبُرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَعِيلٌ عَلَى جَوَانِيهِ كَأَنَّا نَعِيلٌ إِذَا نَعِيلٌ عَلَى أَيْدِينَا^(٣)

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خُلُقًا
أَغْرُ أَيْضُ فَيَاضُ يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِي الْعُقَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبَا^(٤)

وقوله أيضاً :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَائِلَهُ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلاً كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ^(٥)

(١) : مضيق .

(٢) : الآيات لابن هرمة ، البيان ٣/٣٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .

(٣) : يروي : إذا ملنا نعل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعاني ٤٥ ، معجم الأدباء ١/٣٢٧ ، وفي الأمل للقال ١/٢٣٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لما وية : نحن عندك يا أمير المؤمنين كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نعل على جوانبه . . الخ .

(٤) : ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والنواة : الأسرى واحدها عان ، والرهن : حبل من ليف يوضع في عنق الأسير .

(٥) : ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠٩١ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل^(١)

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقفي :

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردؤه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريمة سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينقروا الأرض عند سواهم لنطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فتري لهم عند اللقاء^(٣) كأحسن الألوان^(٤)

والجيد من النظم لا يحصى كثرة ، وحسبنا أن نأتي منه بما يقرب حفظه
للمذاكرة ، ويقوم بنهاء موره في المجالسة .

قال عمر بن أمية الضمري^(٥) للنجاشي ، حين وجهه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الملك اكنك في الرأفة علينا منا ، لم نرُجك قط لأمر إلا نلناه ، ولم نخفك قط على أمر إلا أمتناه .

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٤/٢١٧ .

(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٤/٢١٤ .

(٣) ١ : طلب العلاء .

(٤) لباب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول في العقد الفريد ١/١٢٦ .

(٥) ١ : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٢/٢٢٩ ،

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل . مدح أعرابي رجلا فقال : كان ينفي في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بنيرها .

وذكر أعرابي جلد أخيه ، فقال : ما بعثته في سواد إلا جلاه ومحا ، ولا في بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهيدي الأعرابي قوما ، فقال : أدبهم الحكمة ، وأحكمهم التجربة ، ولم تفرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كالمسك إن تركته عبق ، وإن خبأته عبق .

قال محمد بن زياد الحارثي :

وخرُسا عن الفَحْشاءِ عِنْدَ التَّفَاخِرِ	تَحَالُمُهُمُ لِلْجِلْمِ صُمًّا عَنِ الْخُلَا
وعند الحِفاظِ كاللُّيُوثِ الكَواسِرِ	ومَرْضَى إِذَا لَاقُوا حَيَاءً وَعِفَّةً
يهِمُّ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ الْعَشَائِرِ	لَهُمْ ذُلٌّ إِنْصَافٍ وَلَيْنٌ تَوَاضُعِ
وما وَصَمُّهُمْ إِلَّا اتِّقَاءُ الْمَعَايِرِ ^(٢)	كَانَ يَهُمُّ وَصُمًّا يَخَافُونَ عَارَهُ ^(١)

(١) : غارة .

(٢) : الأبيات في أمالي القالي ٢٣٨/١ ، العقد الفريد ١٨٥/٢ ، وفيه :- الخوازم مكان الكواسر ، وما ذاك إلا لاتقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيل لابن محمد : ياذا الندى قل لا ، وأنت مُخَلَّدٌ ما قَالَهَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَلْتَ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا^(١)

مدح أعرابي رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأى حذق بالصواب
كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد العَتَيْكِيُّ على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان
فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ،
وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لى سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل فى المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره
أبو دلى البندادى رواية عن شيوخه : أن دلى بن الحسين بن على بن أبى طالب
رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة فى حجة حجها ، ودلى يطوف بالبيت والناس
يفرجون له عند الحجر تعظيماً له ، وينظرون إليه مبجلين له ، ففاظ ذلك هشاماً ،
فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكراً لقول هشام ، ومادحاً
لعلى بن حسين :

هذا الذى تعرفُ البَطْحَاءُ وطائفةُ
والبيتُ يَعْرِفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ

(١) البيتان لربيعة بن ثابت الرقى فى مدح العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، انظر معجم
الأدباء ١٣٥/١١ ، وانظر معاضرات الأدباء ٢٧٩/١ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمْ
إذا رَأَتْهُ قريشٌ قال قائلُها
يَنْمِي^(٢) إلى ذروةِ العِزِّ التي قُصِرَتْ
يكاد يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ
يُغْضِي حياءً وَيُغْضِي من مَهَابَتِهِ
يَكْفُهُ خِزْرَانٌ رِيحُهَا عَيْقُ
مُشْتَقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبَاتُهُ
ينجابُ ثوبُ الدُّجَى^(٥) عن نورِ غُرَّتِهِ
سَمَالٌ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إذا قُرِحُوا^(٧)
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جَاهِلُهُ
فليس قولُك من هذا بضائِرِهِ
اللهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ
من جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الأنبياءِ لَهُ
سَهْلُ الخَلِيقَةِ لا تُخْشَى بَوادِرُهُ
مُصَدِّقُ الوَعْدِ^(١٠) ميمونٌ تَقِيدَتُهُ

هذا التَّيِّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ
إلى مكارِمِ هذا يَنْتَمِي^(١) الكَرَمُ
عن نِيلِهَا عَرَبُ الإسلامِ والعَجَمُ
رُكْنُ الحَظِيمِ إذا ما جاء يَسْتَلِمُ
فلا يُكَلِّمُ إِلَّا حينَ يَبْتَسِمُ
من كَفِّ^(٢) أَرْوَعٍ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ
طابَتْ عَناصِرُهُ وَالْحَمِيمُ^(٤) والشَّيْمُ
كالشَّمْسِ يَنْجَابُ عن إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ^(٦)
حَلَوُ السَّمَائِلِ تَحَلُّو عِنْدَهُ نَعْمُ
بجَدِّهِ أنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خَتَمُوا
العُربُ تُعرفُ من^(٨) أنكرتِ والعَجَمُ
جَرَى بِذَلِكَ لَهُ في لَوْحِهِ القَلَمُ
وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
تَزِينُهُ خَلَّتَانِ الحِلْمُ^(٩) وَالكَرَمُ
رَحْبُ الفَنَاءِ أَرِيبُ حينَ يَعْتَزِمُ

- (١) ب : ينتهي .
(٢) ا : في كف .
(٣) ب : الهدى .
(٤) ا : مدحوا .
(٥) ا : الخلق .
(٦) ب : ينهي .
(٧) ا : والجسم .
(٨) ب : القم .
(٩) ب : ما .
(١٠) ا : الخلق أيضا .

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمْ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

وفيها أبيات لم أذكرها لأنني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر
حبيب في الحماسة^(١) للحبر بن عبد الله الليثي^(٢) في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
هذا وذكر الفاكهي في أخبار مكة^(٣) ، قال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ،
قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلي بن
عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل
مكة ، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ،
ولا من حُلَّتِهِ ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ولقاطمة^(٤)
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الأبيات^(٥) التي
ينشدها الناس^(٥) .

(١) ورد في الحماسة ٢/٢٦٩ ، الأبيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع
اختلاف في الترتيب .

(٢) في ١ : الليثي ، وهو تحريف ، ولم أعر على هذا الاسم المثلث في النسخ في الحماسة أو غيرها ، والأبيات
منسوبة في الحماسة إلى الحزبن السكاني ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهب بن مالك أحد بني عبدة بن كنانة
وهو ليثي أيضاً كما في اللباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للحزبن البيتان السادس والسابع في الأغاني ١٤/٧٤ ،
والآمدي ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيان في باب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثي في مدح
عبد العزيز بن مروان . ويدعو أن الاسم قد تداخل والتباسا على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثي ،
ولكن ما دام المصنف يذكر ١٠ ورد في الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحر بن عبيد السكاني الليثي ،
وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتب سنة ٢٢٢ هـ / ٨٨٥ م تاريخ مكة ، نشر
المستشرق فيستغل من منتخبات من الجزء الثاني منه مع تاريخ مكة المشرقة للأزرقي في ليبرج سنة ١٨٥٩ ، انظر
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم الجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : وقاطمة .

(٥) ساقطة من أ .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأَّتُهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
فذكر هذه الأبيات ولم يتهمها ، قال الفاكهي : ويقال إن الرجل الذي قال فيه
الفرزدق هذا هو محمد بن علي بن حسين ، قال : وحدثني أبو سعيد ، قال :
(١) حدثني الزبير ، قال (١) : قيل هذا الشعر في قثم بن العباس ، قاله بعض شعراء
أهل المدينة (٢) ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مَسْكُورٍ وَصَارِخَةٍ يَدْعُوكَ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ
وأما قوله في الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن
علي بن عبد الله أمه زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن
جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصبح عندي من قول من قال : إنه في علي بن
حسين ، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك
إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفة عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر
للحر بن عبد الله (٣) في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد
ابن علي بن حسين بن أبي جعفر — وإن كان له في أبيه علي بن حسين — فلم يكن
هشام يومئذ خليفة كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قثم
ابن العباس ، فليس بشيء ، وإنما ذاك شعر قيل في قثم على قافية هذا الشعر وعروضه
ليس هو (٤) هذا .

(١) ساقط من أ .

(٢) هو داود بن سلم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت في البيان ١/٣٤٨ :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ فِي النَّاسِ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

(٣) انظر التعليق رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدةُ بنُ الطيب في قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاءَ أن يترحمَا
تحيّةٌ من أوليتهِ منكِ نعمةً إذا زار عن شحطِ مزاركِ^(١) سلّما
فما كان قيسٌ هلكهُ هلكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما^(٢)

وقال آخر :

كريمٌ يفضّ الطرفَ فضلُ حيّاته^(٣) ويدنو وأطرافُ الرّماحِ دَوَانِ
وكالسيفِ إن لا ينثتهُ لأنّ منتهُ وحدهُ إن خاشنتهُ خَشِنَانِ^(٤)

وللخريمي :

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ وهل يَقْدِرُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيضَا^(٥)

وقال أبو جعفر محمد بن منذر :

أَتَانَا بَنُو الْأَمْلَكِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
لَهُمْ رَحْلَةٌ فِي كُلِّ حَامٍ إِلَى الْعِدَى وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُسْتَرِّ^(٦)
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ يَجِيّ وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ

(١) بلادك .

(٢) نسبت الأبيات في وفيات الأعيان ١٢٦/١ إلى أبي تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبي تمام ٣٣٤/١ ، البيان ٣٩٤/٢ ، نهاية الأرب ٢١٥/٤ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .

(٣) ١ : في كل حالة .

(٤) في حماسة البجري ١٦٢ : لأن مسه ، وانظرهما في حماسة أبي تمام ٢٦٥/٢ ، البيان ١٩٤/٢ ،

التبثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .

(٥) معاضرات الأدباء ١٠٧/٢ .

(٦) ١ : العتيق الطهر .

فَتُظْلِمُ بِغَدَادٍ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لَجُودٍ أَكْفُهُمْ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمَرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالاً لَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ
بِمَكَّةَ مَا حَجُّوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْـسَبَرٍ
وَنَاهِيكَ مِنْ رَايِعٍ لَهُ وَمُدَبِّرٍ
غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصَرَّصٍ^(١)

وقال آخر في ابن شبرمة القاضي :

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرُمَةِ
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ
وَالْعِزُّ وَالْجُرْئُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ
تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرَمَةَ^(٢)
وقال آخر :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودٍ فَضْلٍ بِنِ يَحْيَى
صَيَّرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ^(٣)
أُنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَصْحَى
عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمٌ فِطْرٍ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعَمٌ غَامِرَةٌ

(١) الغرائيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض ، والبازي : ضرب من الصقور ، ومصرصر أى يصبح صياحاً شديداً . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم الأدباء ٥٧/١٩ ، وكلها ما عدا الأخيرين في وفيات الأعيان ٢٦٩/٥ .

(٢) البيتان ليعحي بن نوفل كما في البيان ٢٤٠/١ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحناء مولى المهدي ، انظره في الوزراء والكتابات ١٩٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/٧ ، وفيات الأعيان ٢٠٤/٣ .

فَبَابُكَ^(١) أَلَيْنَ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيهِ^(٢) أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ^(٣) الْعَاطِرَةِ
فَنِكَ الْعَطَاءِ وَمَنَى الشَّئَاءِ بِكُلِّ مُحِبَّةٍ سَائِرَةٍ^(٤)

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين^(٥) وبهاء الملوك .

ومن المدح :

لَهُ خُلُقَانٌ لَمْ يَدَعَا لَهُ مَالًا وَلَا نَشَبًا
سَخَاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ وَحِلْمٌ يَمْلِكُ الْغَضَبَا

وَقَالَ آخِرُ^(٦) :

فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا كُنْتَ يَوْمَ سَعَادَةٍ تَرَى شَمْسَهُ وَالْهَزْنَ تَهْضِبُ بِالْقَطْرِ
وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا كُنْتَ لَيْلَةَ حَيْبٍ^(٧) مِنْ الْمُشْرِقَاتِ^(٨) الْبَيْضِ فِي وَسْطِ الشَّهْرِ

وَقَالَ آخِرُ :

بِدَيْهَتِهِ وَفِكْرَتِهِ سَوَاءٍ إِذَا مَا نَابَهُ الْحَدَثُ الْكَبِيرُ

(١) : هباتك .

(٢) : معتافاً فأندى .

(٣) : القيلة .

(٤) : انظر الأبيات في معجم الأدباء ٢٣٩/١٩ ، الشعر والغمراء ٣٧٤ ، الأغاني ٣٣٣/١ .

(٥) : ساقط من ب .

(٦) : العابدين .

(٨) : ب : المشرقات .

(٧) : ب : صيف .

وأحزَمُ ما يكون الدهرُ رأياً إذا عَمِيَ^(١) المُشَاوِرُ والمُشِيرُ
وصدُرُهُ فيه للهِمِّ اتَّسَاعُ إذا ضاقتْ عن الهَمِّ الصُّدُورُ^(٢)

وقال حمزة بن بيض في مخلد بن يزيد بن المهلب :

بلغتَ لعمري مَصَّتَ من سِنِّي لك ما يبلغُ السَّيِّدُ الأَشْيَبُ
نَهْمَكَ فيها جَسِيمُ الأمورِ وهمُّ لِدَاتِكَ أَنْ يَلْعَبُوا^(٣)

وقال ذو الرمة :

عطاء فتى بَنَى وَبَنَى أُمُّهُ فَأَعْرَضَ في السَّكَّارِمِ وَاسْتَطَالَ^(٤)

قال أبو اليقظان : ولَّى الحجاجُ محمدَ بنَ القاسمِ بنَ محمدِ بنِ محمدِ بنِ
الحكم الثقفى ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاء السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن
سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمَرْءَةَ وَاللَّهْدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
فَادَ الْجِيُوشَ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حَاجَةً يَا قُرْبَ سَوْرَةِ سُؤْدِدٍ مِنْ مَوْلِدِ^(٥)

قال أبو اليقظان : وهو الذى جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاية فارس .

(١) : غنى .

(٢) : الأبيات سلم الحاسر أو أمى نواس ، انظر مجموعة المعانى ١٧ ، الوزراء والكتائب ٢٠٣ .

(٣) : نسب البيتان أيضا إلى السكيت بن زيد الأسدى ، البيان والتبيين ١١٠/٢ .

(٤) : ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .

(٥) : الشعر لزياد الأعجم ، انظره في محاضرات الأدباء ٧٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، المستطرف

٢٧/٤١ ، وسورة السُّودد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيثة :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عاهدوا شدوا
أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا^(١)

وقال أبو النول الطهوي يمدح قومه :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني
معاشر لا يملؤن المنايا
إذا دارت رحي الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بشر
ولا يجزون من غلظ يلين
ولا تبلى بسائتهم وإن هم
صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم منعوهم حتى الوقتي بضرب
يؤلف بين أشقات المنون
فنكب عنهم ظلم الأعدى
ودأوا بالجنون من الجنون^(٢)

وقال آخر :

بديته مثل تدبيره
مق رُمته فهو مستجيع
وفي كفه للنفي مطلب
وللسر في صدره موضع^(٣)

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمخاضة ٦٣ ، أمالي القالي ١١٨/٢ ، نهاية الأرب ٦٩/٣ .

(٢) يروي : فوارس مكان معاشر ، وبسيء مكان بشر في البيت الثالث .
والزبون في الأصل الناقة التي تزين (تدفع) حالها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها .
والوقتى : ماء لبنى مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات في حاشية أبي تمام ١٧/١ ، ١٨ ، أمالي القالي ٢٦٠/١ .

(٣) سبق البيتان في ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع^(١) الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدا .

قال النجاشي الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ،^(٢) من بني الحارث ابن كعب^(٣) .

إِنِّي أَمْرُوٌّ قَلَّ مَا أَتَيْتَنِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَرَى بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذَمَّنْ مَنْ لَمْ تَبْلُغْ الْخَبَرَ^(٤)

قال علي بن حسين : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير ، أو شك أن يقول فيك ما يعلم من الشر .

(١) ب : واسع .
(٢) ساقط من ١ .
(٣) حاشية البجدي ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني في عيون الأخبار ١٧٠/٣ .

باب عيُون من الذَّمِّ

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا معه في البيت : فقال : « ائذنوا له فبئس ابنُ العشيرة » ، أو قال : بئس أخو العشيرة ، ثم قال : إنَّ من شرارِ النَّاسِ من اتَّقاءِ النَّاسِ لشرِّه ، أو تركه النَّاسُ لشرِّه . هذا حديث ابن عيينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسَل .

قال الحسن : ذمَّ الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السرِّ .

كان يقال : من أظهرَ عيب نفسه فقد زكَّاهَا .

ذمَّ بعضُ البلغاء رجلاً ، فقال : ما الحمايمُ على الإصرار^(١) ، والدَّيْنُ على الإقتار ، وشدة السُّقْمِ^(٢) في الأسفار ، بآلم^(٣) من فلان^(٤) .

قيل لأعرابي : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالعشوة^(٥) ، ويأكل الرِّشوة ، ويطيّل النَّشوة .

قال ثعلبُ : النَّشوة بالفتح : السُّكْر ، والنَّشوة بالكسر : الرِّيح .

(١) ب : الأصرار .

(٢) أ : المسقم .

(٣) ب : بالأم .

(٤) وردت العبارة في الأماي ١٠٦/٢ قريبة مما أثبتناه ونصها هناك : ما الحمايم على الإصرار ، وحلول الدين على الإقتار ، وطول السقم في الأسفار بآلم من لقائه .

(٥) ب : بالعشيرة ، ويقضى بالعشوة أي يتخبط في قضائه ويحكم علي غيره هدي .

ذمّ رجلٌ رجلاً ، فقال : كان والله سيء الروية ، قليل التقيّة ، شديد السعاية ، ضعيف النكايّة .

ذم خالد بن صفوان شبيب بن شَيْبَةَ ، فقال : لبس له (١) صديقٌ في السرّ ، ولا عدوٌّ في العلانيّة .

وذم أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سُئِلَ سَوّف ، وإذا حدّث حلف ، وإذا وعدّ أخلف ، تنظرُ نظرَ حَسُود ، وتعرضُ إعراض حَقُود .

قال حسان بن ثابت :

أَبُوكَ - أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ فَبَيْسَ الْبَيْتِ وَبَيْسَ الْأَبُ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُؤْيِيَّةُ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا الْمُنْظَبُ
يَبِيْتُ أَبُوكَ بِهَا مُمْرِسًا كَمَا سَاوَرَ الْمُهْرَةَ الثَّلَبُ (٢)

وقال أعرابيٌّ :

أَكْثَرُ مَا يَأْنِي عَلَيَّ فِيهِ الْكَذِبُ وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلِيبُ
حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مُنْقَلَبُ (٣)

مر سفیان الثّوريّ رضی الله عنه ، بقوم في السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

(١) : لا صديق ...

(٢) : ساقط من ب ، والأبيات في ديوانه ١٤٠ والمنظب : ذكر الجراد أو الأسفر منه .

(٣) : ورد البيتان الأولان من هذا الرجز والثاني قبل الأول في عبون الأخبار ٢/٢٧٠ .

أما ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطة عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة الله في الأزراق والنعم - يا محنة لدوي الأخطار والهيم -
ما نراك أصبحت في نعماء ظاهرة - إلا وربك غضبان على النعم^(١)
قال بعض البلغاء : كفاني سقوط فلان إسقاطه^(٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيما ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلي ، في إسماعيل بن عبد الله أنحنى خالد بن عبد الله القسري :

لو كنت ماء كنت ماء آسنأ - أو كنت مرعى لم يردك الورد
أو كنت من شجر لكنت إلاءة - أو كنت من ورق نفاك الناقد^(٣)

قال الحرمازي :

قبستم آل فقيهم عددا - لو كنتم قولا لكنتم فندا
أو كنتم ماء لكنتم زبدا - أو كنتم شيئا لكنتم نقدا
أو كنتم لحما لكنتم معددا^(٤)

النقد : التمز ، وفي المثل : لهو أذل من النقد .

(١) محاضرات الأدباء ١/ ٢٤٥ .

(٢) ساقطة من ١ .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقد : مبرز الدراهم .

(٤) الفند : الخطأ في القول والكذب ، والفدة : كل عقدة في الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة

صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العروضي :

لو كان حَرْفًا كان لا مَعْنَى له أو كان ظَرْفًا لم يَكُنْ إِلَّا مَتَى^(١)

وقال آخر :

لو كنتَ ماءً كنتَ غَيْرَ عَذْبٍ . أو كنتَ سَيْفًا كنتَ غَيْرَ عَضْبٍ
أو كنتَ لَحْمًا كنتَ لَمْ كَلْبٍ أو كنتَ عَيْرًا كنتَ غَيْرَ نَدْبٍ^(٢)

وقال آخر :

لو كنتَ بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا أو كنتَ رِيحًا كَانَتِ الدُّبُورَا
أو كنتَ غِيَاً لم تَكُنْ مَطِيرًا أو كنتَ ماءً لم تَكُنْ طَهُورًا
أو كنتَ مَخَا كنتَ مَخَارِيرًا^(٣)

ومما أنشده ثعلب :

لِلَّهِ دَرْكٌ أَيْمًا رَجُلٍ يَبْنِي أَبُوكَ وَشَأْنُكَ الْهَدْمُ
لو كنتَ تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَمَا تَنْحَطُّ قَصْرَ دُونِكَ النَّجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يَتَّبِعُونَ رجلاً قد أخذ في ريبة ، فقال :

لا:^(٤) مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .

(١) ا : لشيء ، ب : فيه شيء بدلا من لا متى

(٢) وردت البيت الأول في الكامل ٥٧/٢ : لو كنت ماء لم تكن بعدب ، وانظر الأبيات أيضاً

في محاضرات الأدباء ١٥٤/١ .

(٣) الأبيات في محاضرات الراغب ١٥٤/١ ، الكامل ٥٧/٢ ، وتأتي الشطرة الأولى فيه في آخرها ،

والمخ الرير : الذائب أو الرقيق .

(٤) ساقطة من ب .

قال القطامي :

ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشتَبَوْا لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَابِ^(١)
 يقال : نَارُ الْحَبَابِ ، ونارُ أَبِي الْحَبَابِ ، لكل نَارٍ تراها العَيْنُ ولا حقيقة لها
 قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

يا آلَ سَفِيانَ ما بالي وَبَالُكُمْ أأنتم كثيرٌ وفي الأحلامِ عُصْفُورُ
 وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قومًا :

لا عَيْبَ في القومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جِسمُ الْبَغَالِ وأحلامُ الْعَصَافِيرِ^(٢)
 وقال آخر :

قُبِّحَتْ مَنَاطِرُهُمْ فحينَ خَبَرْتُهُمْ حَسَنْتَ مَنَاطِرُهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ^(٣)
 وقال آخر :

له صُورَةٌ تُعْمِي الْعُيُونَ سَمَاجَةً وإنْ تَخْتَبِرَ يَوْمًا فَأَقْبَحُ مَخْبَرِ
 وقال محمد بن منذر ، في خالد بن طليق قاضي البصرة :

جَعَلَ الْحَاكِمَ يَا لِلنَّاسِ مِنْ آلِ طَلِيقٍ
 حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ بِحُكْمِ الْجَائِلِيقِ

(١) البيت في ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٣/ ٧٢ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والمساوي ١٦٢/١ .

يَدْعُ الْحَقَّ وَيَهْوِي فِي ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ
أَيْ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّهْصِ وَتَعْطِيلِ الْحُقُوقِ
يَا أَبَا الْهَيْثِمِ مَا أَزْهَمَكَ لِهَذَا بِخَلْقِ
(١) لَا وَلَا أَنْتَ بِمَا حَمَلْتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ
حَبْلِهِ حَبْلُ غُرُورٍ عَقْدُهُ غَيْرٌ وَثِيقٌ (١)

وله فيه أيضاً :

قُلْ لِأُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِي هَاشِمٍ سِرُّهَا وَاللُّبَابِ
إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عَاقِبَتَنَا بِخَالِدٍ فَهَوَّ أَشَدُّ الْعِقَابِ
أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْهَدَى وَقَدْ ضَرَبَ النَّوْكَُ عَلَيْهِ الْحِجَابِ
كَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهَذَا عَذَابِ
يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ (٢)
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي أَاْخَطَا فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابَا (٣)
وَقَالَ آخَرُ :

فَإِنْ تُصِيبُكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ لَمْ تَنْبِكْ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ (٤)

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات في البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين في الشعر والشعراء ٨٤٦ .

والجائليق : كبير النصارى في بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريرك .

(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها في عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .

(٣) ديوانه ١٤ .

(٤) البيت لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ لَقِيتَ جَفَاءً وَنَوْكَاً كَثِيراً
أَعَامَ تَجَوُّدُ^(١) بَاعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نَوْكَهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وَأَنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكَتَ عَارَا^(٢)

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فَتَبَّهَهُمْ^(٣) قَدَرٌ لَمْ يَنْمِ
فِيَا قُبَّحَهُمْ فِي الَّذِي خُوُّوا وَيَا حُسْنَهُمْ فِي زَوَالِ النِّعَمِ^(٤)

وقال آخر :

خَيْرٌ مِنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ الْقُعُودُ

وقال آخر :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةٍ^(٥)

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمْ مِنْ قُبْحٍ فَعَلِيهِمْ رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) ب : تجر

(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .

(٣) ب : فتبهم .

(٤) البيت لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسباً في محاضرات الأدباء ٨٦/١ إلى محمود الوراق .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١٦٢/١ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرَّعْ مِنْ قَرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالِ فِعَالٌ عُسْكَلٍ^(١)

وقال أبو علي البصير :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبَتْهَا رُغْيَ الْهَشِيمِ^(٢)
وللحطيئة في أمه ، لا عفا الله عنه :

تَنْهَى فَاغْمَدِي مَنَى بَعِيداً أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَا
أَلَمْ أَوْضِحْ لَكَ الْبَعْضَاءِ مَنَى وَلَكِنْ لَا إِخْلَاكَ تَعْقِلِينَا
أَغْرِبَالَا إِذَا اسْتَوْدِعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا
جَزَاكَ اللَّهُ شَرّاً مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَيْتِينَا^(٣)

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر :

وَاصِلَتْ فِي شُرْبِ الشَّمُولِ^(٤) سَفَاهَةٌ حَتَّى غَدَوْتَ كَأَنَّ أَفْكَكَ دُمْلُ
قَالَ أَعْرَابِي : أَتَيْتُ بَعْدَادَ فَإِذَا ثِيَابُ أَجْوَادٍ عَلَى أَلَامٍ أَجْسَادُ ، إِقْبَالُ
حَظْمِهِمْ إِدْبَارُ حُظُوظِ الْكِرَامِ ، شَجَرُ فُرُوعِهِ عِنْدَ أَصُولِهِ ، شَفْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ
رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى في باب الهدية .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ٨٩/٣ ، التمثيل والمهاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٨٦/٣ ، معجم الشعراء ٣١٤ ، السكامل ٢٨٧/٢ ، واقشعرت البلاد : أجدبت ، وصوح النبت : يبس ونشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أَذُمُّ بَعْدَادَ وَالْمُقَامَ بِهَا مِنْ بَعْدِ مَا خَبِرَ وَتَجَرِبِ
مَا عِنْدَ أَمَلَاكِهَا لِمُرْتَعِبِ^(١) رِفْدٌ وَلَا فِرْجَةٌ لِمَكْرُوبِ
خَلَّوْا سَبِيلَ الْعُلَا لِغَيْرِهِمْ وَنَازَعُوا فِي الْفُسُوقِ وَالْحُوبِ
يَحْتَاجُ رَاجِي النَّوَالِ عَنْدهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
كَنُوزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَعَمْرِ نَوْجٍ وَصَبْرِ أَيُّوبِ^(٢)

وقال آخر :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهَّكَ كَانَ^(٣) عِلْمًا إِذَا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
وَمَا لَكَ فِي الْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ^(٤)

وقال الناشئ :

لَوْ كَمَا تَجْهَلُ تَدْرِي كُنْتَ لِلَّهِ^(٥) رَسُولًا

وفال حماد بن الزبرقان^(٦) في حماد عَجْرَد :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
هَدَلْتُ^(٧) مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُتْهَا الْحَدَّادُ

(١) ب : لم يرتب .

(٢) لم أعثر على هذه الآيات في ديوانه المطبوع .

(٣) ١ : عاد .

(٤) البيتان لأبي تمام ديوانه ٢٧ .

(٥) ب : والله .

(٦) ب : الزبير .

(٧) ب : هزلت . والآيات في الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وقال رافع بن إبراهيم اليربوعي :

ألستم أقل الناس تحت لوائهم وأكثرتهم عند الذبيحة والقدر
وأمساه بالشيء المحقر بينهم وأعجزهم عند الجسيم من الأمر^(١)

وقال أعرابي :

العبد يحتنب الهجاء لشينه ولك الهجاء إذا هجيت جمال
لم يبق عار في البرية كلها إلا وأخبت منه فيك يقال

وقال أبو عيينة^(٢) :

خالد لولا أبوه كان والكلب سواء
لو كما ينقص يز دأد إذا نال السماء
^(٣) أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء
إن من كان مسيئاً لحقيق أن يساء^(٤)

وله أيضاً :

داود محمود وأنت مذمم عجباً لذلك وأنتما من عود

(١) ورد البيت الأول في حاشية أبي تمام ٢٢٦/٢ منسوباً إلى عوف القوافي .
(٢) هو أبو عيينة بن الماهب بن أبي صفرة كان من أطعم الناس وأقربهم . أخذ في الشعر وأقلمه بكافاً ،
انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٣٦٧ .
(٣) ساقط من ب ، والأبيات في الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان في غاضرات
الأدباء ١٦٣/١ ، والثاني في المثل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد والي جرجان .

ولرب عودٍ قد يُشَقِّقُ لمسجدٍ نصفاً وسائرهُ لحشٍّ يهودٍ^(١)

وقال الفرزدق :

أترجو^(٢) كليليما أن تجيء صغارها بخيرٍ وقد أعيأ عليك كبارها^(٣)

وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رغيْفٌ أبدأ في حجرٍ دايةٍ

برّةٍ تمسحه الله رَ بكمٌ ووقاية^(٤)

وله كاتبٌ سوءٌ خطٌّ فيه بعنايةٍ

فسيكفيكم الله هُ إلى آخر آلايه^(٥)

وقال فيه أيضاً :

أبو نوحٍ دخلتُ عليه يوماً فغداني برائحةِ الطمَامِ

فكان كمن سقى الظمآنَ آلاً وكنتُ كمن تغدى في المنامِ^(٦)

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قباء لا تدري أقباءه

(١) الحش : المسلح والمخرج الذي يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيتين في معاضرات الأدباء ٦٢/١ الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ٣٨/١ ، ٣/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٧٢/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقاية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والمساوي للبيهقي ٢٠٢/١ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين في ديوانه ٢٨٩ ، عبون الأخبار ١/٦٤ .

هو أم دُؤَاج^(١)، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاط لي عمرو قَبَاءَ لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءَ

^(٢) قل لمن يسمع هذا أمدح أم هجاء^(٣)

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بني تميم :

أَمِنْ عَوَزِ الرِّجَالِ وَهُمْ كَثِيرٌ حَبَا نَصْرُ بَأْمَرَتِهِ^(٣) عَقِيلًا

فلو بكت المنابر من لثيم سَمِعْتَ لَعُودَ مَنْبَرِهِ عَوِيلًا

وقال آخر :

من دون سَيِّبِكَ لَوْ لَيْلٍ مُظْلِمٍ وَحَفِيفُ رَائِحَةٍ وَكَلْبٌ مُرْصَدٌ

والضيفُ عندك مثلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحْبَبُّمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ^(٤)

وقال آخر :

ورثنا المجدَ عن آباءِ صدقٍ أَسَانَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيْعَا

إذا الحسبُ الرفيعُ تعاوَرَتُهُ بُنَاةُ الشَّوْءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيْعَا^(٥)

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المطب الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان في العقد ٤١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بأمراته .

(٤) في عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافذة مكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهي مأخوذة من أوسد الكلب بالميد أى أغراه ، والأسود السالغ : الافعى ، ووصف بالسالغ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(٥) الكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسنُ من هذا :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَأْنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَسْكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا^(١)

وقال آخر :

إِنْ تَلَقَّ رَيْبَ الْمَنَايَا أَوْ تُرَدِّفَهَا^(٢) لَمْ تُبَكِّ مِنْكَ عَلَى دِينٍ وَلَا حَسَبٍ

وقال آخر :

وَإِنْ تُصِيبَكَ مِنَ الْأَيَّامِ ظَلَوِغَةٌ^(٣) لَمْ أَبُكِّ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينٍ^(٤)

فيل لمسامة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير يخرب ،
وليس بقوم الخراب شئ .

قال أعرابي في سعيد بن سلم^(٥) :

مَدَحْتُ ابْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزُؤَةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ
لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ يُعِيدُهُ وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ^(٥)

(١) في ١ : نسبر كما كانت أوائلنا تسبر ، والرواية للشطيرة الأولى في نواذر القالي ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان في السكامل ٩٤/١ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ونسبا في حساسة أبي تمام ٣٣٩/٢ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما في زهر الآداب ٧٩/١ .

(٢) ب : تردفنا ، أ : تردفنا .

(٣) سبقت نسبه في العقد ١٧٦/٦ لأبي وجرة حولي عبد الله بن الزبير انظر ص ٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة في المصون لأبي أحمد العسكري ٢١ ، وفيه : بالجمة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، السكامل ٢٣/٢ ، عيون الأخبار ٣٢/٢ ، مع تقديم الثاني على الأول ، العقد الفريد ٣١١/١ .

قال أبو بكر السَّامري :

يا شاعراً يَهْتِكُ من عَقْلِهِ أضعافُ ما يَهْتِكُ من عِرْضِي
إذا هجاني جاءني شِعْرُهُ وبعضُهُ يضحكُ من بَعْضِي

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بَابُ الْعَقْلِ وَالْحَقِّقِ

أما العقلُ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقل والأحقق ما تحسّن به المذاكرة ، ويجمل إيرادها في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبَنَّكُمْ إيمانُ الرجل حتى تعلموا ما عقدتُ عقله »

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يُفَضِّي فيها إلى إخوانه الذين يُخْبِرُونَهُ بِمِيقَاتِهِ ، وَيَصْدُقُونَهُ عَنْ نَفْسِهِ ، وساعة يَخْلِي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات ، وإجمام^(١) للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظمن^(٢) إلا في إحدى ثلاث : زاد لمعاده ، وممرّة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانهِ ، مقبلاً على شأنهِ » .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتدري لم رزقتُ^(٣) الأحقق ؟ قال : لا . قال : ليعلمَ العاقلُ أن الرزقَ ليس باحتيال .

(١) : إحكام .

(٢) : بظافر .

(٣) : خلقت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من حُرْمَةٍ فقد حُرِمَ خيرَ الدنيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلْمٌ يردُّ به السفية ، وورعٌ يحجزُه من المحارم » .

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ؟ إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلقٌ فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالخمار خير منكما ، ولستما خيراً من أحد .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : العاقلُ من لم يَحْرَمْهُ نصيبُه من الدنيا حظُه من الآخرة .

قال علي بن أبي طالب في وصيته لابنه : لا مالَ أعوذُ^(١) من العقل ، ولا فقر أشدَّ من الجهل ، ولا وِحدةٌ أَوْحَشُ من العُجْب ، ولا مَظَاهِرَةٌ كالمِشاوِرة ، ولا حَسَبٌ كحسن الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثرَ من عقله ، كان قيناً أن يضرَّه علمُه .

قال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير^(٢) الشرين .

قال العُشْبِيّ : العقلُ نومانٌ ، فأحدهما ما تفرَّد الله بصنعتِه ، والآخر ما يستفيدُه

(١) : ١ : أعدد .

(٢) : ١ : شر .

المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قَوِيَ كُلُّ منهما صاحبه ، كما أن النار في الظلمة نور للبصر ، وأنشد :
إذا لم يكن المرء عقلٌ يَزِينُهُ مع الناس لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مُشْفِقٌ عَقْلًا^(١)

وقال آخر :

ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ وطُولِهَا إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ^(٢)
وقال أردشير بن بابك : نغوثُ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضى الله عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنَّ العقل المَفْرَدَ لا يُقَوَّى به على أمر العامة ، ولا يُسَكَّنَى به في أمر الخاصة ، فأخِي عقلك بعلم العلماء والأشرف من أهل التجارب والمروءات ، والسلام .

قال أيوبُ بنُ القُرَيْبِ : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقٌ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الذي شريعته ، والحلمُ طبيعته ، والرأى الحسنُ سَجِيَّته ، إن نطق أصاب ، وإن سمع وعى ، وإن كَلَّمَ أجاب . والأحمق : إن تكَلَّمَ بهجَل ، وإن حَدَّثَ وهِل ، وإن اسْتَنْزَلَ عن رأيه نزل . وأما الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شانك .

قال مُطَرِّفُ بنُ الشَّخِيرِ : عَقُولُ كُلِّ قومٍ على قَدَرِ زمانهم .

(١) م : فليجعل له مشفقا عقلا

(٢) يروى ونبلها مكان ماولها ، وقد نسب البيت في البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشعبي الفزاري ، وفي هامش أمالي القائل ٣٩/١ أنه لهذيل بن ميسر الفزاري ، وورد في حاشية أبي تمام ١٤/٢ لرجل من بني فزارة ولم يعينه ، ونسب في معجم الأدباء ١٨/٦ ، ٣ إلى أبي العيناء .

كان يقال : ستّ خصال تُعرّف في الجاهل : العَصَبُ في غير شيء ، والكلامُ في غير نفع ، والمطيّة في غير موضعها ، وإفشاء السرّ ، والثقة بكلّ أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شُبْرُمَة : ما حدّ الحق ؟ قال : لا حدّ له .

سُئِلَ بعضُ الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابة بالظنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيى بن خالد ، يقول : ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتابُ على مقدار عقل كاتبه ، والرسولُ على مقدار عقل مُرسِله ، والهدية على مقدار عقل مُهديها .

قال ابن الأعرابي : ممّي الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعوته

قال : والحمق أيضاً الكساد ، يقال : انْحَمَقَتِ^(١) الشوق إذا كسدت ، ومنه الرجلُ الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا يُنتفع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا في ليالٍ مُحمّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِرُ بنعيم أبيض رقيق ، فيغترّ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فبسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يترك في أوّل مجاسه بعتائه ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تبيّن حُقه .

(١) ب : حقت ، وكلامها وارد صحيح .

وقيل للرجلة البقلة الحقاء ، لأنها تنبت في مسيل الماء ، وفي طريق الإبل ،
فهي أبداً مدوسة .

وفي الخبر الرفوع : « للعاقل خصال يُعرف بها : يحلم عن ظلمه ، ويتواضع
لمن هو مثله ، ويسابق بالبر من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ اتهمزها ، لا يفارقه
الخوف ، ولا يصحبه العنف^(١) ، يتدبر ثم يتكلم ، فإن تكلم غم ، وإن سكت
سلم ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكبها ، وللجاهل خصال يُعرف بها :
يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبر فيندم ، فإن تكلم أثم ، وإن سكت سبها ،
وإن عرضت له فتنة أردته ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المنيرة بن شعبة يوماً عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : كان والله
أفضل من أن يخدع ، وأقل من أن يخدع .

في كتاب « كيلة ودمنة » : رأس العقل التمييز بين الكائن والمتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟
قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليس شر من هاتين .

قال الحسن البصرى : صلة^(٢) العاقل إقامةُ لدين الله ، وهجران الأحقق قربة إلى
الله ، وإكرام المؤمنين خدمةً لله وتواضع له .

(١) ب : التعنيف .

(٢) ١ : صلة .

قال عبد الله بن الحسين^(١) : مُتَّقِ الرجل يفسد دينه^(٢) ، ولا دين لمن لا عقل له . وكان لا يجيز شهادة الأحمق العفيف ، فكلم في ذلك ، فقال : سأريكم . ودعا بحاجبه فقال : يا ممدود^(٣) ، انظر لي ما الرِّيح ؟ فخرج ثم رجع ، فقال : هي شمالٌ يَشُوبها شيء من الجنوب . فقال : أَتَرَوْنَ أن أُجيزَ شهادة مثل هذا ؟
فقال أردشير : رضاء المرء عن نفسه دليل على عقله .

قال أنوشروان : ثقة الرجل برأيه ، وإقراره بتوفير عقله ، دليل على عقله .

قيل :

هل ينتهي من أول الزجر أحمق

كان يقال : إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلام .

قال علي بن أبي طالب : لا تؤاخ الأحمق ، ولا الفاجر ، أما الأحمق فدخله
وَنَجْرُهُ شينٌ عليك ، وأما الفاجر : فيزيِّن لك فعله ، ويودُّ أنك مثله .

· (١) كذا بالأصول ، وقد ورد في عيون الأخبار ١٧/١ أنه عبيد الله بن الحسن العنبري .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) ١ : مرود ، وسماء في عيون الأخبار : أبا مرودود .

قال سابق :

المرء يجمع والزمان يُفَرِّقُ
ويظل يرقع والخطوب تمزقُ
ولئن يُعَادِي عاقلاً خيره له
من أن يكون له صديق أحمقُ

وقال آخر :

عدوك ذو العقل أبقى عليك
من الصاحب الجاهل الأحمق^(١)
وذو العقل يأتي حسان الأمور
ويعتمد للأرشد الأوفق

وقال دعل بن علي الخزاعي :

عداوة العاقل خير إذا
حُصِّلَتْهَا من خلة الأحمق
لأن ذا العقل إذا لم يزع^(٢)
عن ظلمك استحياء فلم يخرق
ولن ترى الأحمق يُبقي على
دين ولا وُد ولا يثقي

وقال آخر :

عداوة العاقل خير لمن
بوائت الجاهل مَبْثُوتَةٌ
عَادَاهُ من وُد امرئ جاهل
وليس تخشاه من العاقل

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنما الإنسان غمد لعقله
ولا خير في غمد إذا لم يكن نصلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل المقال ١٦٠ .

(٢) أي يبق ويحفظ ، مضارع وزع ، وفي الديوان ٢٥٧ : إذا لم يزع عن حلمه

فإن كان للإنسان عقله فإنه هو النّصل والإنسان من بعده فضل

وقال أيضاً :

وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق
ولا سيما إن كان ممن نصيبه
فمن فاته هذا وذاك فقد دمر
من الدين والدنيا قليل إذا حضر

وقال ابن الرومي :

وليس عتاب المرء للمرء نافعاً
إذا لم يكن للمرء عقل يعاتبه^(١)

وقال آخر :

زعمت أبا سهل بأنك جامع
فهنك تقول الحق أي فضيلة
فنوناً من الآداب يجمعها الكهل
تكون لدى علم وليس له عقل^(٢)

وقال آخر :

لكل امرئ شكل من الناس مثله
لأن صحيح العقل ليس بواجد
ولا خير في طول السبيل^(٣) وعرضها
فأكثرهم شكلاً أقلهم عقلاً
له في طريق حين يسلكها مثلاً
إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلاً

(١) البيت في المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأبي العباس الدمشقي في أبي سهل بن نوح ، رهر الآداب ١٨٨/٣ .

(٣) السبيل : مقدم اللحية ، وأطراف الأبيات في السكامل ٣١٥/١ ، وفيه . وما الفضل في طول . . الح

وقال آخر :

قد عرفناك باختيَّارك إذ كآ ن دليلاً على اللَّيِّبِ اختيَّاره^(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزَّمان إذا صحَّا صَحَوْتُ وإن ماقَ الزَّمانُ أُمُوقُ^(٢)

وقال آخر :

وأُنزِلني طولُ النَّوى^(٣) دارَ غُرْبَةٍ إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً لا أشاكِلُهُ
تَحامقُهُ حتَّى يُقالَ سَجِيَّةٌ ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أَعاقِلُهُ^(٤)

وقال آخر :

تَحامقُ مع الحَقِّ إذا ما لَقِيتهُمُـمُ ولا تَلَقَّهمُ بالعقلِ إن كنتَ ذا عَقْلٍ
فإنِّي رأيتُ المرءَ يَشقُّ بعقلِهِ كما كان قبلَ اليَومِ يَسْعُدُ^(٥) بالعقلِ

وقال أبو يزيد^(٦) البسطامي رحمه الله :

يا ذا الذي ليس له والدٌ يَسعَى على الأرضِ ولا والدَه

(١) المقدم الفريد ٣/١

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البين والبيين ١/١٨٩ .

(٣) ١ : الشعرا .

(٤) سبق البيت الأول وفي م ٢٣٤ انظر نسبه ومراجعته هناك ، وانظرهما أيضا في معاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، عبون الأخبار ٢٦/٣ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المنزلة ، انظر معجم الأدباء ٢٤٧/١٩ .

(٦) ١ : دريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة في الزهد ، وأقوال في الحكمة والنصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .

قد مات من قبلهم آدم فأثى نفس بمده خالده
إن جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة^(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يكنى أبا العُمَين ، فقال : لو كان لك عقل
كفالك أحدهما .

قال الحسن : هجرة الأحق قربة إلى الله تعالى .

قال منصور الفقيه :

أجالس كلاً وإن لم يكن على ما أحب سوى الأموق
فإنني أجالسه مرة وأنهض عنه فلا نلتقي
فما نعمة بعد تقوى الإله بأفضل من هجرة الأحق

قال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خصال : أن يحفظ^(٢)
دينه ، ويصون عرضه ، ويصل رحمه ، ويحفظ جاره ، ويرعى حق إخوانه ، ويحزن
عن البذاء لسانه .

كان الحسن البصري إذا أخبر عن أحد بصلاح ، قال : كيف عقله ؟ ثم يقول :
ما يتم دين امرئ حتى يتم عقله .

روى أنه لما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، أتاه جبريل ، فقال : يا آدم !

(١) فصل المقال ١٩٨ .

(٢) ١ : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضر ك ثلاث خصالٍ لتختارَ منهنَّ واحدة ، وتُخلى عن اثنتين .
 قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياء والدين والعقل : قال آدم : إني اخترتُ العقل .
 قال جبريل للحياء والدين : ارتفعاً فقد اختارَ العقل ، قالاً : لا ترتفع . قال :
 ولم عصيتما ؟ قالاً : لا ، ولكننا أمرنا ألا نفارقَ العقلَ حيثُ كان .
 كان يقال : لا تعتدَّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .
 قال بعض الحكماء : وَكَلَّ الحِرْمَانُ بالعقل ، والرِّزْقُ بالجهل ، ليعتبرَ العاقلُ
 فيعلم أنَّ الرِّزْقَ ليس عن حيلة .
 قيل لزُرْعَةَ بنِ ضَمْرَةَ : متى عَقَلْتَ ؟ قال : يومَ وُلِدْتُ . قيل : وكيف ذلك ؟
 قال : مُنِعْتُ الشَّدَى فبكيتُ ، وأُعْطِيْتُهَا فسكتُ .
 قال الحَسَنُ : لَأَنَا للعاقلِ المُدْبِرُ ، أَرْجَى مِنِّي للأحمقِ المُقْبِلِ .
 قال الأوزاعي : قيل لعيسى عليه السلام يارُوحَ الله ! أنت تبرىءُ الأكْمَهَ
 والأبرصَ وتحْيِي الموتى بإذن الله ، فما دواءُ الأحمقِ ؟ قال : ذلك أعياني .
 قال قيس بن الخطيم :
 وبعضُ الداءِ ملتمَسٌ دَوَاءُهُ وداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ^(١)

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاء . ليس له شفاء ... حماسة أبي تمام ٤٠/٢ .

وقال آخر :

جنونك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طيبًا يَدَاوِي من جُنُونِ جُنُونٍ^(١)

وقال آخر :

قالوا جُنُنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَدَهُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ

كان يقال : الأحقُّ بشأنه أعلمُ من العاقل بشأن غيره^(٢) .

قال زيد بن أسلم ، قال لقمان لابنه : يَا بَنِي لَتَنِّ يُقْصِيكَ^(٣) الْحَكِيمُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
يُدْنِيكَ^(٤) الْأَحْمَقُ .

قال صمر بن عبد العزيز : خُصِمَتَانِ لَا تَعْدِمُكَ [إحداهما]^(٥) مِنَ الْأَحْمَقِ ، أَوْ
قَالَ مِنَ الْجَاهِلِ : كَثْرَةُ اللَّتَفَاتِ ، وَسُرْعَةُ الْجَوَابِ .

كَانُوا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْأَحْمَقِ بِالْجَاهِلِ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا : غَضِبَ كَسْرَى عَلَى عَاقِلٍ فَسَجَنَهُ
مَعَ جَاهِلٍ . يَرِيدُونَ سَجَنَهُ مَعَ أَحْمَقٍ ، وَيُعَبِّرُونَ أَيْضًا عَنِ الْعَاقِلِ بِالْحَلِيمِ ،
قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) عيون الأخبار ٤٧/٢ .

(٢) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار : الأحقُّ أعلمُ من العاقل إلخ ، وصححها في الماش كما
ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدهنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فَلَا تَصْنَعُ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرَدَى حَلِيمًا حِينَ وَآخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ^(١)

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ،
والغيران^(٢) ، والسكران . قيل : فأتقول في المنعظ ؟ قال :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمْ تَحْمَرُونَ بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تُصْبِحُنَا

قال تمام مجيع : إذا قام ذكر الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزيات :

لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا يَدْبُرُهُ الْعَالِمُ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ يُرِيئُهُ
فَأَخُو الْعَقْلِ تُمْسِكُ يَتَوَقَّى وَيَخَافُ الدُّخُولَ فِيمَا يَعْيبُهُ
وَأَخُو الْجَهْلِ لَا يَقْدُرُ فِي الْأَمْرِ وَإِنْ أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ ضُرُوبُهُ
رَاكِبٌ رَدْعُهُ كَحَاطِبٍ^(٣) لَيْلٍ يَخْطِئُ الْأَمْرَ كُلَّهُ أَوْ يُصِيبُهُ
تَتَأَنَّى لَهُ الْأُمُورُ عَلَى الْجَهْلِ لَ إِذَا مَا أَرَادَهَا وَتُجِيبُهُ

(١) عيون الأخبار ٧٩/٣ ، ورد البيت الثالث فيها أيضا ٨/٣ ضمن أبيات منسوبة إلى أبي العتاهية .

(٢) ب : والغيران .

(٣) ب : كحاطب . وراكب الردع : من يعصى في حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : الخلط الذي يصيب مرة ويخطئ أخرى .

وَأُخُو الْعَقْلِ بَعْدَ يَنْتَسِجُ الرَّأْيَ فَيَرْضَى وَمَرَّةً (١) يَسْتَرِيه
وَإِذَا صَيَّرَ الْبَعِيدَ قَرِيبًا عَادَ فِيهِ فَازْدَادَ بُعْدًا قَرِيبُهُ
فَهُوَ الدَّهْرُ شَاخِصُ الْقَلْبِ فِكْرًا مَا تَقْضَى هُمُومُهُ وَكُرُوبُهُ

وقال آخر :

أَلَا إِنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ عَيْنًا فُؤَادِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلٌ فَلَنْ يُبْصِرَ الْقَلْبُ
(٢) وقال آخر :

أَرَى زَمَنًا نَوَكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
مَشَى فَوْقَهُ رَجُلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالَى بَارْتِفَاعِ الْأَسَافِلِ (٣)

وقال آخر :

عَذَّبُونِي عَلَى الْحَمَاقَةِ جَهْلًا وَهِيَ مِنْ عَقْلِهِمْ أَلَدُّ وَأَخْلَى
لَوْ لَقُوا مَا لَقِيتُ مِنْ حِرْفَةِ الْعَمَلِ لِي لَسَارُوا إِلَى الْحَمَاقَةِ رِسَالًا
مُحَقِّقِي قَائِمِ (٣١٥) بِقُوْتِ عِيَالِي وَيَمُوتُونَ إِنْ تَعَاقَلْتُ هُزْلًا

قال هشام بن عبد الملك : يُعْرِفُ حَقُّ الرَّجُلِ بِأَرْبَعٍ : بِطَوْلِ لِحْيَتِهِ ، وَشَنَاعَةِ
كُنْيَتِهِ وَنَقْشِ خَاتَمِهِ ، وَإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ . فدخل عليه ذات يوم رجل طویل

(١) ساقطة من ١ .

(٢) ساقط من ١ . وانظر البيت الثاني في البيان والتبيين ١ / ٢٤٦ .

(٣) ب : فأما .

الْعُشُونُ ، فقال هشام : أَمَا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا : ما كنتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر . قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بَدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ^(١) .

وفي خبر آخر : أن معاويةَ جرت له مثل هذه الحكاية ، إِلَّا أَنَّ فِي خِبر معاوية ، قيل له : فما كنتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرّي . قيل له : فما نقش خاتمك ؟ قال : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ ^(٢)

قال يحيى بن الحكم الغزالي :

يَعْرِفُ عَقْلُ الْمَرْءِ فِي أَرْبَعٍ مِشْيَتُهُ أَوَّلُهَا وَالْحَرَكَ
وَدَوْرُ عَيْنِيهِ وَالْفَاطَةُ بَعْدُ عَلَيْهِنَّ يَدُورُ الْفَلَكَ ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبْتُ الرِّزْقَ بِالْعَقْلِ مِنْ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ
فَلَمْ يُكْسِبْنِي الْعَقْلُ سِوَى الْبَعْدِ مِنَ الرِّزْقِ
فَأَدْبَرْتُ عَنْ الْعَقْلِ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَقِّ
فَلَمْ أَتَعِبْ وَلَمْ أَنْصَبْ وَلَمْ أَضْرَعْ إِلَى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحكماء : من الحق التماسُ الإخوان بنير وفاء ، والتماسُ الآخرة

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرياء^(١) . والتماس مودة النساء بالنظرة ، والتماس العلم والفضل بالدعة والخفض .

سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبلى أُمِدِّحْتُ أم هجيت . فقال : استرحت من حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدني بعض شيوخي رحمه الله :

كم كافر بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً يمدّ رجله على قدره
وقال آخر^(٢) :

ما إن يزال ينداد يزاحمنا^(٣) على البراذن أشباه البراذن
أعطاهم الله أموالاً منزلة من الملوك بلا عقل ولا دين
ما شئت من بغلة شقراء ناجية أو من أتان وقول غير مؤزون^(٤)

(١) ب : بالزنا .

(٢) هو عارق بن أدهال الطائي ، كما في البيان ٢٣١/١ .

(٣) ا : نرى جشنا .

(٤) ا : ومن أتان وقول غير مأون ، والبغلة الساجية : السريعة ، انظر الأبيات في البيان والتبيين

٢٣١/١ ، ٢٣٢ ، و ٢١٨/٣ .

بَابُ مِنْ أُجُوبَةِ الْحَقِيقِ

وَمُرَاجَعَةِ السُّخْفَاءِ ، وَالْفَاظِ النَّوْكِ وَالْجُهْلَاءِ

استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً ، فقال : لعن الله المجوس
ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحت أُمِّي . فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله أترونه لو زيد فعل ١١ ؟

قال أبو عبيدة : أُجْرِيَتِ الْخَيْلُ فُطِّلَ مِنْهَا فَرَسٌ سَابِقٌ ، إِذَا رَجُلٌ مِنَ النَّظَّارَةِ
يَكُرُّ وَيَثْبُ مِنَ الْفَرَحِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ : يَا فَتَى ! هَذَا الْفَرَسُ فَرَسُكَ ؟ قَالَ :
لا ، وَلَكِنَّ اللَّجَامَ لَجَامِي .

أرسل رجلٌ من بني عجل بن عُجَيْمٍ فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه :
يَا بَنِي ! بَأَى شَيْءٍ أَسْمِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتُ افْقَأْ عَيْنَهُ وَسَمِّهِ الْأَعْمُورَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

رَمَيْتَنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَيْيِهِمْ وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْوَلُكَ مِنْ عِجْلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنٍ جَوَادِهِ فَأَضْحَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ^(١)

قال أبو كعب القاصّ في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة
ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

(١) انظر البيهقي في وفیات الأعيان ٢٨٦/١ ، المحاسن والمساوي للبيهقي ٢٢٦/٢ .

وقال أيضاً في قصصه : إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ (١) ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسیغه .

قيل لبرذعة الموسوسر : أيما أفضل غيلان أم مُعَلَّى ؟ قال : مُعَلَّى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مُعَلَّى إلى جنازته ، فلما مات مُعَلَّى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة بينداد إلى بعض ولاتها على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسب به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِيٌّ قَدْرِيٌّ نَاصِبِيٌّ رَافِضِيٌّ ، من الخوارج ، يبنضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل على بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدري على أى شيء أحسُّدُك ؟ أعلى علمك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون فى أمر معاوية وعلى ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ (٢) طويلة ،

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) السلة بالتحريك : ١٠ على الشارب من الشر ، أو ما على الذقن منه إلى طرف اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون في أمر عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان ! فقال له أحد القوم :
وتعرف أنت مَنْ عليٍّ^(١) ومعاوية وفلان وفلان^(٢) ؟ قال : نعم ! أوليس هو
أبو فاطمة ؟ قال : وَمَنْ كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت
سُدَّة أخت معاوية . قال : فما كان قصة عليٍّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صلى
الله عليه وسلم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال :
أصالح الله الشيخ ، لقد سمعتُ في السوق الساعة شيئاً منكراً ، ولا ينكره أحد
قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتُهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟
قال : سمعتُهم يشتمون معاوية . قال : يا أخي ليس معاوية بنبيٍّ . قال : فبه نصف
نبيٍّ لم يشتم .

قال عمرو بن بحر : ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً
فغضب وشتمهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً . قال : فأتته يوماً فسأله
عن سبب إنكاره على الشيعة وَلَعَنِهِ لهم فقال : لمكان الشين في أول الكلمة ،
لأنني لم أجد ذلك قط إلا في مَسْخُوط ، مثل سُومٍ وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشَيْصٍ وَشُجٍّ
وَشَعْبٍ وَشَعْبٍ وَشِرْكٍ وَشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطْرَ نَجٍ وَشَيْنٍ وَشَانِيٍ وَشَحْطٍ وَشَوْصَةٍ
وَشَوْكٍ وَشَكْوَى وَشَنَانٍ . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظن أن^(٢) القوم يقيم
الله لهم علماً مع هذا أبداً .

(٢) ب : منبأ .

(١) ساقط من أ

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ، وكان إذا سلم من صلاته في جماعة أو وحده ، يقول : السَّلام على المملكين الكاتبين لأبي بكر وعمر ، وكان أُلثغ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقل ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر درهماً ، فقالوا له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً ، فلما يَرَوُه ، قال :

يلومون في مُحَقِّهِ بِأَقْلًا كَأَنَّ الْحِمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِي عِيِهِ فَلَعِمِي أَجَلُ بِالْأَنْحَقِ^(١)
خُرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحُ الْبَنَانِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمُنْطِقِ^(٢)

ذكر الصَّولي عن ابن الجوهري ضرباً من العي والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرمين ، ولا إله إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل الله خير عوائق الأمور .

رأى معاوية بن مروان بن الحكم هار طاحوناً في عنقه جُلُجُل في حنوت طحان ، فقال له : ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشغل في علاجى وطلب

(١) : بالموق .

(٢) الأبيات في المحاسن والساوى ٢/٢٢٧ ،

معيشتي خارج الخانوت ، وبحركة الجبل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشى ، فقال له معاوية : أرايت إن وقف الحمار وحرك رأسه فتحرك الجبل ؟ قال الطحان : ومن الحماري بمثل عقل الأمير ؟

ومعاوية هذا هو الذي أمر بخلق باب المدينة إذ انقلت له البازي .

قال طحطاح^(١) لابنه يوماً : ما الذي تشتهي ؟ قال : رأسي كبش . فقال له أبوه : لا يكون للكبش رأسان ، قال : فرأس كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنف : ما لكم تحلقون لحاكم ؟ فقال : إن البرد^(٢) لا تعرف إلا بحذف أذناها .

دخل راكب البريد يوماً على المأمون ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟ فقال له : بعد غد يا أمير المؤمنين . فقال له المأمون : فإذا أتيتنا^(٣) وبيننا وبينك مرحلتان .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أشكو دُملاً أهلكني ، وزكاماً أضرنى . قال له : فقد بلغنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض إلا على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة . فأنشأ الأعرابي يقول :

(١) ب : سلفاح .

(٢) الرد : خيل البريد ، وكانت تقس أذناها لتعرف نفسها .

(٣) ساقطة من ب .

أَيْحَسَدُنِي إِبْلِيسُ دَايِنَ أَصْبَحَا بِرَأْسِي وَإِسْتِي دُمْلًا وَزْكَامًا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِي وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً زُبًّا لَا يَطِيقُ قِيَامًا^(١)

وقال أبو نواس :

قَدْ أَضْرْتُ بِي^(٢) دَمَامِي لِي عَلَى الظَّنِّ مِلْحَةً
لَيْتَهَا فِي عَيْنٍ مَنْ يَحُدُّ سَبْهَا مَالًا وَصِحَّةً^(٣)

مسلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة ، ف قيل له في ذلك ،
فقال : كان على عيني إنسان لا أكله .

وقال فزارة يومًا في مجلسه : لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت ، أو أغسلها
مرتين . وفيه يقول ابن المعتدل :

وَمِنَ الْمَظَالِمِ أَنْ تَكُونَ عَلَى الْمَظَالِمِ يَا فَزَارَةَ^(٤)

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصابع الله القاضي ، لي عند هذا الزاني
ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضي لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى
خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا فيما يقول ، وأنا منكر لما يدعيه . فقال للمدعي :
هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين فجلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

(١) البنان لأعرابي يدهى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ٢٠٦/١ .

(٢) ب : به .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) البيت في بنية الدهر ٢٣٤/٢ ، وفيها : ومن المظالم أن قدمت . ، الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه .
فقال لهما : قد قبلتكما . قم يا زاني ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه :
أيها القاضي ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي^(١) وقذف أمي بجملهم ، فما الذي
استحللت به أنت ذلك مني ؟ فقال : والله يا ابن أخي^(٢) ما حسبت إلا أنه اسمك
واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديته .

مر قاض بواسط أو بمحصر على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلاً قد صنع
معزفاً ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! في هذا الشهر المبارك تعمل آلاتِ اللهو
وظروف الشرِّ فقال : أصلح الله القاضي ، إنما هي مِقلّة . قال : لعن الله الشيطان !
ما حسبتها إلا معزفاً ، فهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون
مقلّة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضي ! إني أطلبها بالقار ، فلا تؤثر
فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّي رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى
وليس عنده ما يضحى به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له :
لا تقم ، فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمّته ، فإذا كان عيدُ الأضحى ذبحناه .
فلما كان يومُ الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه
وفشا الخبر في الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقوا للقاضي ، ورثوا لقلّة ذات يده ،

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : يا أخي .

فأهدى إليه كل واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أ كبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمَت جماعتهم — ما ترى . قال: ويحك! احتفظى بديكنا هذا فما فدىَ إسحاق بن إبراهيم^(١) إلا بكبش واحد ، وقد فُدىَ ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف مني أن الفدى هو إسماعيل بن إبراهيم وليس إسحاق .

باب المَلَح وما به النفس تَرْتَاخُ من مُبَاحِ التَّرَاحِ

قال الْأَصْمَعِيُّ : وَصِلْتُ بِالْعِلْمِ ، وَكَسَبْتُ بِالْمَلَحِ .

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد : قلت لأشعب : أنت شيخ كبير ، فهل رويت شيئاً من الحديث ؟ قال : بلى ! حدثني عكرمة عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة . قلت : وما هما ؟ قال : نسيت أنا واحدة ، ونسى عكرمة الأخرى .

كان أشعب الطامع كثير الإلمام بإسلام بن عبد الله بن عمر ، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله ، ففُتِعَ الباب من الدخول عليه من أجل عياله ، وقال : إنهم يأكلون . فقال عن الباب ، ونسور عليهم الحائط ، فلهما رآه سالم ، قال : سبحان الله يا أشعب ! على عيالي وبناتي تنسور . فقال له : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴾ . فقال له : انزل يأتك من الطعام ما تريد .

أخذ قومٌ في قطع ، فَقَدَّمُوا لضرب أعناقهم ، فقام منهم واحدٌ ، وقال : الله الله فيَّ ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه ، وإنما كنت أشرب معهم وأغني لهم ، فقالوا : هاتِ فغن لنا ، فارتجت عليه الأسمار إلا قول الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالْمُقَارِنِ مُقْتَسِدِي^(١)

(١) سورة هود ، الآية ٧٩ .

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢ ، والبيت لمدى بن زيد العبّادي كما في مجموعة الماني ١٤ ، الشعر والشعراء .

١٣٢ محاسبة البحتري ٢٣٦ ، فصل المقال ٢٤٣ .

فَقَالُوا^(١) : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراءِ خُرَّاسانَ يتشائمُ بالحوولِ ، ففتى رأى أحوولَ ضربه بالسَّياطِ ، وربما ضربَ بعضهم خمسمائةَ سوطٍ ؛ وَحَدَّثَ أَنَّهُ رَكَبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فرأى أحوولَ فأمرَ بضربه ، وكان الأحوولُ جلدًا ، فلما فرغ من ضربه ، قال له : أيها الأميرُ ! أصلحك الله ، لِمَ ضربتني ؟ قال : لأنني أنشأتم بالحوولِ . قال : فأينا أشدُّ شؤمًا على صاحبه ، أنت رأيتني ولم يصبك إلَّا خيرٌ ، وأنا رأيتك فضربتني خمسمائةَ سوطٍ ، فأنت إذاً أشدُّ شؤمًا . فاستجيا منه ولم يضرب بعده أحدًا .

كانت في سعيد^(٢) بن فروخ بن القطان ، والد يحيى بن سعيد الفقيه ، غفلة شديدة مشهورة ، فخرج يوم الجمعة وقد تهيأ للصلاة ، فلقى رجلاً من أهل البصرة كثير المزاح ، فقال له : قد أخروا الجمعة إلى غد ، فقال : حسن . ورجع إلى منزله .

كان إسماعيل بن يسار^(٣) الشاعر قد خفَّ على عروة بن الزبير^(٤) حتى زامله مرَّةً في بعض أسفاره ، فقال ليلةً في سفره ذلك لعلامة : انظر هل اعتدل المَحْمِلُ ؟

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في الأغاني ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقطة من ب .

فقال له الزلام : ماهو إلا معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحقّ والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعيّ: قدم تاجرٌ من أهل الكوفة المدينة بأخرة فباعها كلها إلا الشؤد منها، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارميّ الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارميّ تنسك ، وترك الشعر والنماء . فقال له : لاتهمّ بذلك فإنّي سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الحمار^(١) الأسودِ ماذا صمّعتِ بزاهدٍ مُعَبِّدِ
^(٢) قد كانَ شمراً للصلاةِ ثيابَهُ حتى عرّضتِ لهُ يبابِ المسجدِ
 رُدّي عليه صيامَهُ وصلاتهُ لا تقتُلِيه بِحقِّ دينِ محمدٍ^(٣)

فشاع قوله الدارميّ هذا في الناس ؛ وقالوا : رجع الدارميّ عن نسكه ، وعاد إلى فتسكه^(٤) ، فلم يبق في المدينة امرأةٌ ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفدت ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدارميّ ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد . والدارميّ هذا أصله مكّي ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك^(٥) ، وهو القائل :

(١) : القاع .

(٢) : ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وذات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغاني ٣/٤٨ .

(٣) : اليك : المجون .

(٤) : انظر في ترجمته الأغاني ٣/٤٥ — ٥٠ .

ولما رَأَيْتُكَ أَوْلَيْتَنِي أَلْ قَبِيحَ وَبَاعَدْتَ عَنِّي الْجَمِيلَا
تَرَكْتُ وَصَالَكَ فِي جَانِبٍ وَصَادَفْتُ فِي النَّاسِ خِلَا بَدِيلَا^(١)

طُوَيْسُ الَّذِي تَضْرِبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الشُّؤْمِ ، هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَوْلَى لِبْنِي مَخْزُومٍ ، وَاسْمُهُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْخُلَا وَالْمَجُوفَ
بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَغْنِيَا يَضْرِبُ الدَّفَّ ، وَسُئِلَ عَنْ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ : وَلِدْتُ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفُطِمَتْ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخُتِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَمْرٌ ، وَتَزَوَّجْتُ
يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَوُلِدْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ^(٢) بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٣) فَيَقُولُونَ فِي أَمْثَالِهِمْ
السَّائِرَةِ . أَشْأَمُ مِنْ طُوَيْسٍ^(٤) .

كَانَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَالنَّاسُ يَتَنَاظَرُونَ فِي الْفَقْهِ عِنْدَهُ ، وَمَعَهُ
شَيْخٌ يَطِيلُ السَّكُوتَ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا^(٥) : لَوْ سَأَلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
فَقَالَ : إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَفَايَ حِكْمَةً ، أَفْتَرَى لِي أَنْ أَحْتَجِمَ ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي صَرَّنَا مِنَ الْفَقْهِ إِلَى الْحُجَامَةِ .

مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ يَوْمًا رَجُلٌ يَقُودُ حِمَارًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَرْدَانٌ . قَالَ :
وَمَا اسْمُ حِمَارِكَ ؟ قَالَ : عِمْرَانٌ . قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَاخْلَافَاهُ^(٦) !

مَرَّ رَجُلٌ مَعَهُ كَلْبٌ بِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَثَّابٌ .

(١) الْبَيْتَانِ فِي الْأَغَانِي ٤٥/٣ . (٢) سَاقَطَ مِنْ ب .

(٣) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ٢٧/٣ وَمَا بَعْدَهَا .

(٤) سَاقَطَ مِنْ ب .

(٥) يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ خِلَافَ الَّذِي يَجِبُ ، وَلَوْ تَبَوَّدَتِ الْأَسْمَاءُ لَاتَنَفَّتِ الْغَرَابَةُ .

قال : وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو . فقال ابنُ أبي عتيق : واخلافه ،
وأُنشد :

وَلَوْ هَيَّا لَهُ اللَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ أَسْبَابًا
لَسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَّابًا^(١)

أُنشد رجل زَبَّان^(٢) السَّوَّاق ، قول إسماعيل بن يسار :

مَاضِرٌ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ حَاشِقٌ بِفَنَاءِ يَبْتِكِ أَوْ أَلَمَ فَسَلَّمَ^(٣)

فبكي زَبَّان^(٢) ، وقال : لاشيء والله ، إلا الضَّجَرُ وسوء الخلق وضيق الصدر ،
وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيل لمدني : أما تتقى الله ، تؤذى جيرانك ؟ قال : فن أؤذى إذا^(٤) ؟
أؤذى من لا أعرفه !

كان الفرزدق جالساً في حلقة الحسنِ رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد !
ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلانٌ طَلَقْتُ امرأتِي ، وأعتقت
عبدِي ، وفعلت وفعلت ولا نِيَّةَ له في ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سعيد : قد قلت

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٢٩٥ .

(٢) ١ : ريان ، وانظر القصة والاختلاف في هذا الاسم أيضاً في الأغاني ٤/ ٤١٥ .

(٣) العقد الفريد ٣/ ٦٢ ، الأغاني ٤/ ٤١٤ .

(٤) ساقط من ١ .

أنا في ذلك . فقال : وما قلت يا أبا فراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلتُ :

ولستَ بمأخوذٍ بشيءٍ تقوله إذا لم تُعمد^(١) عاقداتِ العزائم^(٢)

قال الحسنُ : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندرُ جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلاً أعرج ، فأمر بإسقاطه ،
فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تمجيباً
منك لحبك آلة الهروب ، وكرهتك آلة الوقوف ، لأن معي آلة الوقوف في الحرب
وتسقطني ، فأمر بإثباته في خاصته ،^(٣) وأسنى رزقه^(٤) .

سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أخلق من الطير أنني أعارُ جناحي طائرٍ فأطير^(٥)

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي اقل : غاقٍ تطير . شبهه بالغراب لشدة
سواده .

هاج بأبي عاقمة الأعرابي الدم ، فأتوه بحجّام ، قال له : يا حجّام ! اشدّد قصبته

(١) : تحاضر .

(٢) : شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بهي ، معاضرات الأدباء ١١٢/١ ، ١٣٠ .

(٣) : ساقط من أ .

(٤) : انظر البيت والمجرى في الأغاني ١/٣٦٤ ، مع اختلاف في الرواية .

المِلْزَمُ^(١) ، وأَرْهَفَ طُبَّةَ^(٢) المَشْرَطِ ، وأسْرَعَ الوَضْعَ ، وعَجَلَ النَّزْعَ ، وليَكُنْ شَرْطُكَ وخَزْأً ، وَمَصَّكَ نَهْزاً . فقام الحجام ناهضاً ، وقال : أنتظر حتى يأتِكَ ابنُ القَرْيَةِ فيحْجِمَكَ .

قال الهيثمُ بنُ عديّ : كنت يوماً بكناسة الكوفة^(٣) إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدّواب ، فقال له : اطلب لي حِمَاراً ليس بالصغير المحتَقَر ، ولا بالكبير المشتهر ، إن خلا الطريقُ تدفق ، وإن كثّر الزحامُ ترفق ، لا يصادم في السّواري ، ولا يدخل تحت البواري ، إن أقللتُ عَلفَه صَبِر ، وإن أكثرتُ له شُكْر ، وإن ركبته هام ، وإن ركبه غيري نام . فقال له النخّاس : اصبر يا عبد الله ، فإذا مُسِخ القاضى حماراً ، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى .

خطب أبو القُطوف إلى قومٍ وَلِيَّةٌ لَهُمْ ، فأجابوه ، وقالوا : لَهَا من الصِّياع والمال كذا وكذا ، فما مَالُكَ أنت ؟ قال : إن كنتم صادقين فإنّ مالها يكفيني وإياها ما عشنا ، فما سؤلُكم عن مالي ؟

وقال عبدُ الملك بنُ عبد الحميد الخارثي :

يَا أُخْتَ كِنْدَةَ عَافِي شِرْبِ عُثْمَانَ . وَأَزْمِئِي لَبَنِي عَوْفٍ^(٤) بِهَجْرَانِ

(١) ب : اللام ، والمالزم كمنبر : خشبتان تشد أوساطهما بمحديدة .

(٢) ب : طيه ، وطبّة المشرط : حده .

(٣) الكناسة : مجلة معروفة بالكوفة ، انظر معجم البلدان لياقوت ٧٢/٢ .

(٤) ب : بني أود .

يَا أُخْتَ كِنْدَةَ سِيرِي سَيْرَ سَاخِطَةٍ
يَا أُخْتَ كِنْدَةَ لَيْسَ الرِّزْقُ فِي يَدِهِ
الْمَاءُ فِي دَارِ عُثْمَانَ لَهُ ثَمَنٌ
عُثْمَانُ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَمْدَ ذُو ثَمَنِ
وَالنَّاسُ أَكْبَسُ مَنْ أَنْ يَمْدَحُوا أَحَدًا
اغْسِلْ يَدَيْكَ بِأَشْنَانٍ وَأَنْقِهَا
وَأَسْلَحْ عَلَى كُلِّ عُثْمَانَ مَرَرْتَ بِهِ
كِي تَنْتَوِي مُنْتَوَى^(١) غَضْبِي وَغَضْبَانِ
الرِّزْقُ فِي يَدٍ مِنْ لَوْ شَاءَ أَغْنَانِي
وَالْخَبْرُ فِيهَا لَهُ شَانٌ مِنَ الشَّانِ
لَكِنَّهُ يَسْتَتِيهِ حَمْدًا بِمَجَانٍ^(٢)
حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانِ
غُسْلَ الْجَنَابَةِ مِنْ مَعْرُوفِ عُثْمَانَ
إِلَّا الْخَلِيفَةَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ^(٣)

وقال الليث الحجام :

حَلَقْتُ بِمُوسَى الْهَجْرَ نَاصِيَةَ الصَّدِّ
قَصَصْتُ بِمُقْرَاضِ الْقِلَاحِ حُجَّةَ الْوَفَا
وَشَعْرَ سِبَالِ الْوَصْلِ صِرْتُ مُتَتَفِّأً^(٤)
وَمَا زِلْتُ مُصَاصًا بَغِيرٍ إِسْلَاقٍ
وَأَجْرِيْتُ مُشْطَ الصَّدِّ فِي طَرَةِ الْوُدِّ
فَجَبَنَةُ رَأْسِ الْوُدِّ مَكْشُوفَةُ الْجُلْدِ
ظُلُومًا^(٥) بِمَنْقَاشِ الْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ
بِمَحْجَمَةِ الْخُلْفِ الْقَبِيحِ دَمَ الْوَعْدِ^(٦)

(١) : يستوى سفرى .

(٢) ب : لُحْن .

(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس في وفيات الأعيان ٦٧/٦ ، والسادس والسابع في نهاية الأرب ١٠٨/٣ ، محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، المستطرف ٩٨/١ ، عيون الأخبار ١٥٩/٣ .

(٤) ب : منقياً .

(٥) ١ : طلوباً .

(٦) محاضرات الأدباء ٥٦/٢ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسون ويلعنونني .
قال حُسَيْنُ المعروف بالجلل الشاعر : كان أحمد بن المدبر بدمشق يقصده الشعراء
فن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر ردىء وكل به من يحمله إلى الجامع
فلا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة . قال فدخلتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنِ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُتَّبَعُ الْوَلَاةُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمِدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَيْكَ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا يُغْنِي عِيَالِي صَلَاتِي إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ
لِيَأْمُرَ لِي بِكُسْرِ الصَّادِ مِنْهَا فَتَضْحَى لِي الصَّلَاةُ هِيَ الصَّلَاتُ^(١)
قال ، فقال لي : أخذت هذا من قول أبي تمام :

هِنَّ الْحَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِنٍ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ^(٢)
قال الرياشي : خرج الناسُ بالبصرة ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ،
ولم يزل يوميئُ إليه حتى رآه غيره وعاینوه ، فاما كان هلالَ الفطر ، جاء الجارُ إلى
ذلك الرجل ، فدقَّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجلل والمتوفى سنة ٣٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء
١٢١/١٠ ، ١٢٢ زهر الآداب ١٨١/٢ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب المَزاحِ إِبَاحَةً وَكَرَاهَةً

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقا .

قال غالب القطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحا فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت ^(١) إنا لله وإنا إليه راجعون افضحك ^(٢) وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٣) .

جاءت امرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرت أن أهدي البصرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تهدي بصرتهم ، ولو تركوك ما قدرت ، كُفِّرِي عن عيئك .

وفي الحديث المأثور : « أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَبْسُكِي وَيَضْحَكُ ، وَكَانَ

(٢،١) ساقط من ب .

(٣) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ ، فَكَانَ خَيْرُهَا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .
 قَالَ خَلِيفَةُ بْنُ زَيْدٍ : كَانَ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ مَزَاحًا ، وَكَانَ يَقِفُ عَلَى أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِي
 فَيَمَازُجُهُ . قَالَ حَمَّادٌ : وَجَاءَ خَلِيفَةُ الْأَقْطَعِ يَوْمًا إِلَى أَيُّوبَ ، وَأَنَا غَلَامٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ
 لَهُ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَتَى (١) اسْتُحْدِثَ هَذَا (٢) ؟ أَيْ مَتَى طَلَبَ هَذَا الْحَدِيثَ .
 وَرَوَى هَارُونَ بْنُ مُوسَى الْأَعْمُورِيُّ عَنْ سَالِمٍ (٣) الْعَلَوِيِّ ، قَالَ : قَالَ لِي الْحَسَنُ : خَلَّ
 بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ هِلَالِهِمْ حَتَّى يَرَاهُ مَعَكَ غَيْرُكَ .
 وَكَانَ شُعْبَةُ يَقُولُ : سَالِمُ الْعَلَوِيِّ يَرَى الْهَلَالَ قَبْلَ النَّاسِ بِلَيْلَتَيْنِ .
 قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : النَّاسُ فِي سَجْنٍ مَالَمْ يُمَازَجُوا .
 مَزَحَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا عَمْرٍو أَقْتَمَزَحَ ؟ قَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا مَتَنَا
 مِنَ النَّعْمِ ، فَدَاءُ (٤) دَاخِلٌ ، وَهَوَاءُ (٥) خَارِجٌ .
 كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ يَذَاعِبُ وَيَضْحَكُ حَتَّى يَسِيلَ لَعَابُهُ ، فَإِذَا أُرْدَتْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ
 دِينِهِ كَانَتْ الثَّرِيًّا أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ .

أَتَتْ ابْنِ سِيرِينَ امْرَأَةُ الْفَرَزْدَقِ شَاكِيَةً ، فَلَمَّا خَرَجَتْ تَمَثَّلُ :

(١) سَاقَطَ مِنْ ب ، وَاسْتَحْدِثَ هَذَا : لِإِشَارَةِ إِلَى الْغَلَامِ .

(٢) أ : سَلَمٌ ، وَكَرَّرَ الْأَسْمَ بَعْدَ ذَلِكَ صَحِيحًا .

(٣) ب : فَرَا .

(٤) ب : فَرَا .

لقد أصبحت عرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو زِصيتُ زُبَّ استِهٍ لاستَقَرَّتِ^(١)

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فعجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبئتُ أنَّ فتاةً كُنتُ أخطبُها عُرُوبُها مثلُ شهرِ الصَّومِ في الطُّولِ^(٢)
ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مُرَّة بيت شعر غزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المَزاح لما فيه من ذميمة العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء المداواة المَزاح .

كان يقال : لو كان المَزاح فخلاً ، ما أُلْقِحَ^(٣) إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيا فيجترى عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المَزاح أمام الكلام فأخره الشتم واللطم .

(١) البيت لجريز ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استِه ، عيون الأخبار ١/٣١٧ وفيه : رشح .

(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .

(٣) ١ : ما أُلْقِح .

قال جعفر بن محمد : إياكم والمُزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح ، ويقول : يسقط أحدهم أخاه بأحرّ من الخردل ويضحكه بأصلب من الجندل^(١) ، ويفرغ عليه أشد من غلى الرجل ، ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحٌ صَدِيقُكَ^(٢) مَا أَحَبَّ مُزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جِمَاحًا^(٣)
فَلَرُبَّمَا مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمَزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ^(٤) عَدَاوَةٍ مِفْتَاحًا^(٥)

وقال ابن وكيع :

لَا تَمَزَحَنَّ فَإِنَّ مَزَحْتَ فَلَا يَسْكُنُ مَزْحًا تُضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرِ مِمَّا زَحَّةً تَعُودُ عَدَاوَةً إِنَّ الْمَزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ^(٦)

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لِي صَاحِبُ لَبْسٍ يَخْلُو لِسَانُهُ عَنْ جِرَاحٍ

(١) ساقط من ب . (٢) ١ : أخاك .

(٣) ١ : مزاحا . (٤) ١ : لبد .

(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ : فصل المقال ١٠٠ .

(٦) نسب البيتاني في معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادي

يُحِيدُ تَمَزِيْقَ عِرْضِي عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاجِ^(١)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكك استخفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشى فى غير أرب ، والضحك من غير سبب .

قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لا تمارحوا فيستخفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم^(٢) أ كفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن على بن المعتصم :

الْكِبَرُ ذُلٌّ وَالتَّوَاضُّعُ رِفْعَةٌ وَالْمَزْحُ وَالضَّحِكُ الْكَثِيرُ سُقُوطٌ
وَالْحَرَصُ ذُلٌّ وَالْقَنَاءَةُ عِزَّةٌ وَالْيَأْسُ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ قُنُوطٌ
وقال آخر :

فِيَاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالذَّنِسَ النَّذْلَ

(١) محاضرات الأدباء ١/ ١٣٧ .

(٢) ١ : فيزدرى بكم .

١) ويذهب ماء الوجه بعد بهائه وَيُورِثُهُ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ ذُلًّا ١

وقال آخر :

ما أقبح الكذب المذموم صاحبه وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال آخر :

للجِدِّ مَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ فَالْتَمَسْنِ بِالْجِدِّ حَظَّكَ لَا بِالْهَزْلِ وَاللَّيْبِ لَا يَلْبِثُ الْهَزْلُ أَنْ يَخْنِي لِصَاحِبِهِ ذِمًّا ، وَيُذْهِبَ عَنْهُ بِهِجَةَ الْأَدَبِ لَا خَيْرَ فِي الْهَزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ وَاهْرُبْ بِعِرْصِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الْهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلَقَى الْفَقَى يَلْتَقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنٍ مِنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَاتَ نَارُكَ فِي الْحُشَا تَدَسَّعُرُ أَلْهِيَّتَنَا وَطَفِيقَتَ تَضْحَكُ لَاهِيًا عَمَّا بِهِ وَفَوَادُهُ يَتَفَطَّرُ أَوْ مَا عَلِمْتُ وَمِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنْ الْمَزَاحُ هُوَ السَّبَابُ الْأَكْبَرُ ٢

فهؤلاء كرهوا المزاح وذمموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لَا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا هَمَّ فِي حَدِيثِكَ وَالْذُّعَابَةِ

(١) ساقط من ب ، ويروي البيهقي بروايات أخرى ، انظر حماسة البحتري ٤٠١ ، محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، المستطرف ٢٩٣/٢ ، نهاية الأرب ٧٤/٤ .
(٢) المعقد الفريد ٣٢/٦ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلَا مِ لِأَهْلِهِ عِنْدَ الْخُطَابَةِ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلْ مَا أَغْفَلْتَهُ دُونَ الْإِصَابَةِ

وقد أكثر أهل الأدب في التزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ،
ورأيت الاختصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :
أَخُو الْجِدِّ إِنْ لَأَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ^(١)

ش (١) البيت في جماسة أبي تمام ٦١/٢ ، الركامل ١/٢٢٢ .

بابُ مدحِ الصدِّقِ والأمانةِ ، وذمِّ الكذبِ والخيانةِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حَدَّثَ صدَقَ ، وإذا وعدَ أنجزَ ، وإذا أُوْتِئَ وفي ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلفَ ، وإذا أُوْتِئَ خانَ . »

وقال صَلَّى الله عليه وسلم : « لا تزالُ أُمَّتِي بخير ما اتَّخذوا الأمانةَ مِنِّمًا ، والصدقَ مَغْرَمًا . »

قالت عائشة رضي الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بم يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولبين كلامه ، وصدق حديثه . »

وقال صَلَّى الله عليه وسلم : « أَدُّ الأمانةَ إلى من ائتمنك ، ولا تخنُ من خانك . »
وقال سعدُ : كلُّ الخصال يُطبع عليها المؤمن ، إلا الخيانة والكذب .

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : من كُفِّت له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حَدَّثَهم صدقهم ، وإذا ائتمنوه لم يخُنْهم ، وإذا وَعَدَهم وفَّى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معوتهم .

قيل للقيمان الحكيمة : ألسنتَ عبدِ بني فلان ؟ قال : بلى . فبلى : فما بلغ بك

ما ترى ؟ قال : تقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني .

قال نافع : طاف ابن عمر سبعاً ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت ! فقال ابن عمر : أتم أكثر منا طوافاً وصياماً ، ونحن خير منكم ، نحن نلتزم صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجاز الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ فِي الصِّدْقِ الْخَلَّاصَ مِنَ الدَّاسِ
وَدَعْ الْكَذُوبَ لِشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ ، الْخُرَسِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

الصِّدْقُ أَوْلَى مَائِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَاجْعَلْهُ دِينًا
وَدَعْ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا أَهِينًا

وله أيضاً :

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا فَالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقَّةً
أَمْسَى الصِّدُوقُ^(٢) كَثِيرًا ۖ

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصديق .

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلُّ ذُو مُكَاذِبَةٍ أُمْسَى التَّصَادُقُ لَا يُسْقَى بِهِ الْمَاءُ^(١)

قال الحسن البصري : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة .

قال الشاعر :

إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْأَمِيرُ شَرِيكُهُ فِي الْمَأْثَمِ

قال الفريابي^(٢) : كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثير الله في المسامين أمثالك .

قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ سَمَّيْتَ الْخُثُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدٍ^(٣)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : الفريابي ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابي ، صاحب النووى والأوزاعي ،

انظر مشقه النسبه للذهبي ٥١٤/٢ .

(٣) مجازرات الأدباء ١٤١/١ ، المستطرف ٢٧/١ .

وقال محمود الوراق :

تَصْنَعُ كَيْ مَيَّالَ لَهُ أَمِينٌ وما معني التَّصْنِيعِ لِلْأَمَانَةِ^(١)
ولم يُرِدِ الإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ^(٢)

وقال آخر :

هُوَ الذَّنْبُ أَوْ لَلَّذَنْبُ أَوْفَى أَمَانَةٍ وما مِنْهُمَا إِلَّا أَذْلُ خُيُونُ

استراح رجل إلى جليس له في السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل تَرْضَى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لي ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أنت امرؤٌ إِمَّا ائْتَمْتِكَ خَائِيًا فُخْتُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قُلْتَ يَبْتَنَّا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٣)

أنشدني علي بن إسماعيل لنفسه :

لَا يُرَى إِلَّا لِلدُّنْيَا طَالِبًا فِيهَا دِيَانَةً

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٦٩ ، المقصد الفريد ٢/٢٢٦ ، وفيه . تصوف كي يقال ، وما يعنى

التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلووى ، انظرهما والقصص في حماسة أبي تمام ٢/٩ ، وانظر مجموعة المعاني ٧١ ،

محاضرات الأدباء ١/١٩٠ .

وَإِذَا قِيلَ آمِينَ قَدْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
وَقَعَ التَّخْصِيلُ مِنْهُ بَيْنَ غَدْرٍ^(١) وَخِيَانَةٍ

وقال آخر :

لَا يَخُونُ الْأَمِينُ شَيْئًا وَلَكِنْ رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَوُونَ أَمِينًا
وقال آخر :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَعْتَدُهُ لَكَ نَاصِحًا وَمُؤْتَمِنًا بِالْغَيْبِ غَيْرُ آمِينَ^(٢)
وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ :

يَا لَلرُّجَالِ لِقَوْمٍ قَدْ بَلَوْتُهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
مَاذَا تَظُنُّ بِقَوْمٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصَرَّحُ الشُّعْثِ سَمَوُهُ الْأَمَانَاتِ

وفي الحديث المرفوع : « الصدق يهدي إلى البرِّ ، والبرُّ يهدي إلى الجنة ،
والكذب يهدي إلى الفُجُور ، والفُجُور يهدي إلى النار » .

يقال : صَدَقَ وَبَرَّ ، وكَذَبَ وَفَجَرَ .

قال بعض الحكماء : مَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ جَازَ كَذِبُهُ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذْبِ لَمْ
يُجْزُ صِدْقُهُ .

(١) : غدر ،

(٢) نسب البيت في حماسة البحتري ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولي ، وابتطره في محاضرات الأدباء
٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : أَلَا رَبُّ مَنْ تَفْتَشُهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُؤْتَمِنٌ ... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرِفَ الكَذَابُ بالكِذْبِ لم يكن لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادقاً
ومن آفة الكَذَابِ نسيانُ كِذْبِهِ وتلقاهُ ذا حِفْظٍ إذا كان حاذقاً

وقال آخر:

لا يكذبُ المرءُ إلّا مِنْ مَهَاتِهِ أو عَادَةِ السُّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ^(١)
قال بعضهم : ما أراي أوجر في ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأنى أدعه
اتقاء^(٢) .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع^(٣) .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لا كذب كذبة يتحدث بها
الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت
الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْخَدِرِ سَائِلِ^(٤)

(١) التنبيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ١٠/٢ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير اسبغة .

(٢) ١ : إلقاء .

(٣) ١ : الصدق عدو الكذب .

(٤) سبق البيتان في ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى في لباب
الأدب ٣٦٠ ، البيان ٣٢٩/٢ ، وقد نسب بعض هذا الشعر في المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بني ! احذر الكذب فإنه شهي كلحم العصفور ، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعي : قيل لكذاب : ما يملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تفرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .
قال جميل العذري :

لما الله من لا ينفع الوذ عندَه وَمَنْ حَبَلُهُ إِنْ مَدَّ غَيْرُ مَسْتِينَ
وَمَنْ هُوَ ذُو لَوْنَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى خُلُقٍ خَوَّانٍ كُلِّ أَمِينٍ^(١)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خانك» .

بابُ الحقِّ والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثَقِيلٌ ، فمن قَصَرَ عنه عجز ، ومن جاوزَه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشيع بن نهشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرئ وإن قَدُم » .

وقال عليه السلام : « رحم الله عمرَ بن الخطَّاب ، تركه الحقُّ ليس له صديق » .

لما استخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمُعَيقِب الدَّوسِي^(١) : ما يقول النَّاسُ في استخلافِي عُمر ؟ قال : كَرِهَهُ قَوْمٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضَوْه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقَّ يبدو كريهاً وله تكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قصَدَ إلى الحقِّ اتَّسعت له المذاهبُ حُجَّةً ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤ عرف قدره .

قالوا : الحكمةُ تدعو إلى الحقِّ ، والجهلُ يدعو إلى السَّفَه ، كما أنَّ الحجةَ تدعو إلى المذهبِ الصَّحيح ، والشبهةُ تدعو إلى المذهبِ الفاسد .

(١) هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي الأزدي ، كان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات في خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠ ، ٢٥٤ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعض الحكماء : من جهلك بالحق والباطل ، أن تريد إقامة الباطل
يابطال الحق .

قال أعرابي ، وقد ذكر عنه الإصلاح والإفساد ، فقال : لا تمنعن كثيراً
من حق ، ولا تضمن قليلاً في باطل ، فما حرك حق وباطل إلا كان لهما شهود .

قال بعض الحكماء : لا يُعدُّ الرجل عاقلاً ، حتى يستكمل ثلاثاً : إعطاء الحق
من نفسه في حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألا ترى
له زلة عند ضجره . وقد تقدّم قول أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف :

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذهبُهُ^(١)

ولأبي العتاهية أيضاً :

الباطل الدهر يُلقى لا ضياءَ له والحق أبلغ فيه النور يأتلق^(٢)

لها احتضراً أبو بكر الصديق ، أرسل إلى عمر ، فقال . يا عمر ! إن وُلّيت على
الناس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله^(٣) عليهم ، وحق لميزان إذا وُضع فيه الحق غداً أن
يكون أثميلاً ، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل في الدنيا

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يشق بالله لم يصف عبده . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَحَقِّقْتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ وَضَعَ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ . وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تَوْدَى الْفَرِيضَةُ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَلَّا أَلْحَقَ بِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهَا ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، قُلْتُ : إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ أُنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي ، فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِهِ .

كُتِبَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مُعَاوِيَةَ : أَنَّ الزَّمَّ الْحَقَّ ، يَنْزِلُكَ الْحَقُّ فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْحَقِّ ، يَوْمَ لَا يُقْضَى إِلَّا بِالْحَقِّ .

أَوَّلُ كِتَابٍ كَتَبَهُ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي خِلَافَتِهِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَّاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَقَّ حَتَّى اشْتَرَوْا ، وَبَسَطُوا الْبَاطِلَ حَتَّى اقْتَدَى .

وَقَالَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ : وَاللَّهِ مَا عُرِفَتْ حَتَّى ظَهَرَ الْبَاطِلُ . قَالَ وَبَرَّةُ الْمَسْكِيِّ : سَمِعْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَلَامَ لَهَى أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّهْمِ الْمَوْقِفَةِ ، قَالَ : لَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا ، فَرَبَّ مَتَكَلَّمٍ بِالْحَقِّ فِي غَيْرِ

موضعه قد عيب ، ولا تمارين سفيها ولا حليماً ، فإنَّ السَّفيه يؤذيك ، والحليم يَقلِّيك ،
ولا تذكرنَّ أخاك إذا غاب عنك إلاَّ بمثل ما تُحبُّ أن يذكركَ به إذا غبت عنه ،
واعمل عملَ رجلٍ يعلمُ أنه مجزئٌ بالإحسان ، ومأخوذٌ بالإجرام ، فقال رجل
عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من
عشرة آلاف .

قال ابن مسعود : من كانَ على الحقِّ ، فهو جماعةٌ وإن كان وحده .

قال غيره : الحقُّ ثقيلٌ ، وطُلاؤه قليلٌ .

وقال غيره : الحقُّ كثيرٌ ، والقائلون به يسيرٌ .

وقال غيره : الأحقُّ يغضب من الحقِّ ، والعاقِلُ يغضب من الباطل .

وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حيَّ بالباطل^(١) .

قال أنوشروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا

من أهله .

قال أبو العتاهية :

وَالْحَقُّ بُرْهَانٌ وَلِلْمَوْتِ فِكْرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمٌ^(٢)

(١) ب = مالحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ .

قال مالك بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض .

وقال : إن^(١) لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة .

قال سعد بن أبي وقاص لسلمان : أوصني . قال : أخلص الحق يخلصك . وأظنّ هذا من قول القائل : أعز الحق يذل لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلّا بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل إلّا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العتّابي :

وما سُكِّلَ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوَى يَسْتَبِينُهَا
الصَّوَى : جمع صُوّة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق^(٢)

وقال بعض الحكماء : النعمة نفور^(٣) ، ولقلمنا انتشعت نافرة فرجحت في نصائبها^(٤) ، فاستدغ شارديا بالتوبة ، واستندم الراهن^(٥) منها بكرم الجوار ،

(١) ب : ابن .

(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التي ضاق مشيها .

(٣) ب : نوار .

(٤) ب : بصائبها .

(٥) ب : الداهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحق عن نفسه ، وصدقك عن أمره^(١) .

قال منصور الفقيه :

إِنَّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَرْقًا لَا يُحِيلُ
وَعَلَى نِيَّةِ ذِي الْقَوْلِ دَلِيلُ
فَقُلْ الْحَقُّ وَإِنْ قِيلَ لَكَ الْحَقُّ ثَقِيلُ
فَاتَّقِ اللَّهَ إِذَا شِئْتَ وَانْظُرْ مَا تَقُولُ
لَا يَضُرُّكَ إِنْ قَالُوا لَكَ مِنَ النَّاسِ جَهْلُ
إِنْ قَوْلَ الْمَرْءِ فِيمَا لَمْ يُسَلِّ عَنْهُ فُضُولُ

وقال الصِّلَتَانِ العَبْدِيُّ :

وَالْحَقُّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَازِعُ
وَلِلْأَذْنَابِ فِيهِ لِلرُّؤُوسِ تَوَاسِعُ
وَلَيْسَ الذُّنَابِيُّ كَالْقِدَامِيِّ وَرِيشُهُ
وَمَا تَسْتَوِي فِي الرِّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد :

(١) ١ : وصدقك عن غيره .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملت من ناقةٍ فوقَ ظَهْرِهَا أبرَّ وأوفى ذِمَّةً من مُحَمَّدٍ^(٢)

قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس^(٣) بن عانس لابن حجر^(٤) .

الله أنجح ما طلبت بهِ والبر خير حَقِيقَةِ الرَّحْلِ^(٥)

وأنشد نعلب :

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ بيتُ يقالُ إذا أنشدتهُ صدَقاً^(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح الله عبده مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى الحق منها ، إلا أعطى خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البني والفساد في الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا محالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/ ٢٧٠ .

(٣) ساقط من ا ، وامرئ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته في العيني ١/ ٣٠ - ٣٢ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٤٤ . (الأعلام) ١/ ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/ ٣٠٣ من غير نسبة ونسب في المنتخب ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْأَفِلِ
فَلَمْ يَفِ عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ وَلَمْ يَفِ مِنْ الْخَلَفِ النَّازِلِ
أَبْكَى عَلَى ذَا وَأَبكى لِدَا بَكَاءَ الْمُؤَلَّهَةِ الشَّاكِلِ
تُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا قَاطِعِ وَتَبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا وَاصِلِ
تَقْصَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرٍ صَبَاً^(١) وَرَدَّ التَّقَى عَنَّا^(٢) الْبَاطِلِ^(٣)

انتهى القسم الأول
(الجزءان الأول والثاني)
بتجزئة المؤلف

(١) ب : تقصت غايات شكر ، أ : تقصت غايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات في : الوزراء والسكراب ٨١ ، البيان والتبيين ١/٢١٥ ، عيون الأخبار ٢/٣٢٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، بطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه المراجع تورد قبل البيت الأخير بيتاً لا بأس بإيراده ، وهو :

فليست تقتر عن عبرة لها في الضحى وعن هامل

القسم الثاني

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجـزئة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

بابُ الحياءِ والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلُّ دينٍ خُلقٌ ، وخُلُقُ الإسلامِ الحياءُ » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحياءُ خَيْرٌ كُلِّهِ » .

^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ حَيٌّ كَرِيمٌ ، والفاجرُ خَبِيثٌ لَئِيمٌ »^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيَّ الحليمَّ المتعقِّفَ ، ويبغضُ الفاحشَ البذيءَ »^(٤) السائل الملحف » .

قال سليمان عليه السلام : الحياءُ نظامُ الإيمان ، فإذا انحَلَّ النظامُ ذهبَ ما فيه .

وفى التفسير : ﴿ وَابْتَاسُوا التَّقْوَى ﴾^(٥) . قالوا : الحياءُ .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رَزَقَهُ الله الوقارَ فقد وسمه بسيماة الخير .

(١) بعد الهمزة تردى اعبارة : رب يسر ، وفى ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسام . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا فى كلا المصحفين ، وورد الكلام فى م متصلاً .

(٢) ساقط من ا .

(٣) فى ا : السيئ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ •

وقالوا : من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسن : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلّق^(١) بواحدة منهن كان من صالحى قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضاً : رأس مكارم الأخلاق الحياء .
قال الشاعر^(٢) :

ما إن دعاني الهوى لفاحشة إلا نهاني الحياء والكرم^(٣)
ولا إلى محرم مددت يدي ولا مشيت بي لريبة قدم^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى^(٥) ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس^(٦) :

إذا لم تخش عاقبة اللئالى ولم تستحي فاصنع ما تشاء

(١) في ج : تكلم .

(٢) البيتاني في المستطرف ٣/٣٩٦ .

(٣) في أ : وما دعاني الهوى لمصية .

(٤) في أ : لذة . (٥) ساقطة من أ ، م .

(٦) وردت الأبيات في ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها في التعريض بأحد بنى حميد ، ونسبت له أيضاً في باب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٣٨٧ ، العقد الفريد ٢/١٤٤ . على أن أبا تمام نفسه أوودها في الحماسة ٢/٣٠ من غير نسبة وقد ورد الثاني منها منسوباً لجبل بن المعلى الفزارى أحد بنى عميرة بن جؤبة في المؤلف ٧٢ .

فلا والله^(١) مافي العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيش المرء ما استحيًا بخير ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ

وقال أبو دُلف العجلي :

إذا لم تصن عِرضًا ولم تحش خالقًا ولم ترزع مخلوقًا فما شئت فاصنع^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

وقال آخر :

إذا رُزِق الفتى وجها وقأها تقلب في الأمور كما يشاء

ورب دنيّة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياءُ^(٣)

وقال الحزّين بن عبد الله اللّيثي^(٤) ، وتنسب إلى الفرزدق :

يُنْفَضِي حياءً وَيُنْفَضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

وقال آخر :

كريمٌ يَنْفَضِي العُطْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي

(١) في الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتي هذا البيت في ج بعد البيت التالي ، وفي ١ : تسمى خلفا بدل ترع . مخلوقا .

(٣) ورد البيتان في العقد الفريد ٤١٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٣٨/١ من غير نسبة .

(٤) في الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق في هامش ص ١٠٥ .

وكالسيف إن لا ينته لان مَشْه وحده إن خاشته خشنان^(١)

وقالت ليلي الأخيليه :

وَحَرَّقِ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً^(٢)

وقال أمية بن أبي الصلت في ابن جُدعان التيمي^(٣) :

أَذْكُرُ حاجتي أم فد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

كريم لا يغيّره صباح عن الفعل الجميل ولا مساء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاء من تعرضه الشناء^(٤)

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثوبه^(٥) ، خفي عن^(٦)

الناس عيبه .

(١) وردت الشطره الأولى في ١ : يضم عن المعشاء فضل ثيابه . وفي ٢ : فهو لين بدل لان مثله ، وقد ورد البيتان في أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التي ذكرتها عند ورود البيتين في ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبي ، حيث ذكر أنهما لأبي الشيمس الأعرابي في خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٣/٢٧٨ وفيه : ومقنر بدل مخرق ، وانظره في الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالي القالي ١/٢٤٨ ، حسانة أبي تمام ٢/٢٦٣ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجداد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغاني (دار الكتب) ٣/٤٠٤ ، ٩ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) الأبيات في ديوان أمية ١٧ ، وفي ١ : أأطلب بدل أذكر ، وما أبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) ساقطة من ١ .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي،
حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين^(١)، قال ابن كُنَاسة^(٢):
فِي انْقِبَاضِ وَحْشَةٍ فَإِذَا لَاقَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ -
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ^(٣)

(١) في ١: حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكُنَاسة) بن عبد الأعلى المازني الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين ، وكان يجنب في شعره المدح والهجاء . توفي سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٥٨/٩ ، الأغاني ٣٣٧/١٣ (دار الكتب) ، (الأعلام ٩٢/٧) .

(٣) ورد البيتان في البيان والتبيين ٢٨٥/٣ ، وفيه خللت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٧١/٥ ، وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ تردد في نسبتها بين ابن كُنَاسة وبين أبي نواس ، وقد وردا فعلا في مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لا بن كُنَاسة .

باب حُسْنُ الْخُلُقِ وَمُسُونَهُ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلي في الغرز^(١) — أن قال : « حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ » .

^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْنُ الْخُلُقِ يُمِينُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَوْمٌ » .^(٣)

قال كعب الأحمار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالتهار ، الظامئ بالهواجر .

وفي الخبر المرفوع أيضاً : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق^(٣) خير فائد ، وحسن الخلق خير رفيق^(٤) ، والوحدة خير من جليس السوء ،^(٥) والجليل الصالح خير من الوحدة^(٥) .

(١) الغرز : ركاب الدابة والمعروف أن معاذاً أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلماً ومهدداً ، وكان هذا آخر ما أوصاه به النبي قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من أ . (٣) : الرفق . (٤) : الرفق . (٥) : ساقط من أ . (٥) : الرفق .

كان يقال : من ساء خلقه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بني عبد المطلب ! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليَسْعَهُم منكم حسنُ الخلق ، والقوم^(١) بطلاقة الوجه وحسن البشر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنسكشرُ في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلغهم^(٢) .
 روى في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَرَّهٗ ﴾^(٣) ، قالوا : وخلقك فصّـن .

قال سفيان بن عيينة : من حُسن خلقه ساء خلق خادمه .
 كان يقال : حسن الخلق^(٤) يكسب حسن الذكر .

قال أبو العتاهية :

عامل الناس بوجهٍ طليقٍ والقي من تلقى يبشِّرُ رفيقُ
 فإذا أنت جميلُ الشنا وإذا أنت كثيرُ الصديقِ^(٥)

(١) : ولقائهم .

(٢) في ١ ، هـ : لتقبلهم ، ولا تستقيم مع مفهوم الخير ، إذ معنى المكاشرة الضحك في الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد في عيون الأخبار ٢٢/٣ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ١ : البشر .

(٥) البيتان في ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عامل الناس برأى رقيق والقي من تلقى بوجه طليق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق^(١)

وقال آخر :

خالق الناس بخلق حسن لا تمكّن قلباً على الناس يهر

وقال^(٢) آخر — هو^(٢) المغيرة بن حنّاء :

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تدم وتمدح

وقال ابن وكيع^(٣) :

لاقي بالبشر من لقيت من النّاس وعاشر بأحسن الإنصاف
لا تخالف وإن أتوا بخلاف تستدم ودّهم بترك الخلاف
وإذا خفت فرط غيظك فانهض مسرعاً عنهم إلى الإنصاف
إنما الناس إن تأملت دأب ماله غير أن تدأبه شافي

وقال آخر :

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم ودّ فيزرعه التسليم والألف

(١) البيت في عيون الأخبار ١/٣٦ .

(٢) ساقط من > .

(٣) هو الحسن بن علي الضبي الثقفي ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بتيس بصرى ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧ ، بتمية الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الأبيات في التيممة ١/٢٨٢ .

وقال العتّابيّ يذم رجلا :

فكم نعمة آتاكها الله جزلةً	مَمرأةً ^(١) من كل خُلُقٍ يُذِيها
فسأطت أخلاقاً عليها ذميعةً	تعاوَزَناها حتى تفرى أديها
وكنت امرءاً لو شئت أن تبلغ المدي	بلغت بأدنى نعمةٍ تستديها
ولكن فِطامُ النفس أثقلُ حملاً	من الصخرة الصماء حين ترومها ^(٢)

(١) ١ : منزلة .

(٢) ٢ : ١ : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعنه هذا الشعر في الحيوان ٦٢/٣ .

بَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّؤْدَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » . ويروى « محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليسَ دُنْيَا بغيرِ دينٍ وليسَ الدُّ
إِنَّمَا الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ فِي النَّا
يُنْ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
سِهُمَا مِنْ فُرُوعِ أَهْلِ النِّفَاقِ^(١)

ولإبراهيم بن المهدي :

لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا بِلَا دِينٍ وَلَا
فَأَصِيبُ وَأَتْلِفُ وَاسْتَفِدُّ وَأَفْدُو عِشْرُ
فِي الْمَالِ إِلَّا مِنْهُ فِيمَا يُبْذَلُ
فِيمَا اسْتَهْتُ بَمَا يَحِلُّ وَيَحْمِلُ^(٢)

وقال آخر :

وما المرءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
فِي صَالِحِ الْأَخْلَاقِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ^(٣)

^(٤) وقال آخر :

تَزِينُ الْفَقِي أَخْلَاقَهُ وَتَشْبِيهُهُ
وَتَذَكُّرُ أَفْعَالِ الْفَقِي حَيْثُ لَا يَدْرِي^(٥)

(١) لم أعثر على البيت في ديوانه .

(٢) البيتان في أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفي ١ : فاصبر بدل فأصب ، وبما بدل بما .

(٣) البيت في عاضرات الأدباء ١٤٤/١ ، العقد اللريد ٢٩٣/٢ من غير نسبة ، ونسب في البيان ٣٠٣/٣ .

لنهر بن غروة النخعي .

(٤) البيت ساقط من ١ . وهو لأبي البلاد الطهوي كما في البيان والتبيين ٨٣/٣ .

٦٠١

خطب ثلاثة إخوة من العرب^(١) إلى عمّهم ثلاث بناتٍ له ، فقال : مرحباً بكم ،
لأأذم^(٢) عهدكم ، ولا أستطيع ردّكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر :
الصّون للعِرَض ، والجزاء بالقرَض . وقال الأوسط : النهوضُ بالثقل ، والأخذ
بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجازُ للوعد . قال : أحسّتم في الجواب ،
ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ ممالى الأخلاق وأشرفها^(٣) ، ويكره
سَفْسافها »

قال الحسنُ : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوةٌ في لين ، وحزمٌ في دين ، وإيمانٌ في
يقين ، وحرصٌ على العلم ، واقتصاد في النفقة^(٤) ، وبذلٌ في السّعة ، وقناعة في الفاقة ،
ورحمةٌ للجهود ، وإعطاءٌ في حقٍّ ، وبرٌّ في استقامة .

قالت عائشةُ رضي الله عنها : خلالُ المكارم عشرٌ ، تكون في الرّجل
ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيّده ،
يَقْسِمُها الله لمن أحبَّ : صدق الحديث ، ومداواة الناس ، وصلةُ الرحم ، وحفظ

(١) : من الاخوة .

(٢) : دام .

(٣) : ساقطة من ج .

(٤) : المقبر .

الأمانة، والتذمُّم^(١) للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقِرى الضيف،
والوفاء بالعهد، ورأسهنَّ كلهنَّ الحياء.

قيل لبُزْرجهر: أى شئ أنت به أسرّ؟ قال: قدرتى على مكافأة من
أحسن إلى^(٢)

قال مَصْقَلَة بن هُبَيْرَة الشَّيبَانِي: سمعتُ صَعْمَةَ بن صُوحَانَ، وقد سأله
ابن عباس ما السُّودد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النّوال،
وكفُّ المرء نفسه عن السؤال، والتودّد للصّغير والكبير، وأن^(٣) يكون النّاس
عندك في الحقّ شرّعا^(٤)

سئل عبد الله بن عمر عن السُّودد، فقال: الحلم والجود.

كان يقال: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واكتسب فيه الأجر، وارتهن
فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه: إنّما أنا رجل منكم ليس لى فضل عليكم،

(٧) التذمُّم للجار هو أن يحفظ ذمامه، أو يطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه.

(٢) فى هامش اوردت العبارة الآتية: «وفى عمل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن إلى: وعفوى
عند قدرتى على من أساء لى».

(٣) ج: وقد.

(٤) شرعا: سواء.

٦٠٣

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ حرمتم^(١) ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد على فهو خير منى ، ومن زدت عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضهم على مكارم الأخلاق .

^(٢) وقال عبد الله بن عمر : نحن معشر قريش نعدُّ الحلم والجود السؤدد ، ونعدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السؤدد فيكم لرخيص . فقال له : أمّا نحن فما نسود إلا فتى يوطئنا رَحْلَه ، ويفرشنا عِرْضَه ، وببذل لنا ماله . قال : أشهد أن السؤدد فيكم لغالٍ .

قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الأحق في ماله ، الدليل في عرضه ، المطرّح لحقده ، المعنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق في ماله .. ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست

(١) ج : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ١٠

خصال وتامها في الإسلام سابعة : السَّخاء والنَّجدة ، والصَّبر والحلم ، والبيان والحسب . وفي الإسلام زيادة العفاف .

ذُكر لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعليٌّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدَ منهم ، وَكانوا خَيْرًا منه .

روى عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً فَبَذَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ ، فَذَلِكَ السَّيِّدُ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار يوماً : « مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » فقالوا : الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلٍ فِيهِ . فقال عليه السَّلام : « أَيُّ دَاءٍ أَذْرَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟ » بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجَعْدُ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ » . فقال شاعرهم في ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُه لمن قال منا من تُسمون سيِّدا
فقالوا له الجدُّ بن قيسٍ على التي نبخله فيها وإن كان أسودا
فَتَى ما تخطى خطوَةً لدنيَّةٍ ولا مدَّ في يومٍ إلى سوِّيةٍ يدا
فسودَّ عمر بن الجَمُوحِ بجودِهِ وحُقَّ لعمرٍو بالندى أن يسودا^(١)

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

(١) انظر هذا الخبر والأبيات في ترجمة عمرو بن الجموح في الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس علي التي على مثلها عمرو لسكنت المسودا

كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه
فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : ما أمتك^(١) من انتقامي ؟ قال : فلم
سوء ذاك إذا ؟ إلا لتكظم الفيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفي سالم
هذا يقول الشاعر :

نُسودُ أقواماً ولبسوا بسادة بل السيّد المعلوم سلم بن نوفل^(٢)
أنشد ابن عائشة^(٣) :

لا يبلغُ المجدَ أقوامٌ وإن كرموا حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوامٍ
ويُستَموا فترى الألوان مُسْفِرة لا عفوَ ذلّ ولكن عفوَ أحلامٍ
وإن دَعَا الجارُ لبّوا عند دعوته في التّأبّاتِ بإسراجٍ وإلجامٍ^(٤)
مُسْتَلَمِينَ ، لهم عند الوغى زَجَلٌ كأنّ أسيافهم أغرين بالهـام^(٥)

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع
ألف ليس فيهم حليم .

(١) في الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت في العقد الفريد ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص النيمي ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل
البصرة ، اشتهر بهجاء القاضى أحمد بن أبي دواد ، وكان قد قصده في بغداد فدحه فلم يمره التفاتاً فهجاه ، تولى
٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٣٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من أ .

(٥) الاستلثام : التدرع ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرور . وانظر البيت الأول في العقد
الفريد ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا يدرك ، وقد وردت كلها في أمالي القالى ١/٣١٤ ، عيون الأخبار
٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا يذنبون^(١) من ثلاثة حلیم من سفيه ، وبر من فاجر ،
وشريف من دنيء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال ؛
إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي
تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سألزِمَ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَى الْجَرَائِمِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلِي مُقَاوِمٌ^(٢)
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقَ فَأَعْرِفْ فَضْلَهُ وَأَلْزَمُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صَنِتَ عَنْ مَقَالَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا تَفَضَّلْتُ إِنْ الْفَضْلَ لِلْجُرِّ حَاكِمٌ^(٣)

وقال آخر :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّمَا تَذَكَّرْنِيهِ النَّفْسُ قَلْبِي يُصَدِّعُ
فَأُبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةٍ كَأَنِّي مَسْرُورٌ بِمَا مِنْهُ أَسْمَعُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي أَرَى أَنْ تَرَكْتُ الشَّرَّ لِلشَّرِّ أَقْطَعُ

(١) في ١ : يستنصرون .

(٢) مقاوم : مساو لي في القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة في العقد المريد ٢/ ٢٨٣ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

قال الحسن البصري : ما سمعت الله عز وجل نحل عباده شيئاً أقلّ من الحلم ،
فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ فَبَشِّرْناهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴾^(٢) .

قال العتّابي :

إذا سرّني دهرى قبلت وإن أبى أَيْتُ عليه أن أضيق له صدرًا
فكم من ميسء قد لقيت ومحسن فأوسعت ذاحلماً وأوسعت ذاشكراً^(٣)

قال علي بن أبي طالب رضى الله : إنّ السّفيه إذا أعرضت عنه اغتم ،
فزده إعراضاً .

^(٤) كان يقال : بحسن السّيرة يُقهرُ^(٤) المناوى ، وبالحلم عن السّفيه يكثرُ
^(٥) أنصارك عليه^(٥) .

قال الشاعر :

^(٥) سكت عن السّفيه فظنّ أنّي عييت وما عييت عن الجواب^(٥)
متاركه السّفيه بلا جواب . أشدُّ على السّفيه من العذاب

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٣) البيتان في زهر الآداب ١١٢/٣ .

(٤) ساقط من ج .

(٥) ساقط من أ .

ولا شيء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا وقع الكريمُ^(١) من السَّبَابِ

سبَّ الشعبيُّ رجلًا، فقال له : إن كنتَ كاذبًا يغفرَ اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقًا يغفرَ اللهُ لي .

قال الشعبيُّ : الغضبُ غولُ الحلمِ^(٢) .

قال خالدُ بن صفوان : شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلًا يشتمه ، فقال : آجرك الله على ما ذكرتَ من^(٣) صوابٍ ، وغفر لك على ما ذكرتَ من^(٤) خطأ ، قال : فما حسدتُ أحدًا حسدي عمرو بن عبيدٍ على هاتين الكلمتين .

مرَّ الشعبيُّ بقومٍ ينتقصونه ، فأنشد :

هنيئًا مريثًا غير داءٍ مُخَاوِرٍ
لعزّةٍ من أعرَاضِنَا ما سَتَ حَلَّتِ^(٥)

قال النابذة الجعديُّ :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تسكنْ لهُ
بِوادرِ تَحْمِي صفوةً أن يُكَدَّرَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له
حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أُصْدِرَا^(٥)

(١) في ٣ : السكلام .

(٢) في ١ : غلول الحليم .

(٣) ساقط من ٣ .

(٤) البيت لكثير عزة ، ديوانه ٥٧/١ .

(٥) البيهقي في الشعر والشعراء ١٥٩ ، مجمع الشعر ٣٢١ ، عيون الأخبار ٢٣٩/١ ، ٢٨٥ ، نهاية الأرب

٧١٠/٢ وفي ١ : أرب بدل حليم .

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازعج وفي ترك أهواءه الفؤاد المتيم
بصائر يُرشدن الفتي مستبينة وأخلاق صدق علمها بالتعلم^(١)

قيل للحصين بن المنذر : بم سُدَّتْ قومك ؟ قال : بحسب لا يُطمع فيه ، ورأى
لا يُستغنى عنه .

وذكر الشؤدد عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إنه لينتقل في الحى كما ينتقل
الظل^(٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السادات من لو أطعته دحاك إلى نارٍ يفور سَمِيرُها^(٣)

قال : كان سفيان بن عيينة يتمثل :

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالشؤدد^(٤)

(١) البيان لكثير ، ديوانه ٢١٨/١ ، وى : بصائر رشد طاهر ومشبه ، واضعها أيضاً البيان والتبيين .
٢٠٥/١ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٦/٢ وفيها : بصائر رشد لافى .

(٢) يريد أن من يتمتع بالخلق السيادة تنتقل شهرته في الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت في البيان ١٩٥/٣ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٨٠/٣ .

(٤) نسب البيت في البيان ١٩٦/٣ ، ٢٧٦ . والحيوان ٨٠/٣ لحارثة بن بدر ، وى هامش الخامسة ٣٤٠/١
قال إنه لرجل من خشم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا
حديقة فاختلّفوا فقتل بعضهم بعضاً ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظرائه من العلماء (انظر
أيضاً في هذا هامش البيان ٢٧٦/٣) ، وقد ورد البيت بدون نسبة في وفيات الأعيان ٣٥٧/٣ ، عيون الأخبار
٢٦٨/١ ، المقدم الفريد ٢٩٠/٢ .

قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كتبه لم تَقُلْه .

قال الشاعر :

وإنّ بقومِ سوّدوكَ لفاقةٌ إلى سيّد لو يظفرون بسيّد^(١)

قيل للمهلب : ما السُّودد ؟ قال : أن يركب الرجلُ في منزله وحده ، ويرجع إلى منزله في جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيّد فيكم ؟ قال : هو الذي إذا أقبل هبناه ، وإذا أدبر عبناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنتَ لم تعملْ برأيٍ ولم تُطعْ ، أُولَى الرأى لم تَركنْ إلى أمرٍ مُرشدٍ
ولم تجتنبْ ذمَّ العشيرةِ كلّها ، وتدفعُ عنها باللسانِ وباليدِ
وتحلمُ عن جَهالها وتَحُوطها ، وتقمعُ عنها نخوةَ المتهدّدِ
فلستَ ولو عللتَ نفسك بالأمى ، بذى سُوددٍ بادٍ ولا قرب سُوددٍ^(٢)

(١) نسب البيت لأبي نخيلة السعدي في البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، والحجوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة في جماسة البحترى ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : لحاجة بدل لفاقة .
(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ١٩٦ ، جهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أنس بن مدرك^(١) :

عزمتُ عَلَى إِفَامَةِ ذِي صَلَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوِّدُ مِنْ بَسُودٍ^(٢)

وقال أبو الحسن الموسوي^(٣) :

مَا السَّوْدُذُ الْمَكْسُوبُ إِلَّا دُونَ مَا يُؤْمِي إِلَيْهِ السَّوْدُذُ الْمَوْلُودُ
فَإِذَا هُمَا اتَّفَقَا تَكَسَّرَتِ الْقَنَا إِنْ غَوَّلِبَا وَتَضَمَّعَ الْجُمُودُ^(٤)

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالة في الأرباء ، والبطر في الأغنياء .

قال المرار بن سعيد^(٥) :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ قَبِيلَةً فَبِالْحِلْمِ سُدْ لَا بِالسَّفَاهَةِ وَالشَّتَمِ^(٦)
وقال بعض أهل العلم : لا سُوْدَدَ إِلَّا بِالْبَحْتِ وَالْجَدِّ وَالسَّعْدِ ، وذلك أنا قد

(١) أنس بن مدرك ، وسماه الهنادي في الخزانة ٣/٣٦٦ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بن علي ومماوية ، فأنحاز إلى علي ، وقتل في إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣٦٦) .

(٢) البيت في البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي) نقيب العلويين ، وأشعر الطالبين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية في تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٤ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان في ديوانه ١/٣٤٢ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٧ ، التنبيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأوب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب القمسي ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيدة . انظر في ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠ — ٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت في الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبي تمام ١/٤٧٤ وفيها بالنسبة بدل بالسفاهة .

رأيناهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاقُ الجميلةُ توجبُ السُّوددَ والرياسةُ ،
والأفعالُ المذمومة والأخلاقُ الدنيئةُ تمنعُ من السُّوددِ ، ثم رأينا فوماً سادوا بأخلاق
لا تُحمد ، وبأفعال لا تُرضى ، فمن ذلك : أن الحمق يمنع من السُّوددِ ، وقد ساد عيينةُ
ابن حصن^(١) ، وكان محمقاً ، وساد أبو سفيان وكان بخيلاً ، والبخلُ يمنع من
السُّوددِ ، وساد عامرُ بن الطفيل^(٢) ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهر ، وساد
أبو جهلٍ وما طرَّ شاربه ، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته ، والعدائهُ
تمنع من السُّوددِ ، وساد شبيلُ بن مَعْبِدِ البَجَلِي^(٣) ، وما بالبصرة بجَلَى غيره ،
وهم يقولون : لا سؤدد إلا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا
سودناك ما سُدت . قال فن سؤد شبيل بن مَعْبِدِ البَجَلِي ، وليس بالبصرة
بَجَلِيَّان .

(١) ابن بدر الفزاري ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ساء الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق
المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام في عهد أبي بكر ، ثم مال إلى طاعة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش
حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٠ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشمرأهم ، أدرك الإسلام
وولد على النبي صلى الله عليه وسلم مضراً قتله ولكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر
لذلك أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، وبعطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبي ذلك ، فذهب عامر مهتداً
متوصداً ، ثم مات قبل أن يصل إلى مكة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والراجع الأخرى في هامش
الأعلام ٢٠/٤ .

(٣) شبيل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلي ، من التابعين ، وهو أخو أبي بكره الثقفي لأمه ، من الدين
اشتركوا في الفتوح الإسلامية في عهد عمر ، وقد تقم على أبي موسى الأشعري بعض نصرانته فعزله عثمان على
يده . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٥/٤ .

٦١٣

وساد عتبة بن ربيعة^(١) وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قط ، ولم يفضل عن قوت أهله قوتٌ ضيفٍ واحد ، وهم يتولون إن الغفر يمنع من السؤدد . هذا كله يدلُّ على أن السؤدد بالبحت

وقال غيره : أسباب السؤدد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحِذْق والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدَّ للسؤددِ من أزمَاحٍ ومن سفيهٍ دائمٍ النِّبَاحِ

ومن عديدٍ يَتَّقِي بالراح^(٢)

أى لا يتقى بالدَّعاء .

وقال غيلان بن سامة الثقفي :

لا بدَّ للسؤددِ من عديد^(٣)

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان موصوفاً بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولكنه طغى وشهد مع المشركين بدرًا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) اطرأها في البيان ٣/١٩٠ ، ٢٧٥ ، الحيوان ١/٣٥١ ، وقد وردت في العقد ٢/٢٨٠ برواية أخرى م .

لا بدَّ للسؤدد من رماحٍ ومن رجالٍ مصلي السِّلاحِ

يدافعون دونه بالراحٍ ومن سفيهٍ دائمٍ النِّبَاحِ

(٣) انظر الفطرة في البيان والحيوان في نفس الصفحات التي وردت في الهامش السابق ولم أعز على كلمة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدي من مراجع .

قال النابغة الذبياني :

تعدّو الذئابُ على من لا كلابَ له وتتنقّي صَوْلَةَ المستنقِرِ الحَلْجِي^(١)

قال الحسن بن سهل يوماً : الشَّرَفُ في السَّرَفِ ، فقيل له : لا خيرَ في الشرف ، فقال : لا سَرَفَ في الخير ، فردّ اللفظة واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي : عجبتُ لمن لا يكتب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة .

ابن بشار :

وإذا جَزَيْتَ أَخَا يَذَنُ بِكِ كَانِ مِنْهُ لَمْ تَسُدْهُ
ولقد لَمَّا طَلَبَ الْفَتَى لِأَخِيهِ عَيْبًا لَمْ يَجِدْهُ^(٢)

الهذلي :

وإنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمْ لَهَا صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلٌ^(٣)

(١) وردت الشعرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتوى مريض المستأسد الحامي	جماسة البجترى ٢٦٤
وتتنقّي صَوْلَةَ المستأسد الضاري	الحياوات ٨٧/٢
وتتنقّي مريض المستنقِرِ الحامي	عيون الأخبار ١٠٩/٤

وقد نسب البيت للنابغة في المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه الرزباني في المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٢٦٦/١ .

(٣) البيت للأعصم الهذلي كما في ديوان الهذليين ٨٧/٢ ، وانظره في البيان ١٩٥/١ ، ٢٧٠ ، والحياوات ٩٥/٢ وفيه : وإن سياسة ، وفي نسخة - : عسير بدل طويل . والصعناء : المرتفعة يقال : أكمة صعناء أى يشتد صعودها على الرائي .

لما توفي عبد الله بن طاهر^(١)، صَلَّى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق عند كل زاوية من زوايا قبره رقبةً من غلمانِه، وفعل ذلك إخوته، ودفع كل نَجْلٍ منهم إلى كلِّ غلام خمس مائة درهم، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً ذكرًا، فقال أبو العَمَيْثَل^(٢) الشاعر المصعب بن عبد الله وكان^(٣) يختص بطاهر ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال: بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يا من يحاول أن تكونَ خلَّاهُ كخلالِ عبد الله أنصيتَ واسمِعْ^(٤)
فلاقصِدَنَّكِ بالنصيحةِ والَّذي حجَّ الحجيجِ إليه فاقبلْ أو دَعْ^(٥)
إن كنتَ تطمَعُ أن تحلَّ محلَّه في المجد والشرفِ الأشمَّ الأرفعِ
فاصدُقْ وعِفْ وبرِّ وارفقْ واتَّئِدْ واحلِّمْ ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
والطفْ ولنَّ وتأنَّ وانصُرْ واحتملْ واحزمْ وجِدِّ وحامِ واحلِّمِ وادفعِ
هذا الطريقُ إلى المكارمِ مهيمًا فاسلُكْ فقد أبصرتِ قصداً المهيمِ^(٦)

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخراساني بالولاء، من أشهر الولاة في العصر العباسي كان سيداً نبيلاً على الهمة شهماً، وولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيراً من بلاد المشرق، توفي سنة ٢٣٠ هـ. انظر في ترجمته وفيات الأعيان ١/٢٦٠، تاريخ بغداد ٩/٨٣؛ (الأعلام ٤/٢٢٦، ٢٧).

(٢) أبو العمَيْثَل: عبد الله بن خلد بن سعد، مؤدب من الشعراء الفضلاء، كان مولى لبني العباس وانصل بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه في خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفي سنة ٢٤٤ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦).

(٣) أي أبو العمَيْثَل.

(٤) في الوفيات: صفاته كصفات عبد الله الح.

(٥) في الوفيات: فلا تصحكنك بالشورة... فاسمع أودع.

(٦) في ١: مقعاً بدل مهيماً، والمهيم: البين، وقد وردت هذه الأبيات ماعداً الثالث في وفيات الأعيان ٢/٢٧٥، ٢٧٦، النخبة ١/٣٢٠، ورواية البيت الأخير فيها:

فأند نصحتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهيم

فاستحسن طاهرُ الأبيات ، وقال : والله لقد أفدتني ، ما يجبُ به شكرُك ،
فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكْتُ أَسْدُ العَرِينِ ولم يكنْ لها خَلْفٌ في الغِيلِ سادَ الشُعَابُ
كذا القَمَرُ السَّارَى إذا غابَ لم يكنْ له خَلْفٌ في الجَوِ إِلَّا الكَوَاكِبُ
قال بعض الحكماء : من ابتغى المسكارم فليجتنب المحارم .

باب حمدِ العلمِ وذمِّ السّفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجّ عبدان قيس^(١): «يأشجّ^(٢) عبدان قيس^(٣) أو يا منذر! فيك خصلتان يرضاها الله ورسوله: العلم والأناة»، فقال: يا رسول الله! أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من قبل^(٤) نفسي؟ . فقال: «بل شيء جبلك الله عليه». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلق^(٥) يرضاه الله ورسوله

قال الشعبي: زين العلم حلم أهله .

قال رجاء بن أبي سلمة: الحلم أرفع من العقل، لأن الله تسمّى به .

قال معاوية: إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي .

وقال معاوية لعمر بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر

على الإيجاز . قال: فمن أصبر الناس؟ قال: من بذل دنياه في صلاح دينه . قال: فمن

أشجع الناس؟ قال: من ردّ جهله بحلمه .

(١) اسمه المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدى من عبد القيس أو من بني عبد الله بن هارم من تميم ، كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوها فيها إلى الإسلام فأسلم وأمره على عمله ، وثمة خلاف في أمر وفوده على النبي ، انظره في الإصابة الترجمة ٨٢١٢ .

(٢) ساقطة من أ ، م .

(٣) في ح ، م : على شيء .

قال محمد بن أبي شحاذ^(١) :

إذا الحلم لم يناب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمة وزواعد

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذل والصبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إني لأجد ما تجدون ، ولكنني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم^(٢) أنصر^(٣) لي من الرجال^(٤) .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدرة .

وقد رويناه هذا الكلام لمن هو أسن من عمر وأكبر .

وقال بلعاء بن قيس :

أَيَّتْ لِنَفْسِي الْخَسْفَ لِمَا رَضُوا بِهِ وَأُولِيَّتِهِمْ سَمِي وَمَا كُنْتُ مُفْتَحَمًا

وقال شريح : الحلم كنز موقر ، والحليم مطية الجهول .

(١) في الأصول محمد بن سحار ، وفي > : بزيادة العبدى ، وقد وجدت البيت منسوباً إلى حماسة أبي تمام ٤٦/٢ ل محمد بن أبي شحاذ الضبى ، وسماه في معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبي شحاذ ، ولقد جاهدت في البحث عن محمد بن سحار العبدى هذا فلم أجد إلا سحار بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان في أول العصر الأيوبي ، ويبدو أنه قد حدث تعرف من ناسخى اللسختين أ ، م في اسم شحاذ حوله إلى سحار ثم زاد ناسخ النسخة > العبدى ، وقد أثبت الاسم كما في الحماسة .

(٢) في ١ . الصبر .

(٣) ساقط من > .

قالوا : بالعقل استُخرج غورُ الحكمة ، وبالعلم استُخرج غورُ العقل .

قال أبو العتاهية :

فياربَّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي أرى الحِلْمَ لم يندَمْ عليه حليمٌ
وياربَّ هَبْ لِي مِنْكَ عِزًّا عَلَى التَّقَى أَقِيمْ بِهِ مَا عَشْتُ حَيْثُ أَقِيمُ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ نَسَبَةٍ تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمٌ^(١)

قال الخُرَيْمِيُّ :

أرى الحِلْمَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ ذِلَّةٌ وَفِي بَعْضِهَا عِزٌّ يُسَوِّدُ فَاغْلَهُ

قال عُمَارَةُ^(٢) بن عَقِيل^(٣) :

إِذَا أَغْضَبْتَ ذَا كَرَمٍ تَخَطَّى إِلَيْكَ يَبْعُضُ أَخْلَاقِ اللَّثِيمِ
وَإِنْ اللَّهُ ذُو حِلْمٍ وَلَكِنْ يَقْدِرُ الْحِلْمُ مُتَّصِفُ الْحَلِيمِ^(٤)

وقال آخر :

بَنِي هِلَالٍ أَلَا تَنْهَوْنَ سَفِيهَكُمْ إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورٌ^(٥)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف في الترتيب .

(٢) ساقط من أ .

(٣) اسب البيتان في عبون الأخبار ٢٨٥/٣ إلى عبارة كما هنا ، وقد وردا للبحرئ في ديوانه ٢٦٦/٢٤٠ ،

نهاية الأرب ٩٣/٣ ، وفيهما : متى أخرجت .

(٤) البيت في البيان ٢٦١/٣ من غير نسبة ، وفيه : بني هدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النيم^(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والنخا أصبت حليماً أو أصابك جاهل^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أخوخ
وما كنت أرضى الجهل خذناً ولا أخاً^(٣) ولكنني أرضى به حين أخرج
فإن قال بعض الناس في سماجة فقد صدقوا والذل بالحر أسمع^(٤)

وقال أبو يعقوب الخريجي :

وإنك تلقى صاحب الجهل نادماً عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

وقال حبيب الطائي :

إذا جارت في خلق دنياً^(٥) فأنت ومن تجاريه سواء

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) لسب البيت في عيون الأخبار ٢٣١/٣ إلى كمب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ .
ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ١ : وصاحباً .

(٤) ليست هذه الآيات في عيون الأخبار ٢٨٩/٣ إلى محمد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩
إلى محمد بن حازم الباهل ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ١٤/٣ ، محاضرات الأدباء ١١٧/١ .

(٥) في ١ : دنى .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولىَّ بدا لهم من الناسِ الجفاءُ^(١)

ولآخر :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمِ أحيانا من الجهلِ أقبحُ
إذا كان حلمُ المرءِ عونٌ عدوّه عليه فإن الجهلَ أعنى وأروحُ
وفي العفوِ ضعفٌ والعقوبةِ قوةٌ إذا كنت تحشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلُ أحدٌ علينا فنجهلُ فوق جهلِ الجاهلينا^(٢)

قال آخر :

إذا نهى السفيةُ جرى إليه وخالف السفيةُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه^(٣) ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن
جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفيهه ؛ لأننا لاندري ما تقابل به السفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلِّ عقلٍ غفوةٌ أو سهوةٌ والحرصُ محتاجٌ إلى التنبيهِ

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت في الجهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

(٣) في ١ : سفيه .

والعاقلُ التَّحريرُ محتاجٌ إلى أن يستعينَ بِجاهلٍ مَعْتَوِهٍ^(١)

وقال آخر :

وَلربما اعتضد الحليم بِجاهلٍ لا خير في اليمنى بغير يسارٍ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذي كلَّ ساعةٍ به غضبٌ في أنفه بتوقدٍ
إذا آمِنَ^(٢) الجَّهالُ جهلك لم تزل عليك بوادى جهليم تتورَّد
وإن عقاب^(٣) الجاهلين لذهاب بِحلمك فانظر أى هاتين تَعْمَدُ

كان يقال : ليس الحليم من قُذِفَ فكَظَمَ ، وَلكن من صُدِمَ فصبر .

قال البحتري :

أرى الحلم بُؤْساً في المعيشة للفتى ولا عبس إلا ما حباك به الجهل^(٤)

وقال آخر :

قل ما بدالك من زورٍ ومن كَذِبٍ حلمى أصمُّ وأذنى غيرُ صمَّاء

وقال آخر :

ولا خيرَ في عِرْضِ امرئٍ لا يَصُونُهُ ولا خيرَ في حلمِ امرئٍ ذَلَّ جانبُهُ

(١) فى ١ : سهوة أو غفلة ، وانظرها فى ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ١ : أمر . (٣) = : عفاف

(٤) البيت فى الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ٢/٢٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرّة
وإن أنت بأذيت السفية إذا بدا^(١)
فلا تقرضن عرض السفية وداره
ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه
فدفع عنك في كل الأمور عتابه
وغم عليه الحلم والجهل واللقه
فيرجوك أحياناً ويخشاك تارة
فإن لم تجد بداً من الجهل فاستعن
فعرضك للجهال غنم من الغنم
فأنت سفية مثله غير ذى حلم
بحلم فإن أعياء عليك فبالصرم
ولكنه يزداد سقماً إلى سقم^(٢)
فإنك إن عاتبته صار كالخصم
بمنزلة بين العداوة والسلام
ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم
عليه بجهال فذاك من العزم

وقال أبو دهب الجهمي^(٣) :

وكانوا أناساً كنت آمن غيبتهم
فلم ينههم حلم ولم يتحرّجوا^(٤)

(١) في ١ : وإن أنت جاريت السفية بجهله .

(٢) في ١ : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل لى .

(٣) في ١ : أبو دعبل ، وفي ٢ : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما في م ، وأبو دعبل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشي ، من أشرف جمع بن لؤي بن غالب ، أحد شعراء المشق المشهورين ، وله مدائح في معاوية وابن الزبير . انظر المؤلف ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٤ (الأعلام ٩/١٤٩) .

(٤) انظر البيت في عيون الأخبار ٢/٢٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إِذَا رِشْوَةٌ مِنْ بَابِ قَوْمٍ تَقَعَّضَتْ لَتَدْخُلَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ
سَمَتْ هَرَبًا مِنْهُ وَوَلَّتْ كَأَنَّهَا حَلِيمٌ تَنْحَى عَنْ جَوَابِ سَفِيهِ^(١)

وقال آخر :

الْعَفْوُ عِنْدَ لَيْبِ الْقَوْمِ مَكْرُمَةٌ وَبَعْضُهُ لِسَفِيهِ الرَّأْيِ تَدْرِيبٌ^(٢)

(١) قى ٥ : عن جوار .

(٢) البيت في الحروان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللاؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَخْلِ فَبَخِلُوا ، وبالفجور فَفَجَّروا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا ثلاثُ صَلَحَ النَّاسُ : شحٌّ مطاعٌ ، وهوى متَّبَعٌ ، وإِعْجَابُ المرءِ بنفسه » .

قال الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي خُطْبَةٍ خُطِبَهَا بِالْبَصْرَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَوْمًا بِعِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي فَقَالَ : « يَا زُبَيْرُ ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَنْفَقْ أَنْفَقَ عَلَيْكَ ^(١) ، وَلَا تُؤْكَلْ ^(٢) فَيُؤْكَلْ عَلَيْكَ . أَوْسِعْ يُوسَّعْ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ فَيُضَيِّقْ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْإِنْفَاقَ وَلَا يُحِبُّ الْإِقْتَارَ ، وَيُحِبُّ السَّامِحَةَ وَلَوْ عَلَى فُلْقِ تَمْرَةٍ ، وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ ^(٣) حِيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ ، وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ كَنُوزٌ ^(٤) أَمْوَالُ سِوَى الْأَرْزَاقِ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ الْعِبَادِ ،

(١) ساقطة من أ .

(٢) تؤكل : تبخل .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) في ج : فضول ؛

محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله » .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلباب المسكنة ، وربما دخل السحى بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل ترك حق قد وجب لخوف^١ شيء لم يقع .
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقبلوا الكرام عثراتهم »
 ويروى . « أقبلوا ذوى الهبات زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، والفاجر لثيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عز وجل : أنا جواد كريم ، لا يجاورني في جنتي لثيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القرى^(٢) ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال : طلب اليسر ومنع الحفير . وقد روى هذا من كلام أكرشم بن صيفي والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال : بذل الموجود .

(١) في : ترك شيء قد وجب خوف . . . الخ .

(٢) في : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبي دُؤاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًّا ، ولا وضع عدوًّا فليس بكريم .

قال شعيب بن حرب : ليس السخيُّ من أخذ المالَ من غير حِلِّه فبذَّره ، وإنما السخيُّ من عُرض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حقٍّ ووَضَعَ في حقٍّ^(١) .

كان زيادُ بن أبيه يقول : من منع ماله سُبُلَ الحمد أورثه من لا يحمده .

قال إبراهيم بن أبي عبلة^(٢) : سمعت أمَّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقاً ما سلكته ، ولو كان^(٣) ثوباً طريفاً^(٤) ما لبسته .

قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني^(٥) : إنكم معشر العبَّاد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

(١) يأتي هذا الخبر في ١ بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) إبراهيم بن (أبي عبلة) شمر بن يقطان بن عبد الله المرتحل الرملي وقيل الدمشقي ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر في التهذيب أن ابن أبي عبلة كان ثقة فاضلاً ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفي إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولاني ، أبو مسام ، تابعي فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفي بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت غيرةً فلا موضع فيها للشر ، وأما السَّاحُّ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ (١) .

قال أسامة بن خارجة (٢) : لو لم يتدخل على البخلاء في بخلهم إلا سوء ظنهم برحبهم في الخلف لكان ذلك عظيماً .

قال زهير :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفْتَنَ عَنْهُ وَيُذَمَّمُ (٣)

وقال محمد بن يسير :

كم مانع نفسه لذاتها حذراً للفقر ليس له من ماله ذُخْرُ
إن كان إمساكه للفقر يحذرهُ فقد تمجّل فقراً قبل يفتقرُ

وقال آخر :

ما أعلم الناس أن الجود مدفَعَةٌ للبخل لكنه يأتى على النَّشَبِ

(١) سورة التَّحْرِيم ، الآية ٣ .

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفراري ، تابعي من رجال الطائفة الأولى في الحديث ، من أهل الكوفة ، وكان سيد قومه مقدما عند الحلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مطير الأسدي (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا النفي
ولكنه خِيمُ الرجال وخيرُها (٢)

وقال آخر :

إني امرؤ أجزي الكريمِ بوَدِّهِ
وأصدُّ عن وصل اللئيم وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جبلوا القياسَ للطفِ فتوهموا
أن البخیلَ وكلبُهُ مثلاًنِ
والكلبُ يحفظُ أهله ويقيمُهم
ويكفُّ طارقَهُم عن المدوانِ
والنذلُ يوحشُ أهله ويُجِيعُهم
ويحضُّ ناصرَهُم على الخذلانِ
فها ومن جعل الكلاب أعزة
والباخلين أذلةً ضِـدَّانِ (٣)

قال أردشير : احذروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن
الإكرام أصبرُ نفوساً ، واللثام أصبرُ أجساماً .

قال الشاعر :

إنَّ ذا اللؤمِ إذا أكرمتُهُ
حسب الإكرامَ حقّاً زِمَكُ

(١) ساقطة من ١ ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدي ، مولاهم ، شاعر متقدم في القصيد والربز ،
وند على من بن زائدة حين ولي اليمن فلدحه ثم رثاه حين مات ، توفي ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء
٩٧/١ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٤٨٥/٢) .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) في ج : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضل إذا أكرمته لم يُصغرك ولكن عظمك

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

وقال آخر :

أراك تؤمل حسن انشأ ولم يرزق الله ذاك البخیلاً

وقال آخر :

تريدین أن أرضی وأنت بخیلة ومن ذا الذی یرضی الأخلاء بالبخل^(٢)

وقال آخر :

ندبتکم^(٣) لنفعی أن قدرتم فلم أرفیکم حراً كريماً
ومالی عندهم ذنب أراه سوى أنى عرفتکم قديماً

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المعاشر حين قالوا على والمُحارق سيّدان
هما حجران من جبل^(٤) صلود إذا قيل أرشعا لا يرشعان

(١) ديوانه ٣٦١ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ١٠٩/٢ من غير نسبة .

(٣) في ٥ : فديتكم .

(٤) في ١ : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ أبا عمرو إذا أعجباني
وقال ابن أبي فتن^(١) :

وإن أحقَّ الناس باللومِ شاعرٌ يلوُمُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ
قال الخطيئة^(٢) :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائلاً فسيانَ لاذمُ عليك ولا حمدُ
وقال منصور الفقيه :

زادُ البخلِ إذا مضى لسبيله ذمُّ العِدَا وقطيعه الوراثِ
وأخو السامح فخطه من أهله ومن الغريب مدائحُ ومراثِ
ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رغيـف بنـى السـليـة لـي فـنـ حـمـامـاتِ الحـرمِ
ما إن يُحسُّ ولا يُمسُّ (م) ولا يُدَّاقُ ولا يُشَمِّ
فإذا نزلتْ بـدارهم فانزلْ بِشِدْقٍ مُلْتَمِّمِ
حتى تمبشَ مُسَلِّمًا يا من يعبشُ بغيرِ فمِ

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فتن) ، شاعر مجوه نقي اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٢/٤ ، زهر الآداب ٦٢/٤ ، وانظر البيت في العقد ٤٦/٢ .

(٢) لم أعثر على البيت في ديوانه ، وانظره في محاضرات الأدباء ١٤٨/١ بدون نسبة .

ولنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَفَدَّوْا رُبطوا قَطَّهمْ بخُلَا بما تطرَحُهُ المائدة
ما عرضت قَطُّ لهم تَخْمَةٌ ولا تَشْكُرُوا مَعِدَّةً فَاسِدَةً^(١)

قال الحسن بن هانئ^(٢) :

وباخِلِ جُئْنُهُ فَقَدِّمْ لِي كِسْرَةَ خَبْزٍ وَعَيْنُهُ عَبْرِي
فَقَالَ مَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ لَهُ قِطْعَةً جُبْنٍ وَكِسْرَةَ أُخْرَى

وله أيضاً^(٣) :

على خَبْزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وَمَا خَبَزُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ^(٤) وَلَمْ يُرْ آوَى فِي الْحَزُونِ وَلَا السَّهْلِ
وَمَا خَبَزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرِبٍ^(٥) تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمُثَلِ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْا^(٦) سِوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تَمِرُّ وَلَا تَحْلِي

(١) في ح : المعدة الفاسدة .

(٢) ديوانه ١٧١ .

(٣) الأبيات قالها في هجاء إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، انظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان ١٣٠ ، ١٢٩/٣ .

(٤) يطلق على الثعالب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لا وجود له .

(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .

(٦) في ديوانه : من غير رؤية .

وما خبرُهُ إِلَّا كَلِيبُ بْنُ وَائِلٍ لِيَالِي يَحْمَى^(١) عَزُهُ مَنَنْبَتَ الْبَقْلِ
وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبُ خَصْمَانِ عِنْدَهُ وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجَدٍّ وَلَا هَزْلٍ
فَإِنْ خَبَرُ إِسْمَاعِيلَ حَلَّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلِيبًا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ بَذْلِ
وَلَكِنْ قَضَاءٍ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ^(٢) بِحِيلَةٍ ذِي ذَهْنٍ وَلَا فِكْرٍ ذِي عَقْلِ

قلت^(٣) : أَرَادَ بِقَوْلِهِ : وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبُ خَصْمَانِ عِنْدَهُ قَوْلَ مُهَلْمِلٍ :

أَوْذَى الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلُّهُمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
وَتَنَازَعُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ قَدْ تَكُونُ شَهِدَتُهُمْ لَمْ يَنْبَسُوا^(٤)

وَكَالِيبُ هَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى بِقَوْلِهِ :

كَلِيبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيَسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجَ بِالْذَّمِّ^(٥)

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عِكْرَاشَ ، وَيُرْوَى لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيِّ :

وَإِنِّي لِأَرْتِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى طَمْعٍ عِنْدَ اللَّثِيمِ يُطَا لَبُهُ

(١) فِي دِيْوَانِهِ : وَمَنْ كَانَ يَحْمَى .

(٢) فِي دِيْوَانِهِ : رَدَّهُ .

(٣) فِي ١ ، ٢ : قَالَ أَبُو عَمْرٍ .

(٤) وَرَدَ الْبَيْتَانِ فِي الْكَامِلِ ١٨٦/١ ، أُمَالِي الْغَالِي ٩٥/١ ، حَاسَةُ أَبِي تَمَامٍ ٣٩١/١ ، الْحَيَوَانُ ١٢٨/٣ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢٩٨/٣ . وَرَوَايَةُ الْحَمَاسَةِ وَالْأُمَالِي لِلْبَيْتِ الْأَوَّلِ : نَبِذْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ ، وَفِي الْكَامِلِ وَالْعَقْدُ : ذَهَبَ الْخِيَارُ . وَالرَّوَايَةُ لِلْبَيْتِ الثَّانِي فِي الْكَامِلِ وَالْعَقْدُ : وَتَقَاوَلُوا بِدَلِّ تَنَازَعُوا ، وَ... لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ . وَفِي الْحَمَاسَةِ وَالْأُمَالِي تَسَكَّمُوا بِدَلِّ تَنَازَعُوا . وَ... لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِهَا . وَاتَّفَقَتْ رَوَايَةُ الْحَيَوَانِ مَعَ الْأَصْلِ .

(٥) الْبَيْتُ فِي مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ ٣٢١ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٢١٥/٥ ، الْحَيَوَانُ ٣٢٢/١ ، التَّمَثِيلُ وَالْمُحَاضِرَةُ ٦٢ ، وَيُرْوَى : ذَنْبًا بِدَلِّ جُرْمًا .

وأرثني له من وَفَقَةٍ عند بابهِ كَمَرٍ يَبْنِي لِلطَّرْفِ وَالْعَالِجِ رَاكِبُهُ^(١)

وقال جرير :

إِنَّ الْكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الْكَرَمَ ابْنُهَا وَابْنُ اللَّيْمَةِ لِلثَّامِ نَصُورُ^(٢)

^(٣) وقال آخر :

إِنْ مَنَ عَصَّتِ الْكِلَابُ عَصَاهُ ثُمَّ أَثَرَى فَمُعْجِزٌ أَنْ يَمُودَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْ لِلْكَرَامِ اغْرِفُوا حَقَّ الثَّامِ لِمُ
لَوْلَا الثَّامُ لَمَا عُدُّوا الْكَرَامَ وَلَا
لَكُنْهُمْ جَنْحُوا لِلنَّقْصِ فَاتَّقَصُّوا
جَادُوا فَسَادُوا وَضَنَّ الْآخَرُونَ فَا
قَدْ سَاءَ ظَنِّي بَمَا قَدْ كُنْتُ أُحْمَدُهُ
تَدَارَسُوا الْبُخْلَ حَتَّى دَقَّ مَذْهَبُهُمْ
فَاسْتَعْقَلُوا كُلٌّ مَنْ أَصْنَى الْبُخْلِهِمْ
إِنَّ الثَّامَ لَهُمْ عِنْدَ الْكَرَامِ يَدُ
بَانُوا بِفَضْلٍ إِذَا مَا حُصِّلَ الْعَدَدُ
وَزَادَ غَيْرُهُمْ فَضْلًا بَا اغْتَقَدُوا
يَتَعَدُّو عَلَى وَالِدٍ مِنْ لُؤْمِهِ وَلَدُ
لَمَّا رَأَيْتُ جَمِيعَ النَّاسِ قَدْ فَسَدُوا
فِيهِ وَذَانُوا بِإِخْلَافِ الَّذِي وَعَدُوا
وَاسْتَجَبُوا كُلٌّ مِنْ وَاسِي بَا يَجِدُ

(١) البيتان في عيون الأخبار ١/ ٨٩ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف : الجواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفي ١ : ابن الكريمة .

(٣) ساقط من ١ .

فَصَارَ لِلْبَخْلِ حَقُّ الْجُودِ يَنْبَغِيهِمْ وَالزُّمُومَا الْجُودَ عَارَ الْبَخْلِ لَا رَشْدُومَا

وقال آخر :

فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَيْلِكَ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ مُودِيٍّ^(١)

قال محمود الوراق :

إِذَا أَعْطَاكَ قَتْرٌ^(٢) حِينَ يُعْطَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِ قَالَ أَبِي الْقَضَاءُ
يُبْخَلُ رَبَّهُ سَفَهًا وَظُلْمًا وَيَعْذِرُ نَفْسَهُ فِيمَا يَشَاءُ
تَنْقَلَّ عَنْ فَعَالٍ الْخَيْرِ جَهْلًا مَخَافَةً أَنْ يَضُرَّ بِهِ الْعَنَاءُ

وقال الحسن بن هاني^(٣) :

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَتَكَنًّا يُنَاقِي الْخُبَرَ وَالسَّمَكَا^(٤)
فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَبَسَكَ^(٥)

(١) البيت في الحيوان ٥٠/٣ من غير نسبة .

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء ٢٩٠/١ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات في ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت في ديوان أبي العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر أنها لأبي نواس .

(٤) في ديوان أبي العتاهية : يناغي البحر .

(٥) رواية البيت في ديوان أبي نواس :

فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ لَمَّا رَأَى قَادِمًا وَبَكَى

وفي ديوان أبي العتاهية :

فَأَرْسَلَ عَيْنَهُ لَمَّا رَأَى مَقْبَلًا وَبَكَى

فلما أن حلفتُ له بأني صائمٌ ضحكنا

ولنصور الفقيه أيضاً :

أُتيتُ عمرًا سحرًا فقال : إني صائمٌ

فقلت : إني قاعدٌ فقال : إني قائمٌ

فقلت : آتيك غداً فقال : صومي دائماً

قال جَحْظَةُ^(١) :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام فأت من الخوفِ لما دخلتُ

فقلتُ له : لا يرُعك الدُخُولُ فاجئتُ يديكَ حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوماً^(٢) فغداني برائحة الطعام

فكان كمن سقى الظمانَ آلاً وكنت كمن تغدّي في المنام^(٣)

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِيبْكَ من الكدر يم الحرُّ وابله فطله

(١) جَحْظَةُ هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، من بقايا البرامكة ، كان في عينيه نوء فلقيه ابن المعتز بجَحْظَةَ ، وكان جَحْظَةُ مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفاً بالموسيقى ، توفي سنة ٢٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/٦٥ (الأعلام ١/١٠٣) .

(٢) في ١ : نزلت وسقطت منها كلمة يوماً .

(٣) لم أعثر على البيتين في الديوان ، وهما في عيون الأخبار ٣/٢٦٤ ، وورد في العقد الفريد ٦/١٨٧ من غير نسبة .

إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ عَلَى مَعْرُوفِهِ نَفْسٌ تَدُلُّهُ
يُبْدِي مَكَارِمَهُ كَمَا يُبْدِي فِرْنَدَ السَّيْفِ صَقْلَهُ

قال آخر:

وإنَّ مُجِيعَ آفَاتٍ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(١)

وقال منصور الفقيه:

إِذَا كَانَ فِي بَخْلِهِ مُخْكَمًا وَحَلَّ مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى الدَّرَجِ
وَجَاءَكَ يَخْطُبُ زَنْجِيَّةً مُشَوَّهَةً أَلْخَلَقَ فِيهَا هَوَجَ
فَلَا تَحْفَلَنَّ بِهِ خَاطِبًا وَلَا تَفْرَحَنَّ وَلَا تَبْتَهِجَنَّ
وَلِإِنْ كَانَ سَمَحًا جَمِيلَ الْفَعَالِ كَرِيَمًا جَوَادًا فَإِنَّ الْحَرَجَ
وَلِإِنْ الْقَطِيعَةَ فِي صَرْفِهِ وَلَوْ جَاءَ يَخْطُبُ أَحَدَى الْمُهْجِجِ
بَغِيرِ صَدَاقٍ لِإِعْسَارِهِ وَمَا عُسْرُ مَتَتَظَرٍّ لِلْفَرَجِ

قال حماد عَجْرَد، وتروى للعناني^(٢):

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ بِجَهْدٍ^(٣)

(١) البيت في العقد ٢٥٢/٢

(٢) نسبت الأبيات لحماذ في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ٢٧٤/١ ، ١٩٤/٦ ، وسبب للعناني في أمالي القالي ١٣٥/٢ ، وتعقبه البكري في التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعناني ، وقد وردت الأبيات في ديوان بشار ٢٣٦/٢ كما وردت في ترجمة بشار في الأغاني ٣٠٢/١ .

(٣) رواية العقد في الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا ، وفي الجزء السادس أوردته بهذه الرواية :

إِنَّ الْكَرِيمَ تَرَى فِي النَّاسِ عَفْته حَتَّى يَقَالَ غَنِي وَهُوَ بِجَهْدٍ

والبخيلِ على أموالِهِ عِلَلٌ زُرُقُ العُيُونِ عليها أوجهٌ سَوْدُ
إِذَا تَكْرَهْتَ أَنْ تَعطَى القليلَ^(١) ولم تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لم يظهر الجودُ
أَوْزُقَ بخيرٍ تُرَجَّى للنوالِ فما تُرَجَّى الثمارُ إِذَا لم يُورِقِ العودُ
بُتَّ النوالَ وَلَا تَمْنَعَكَ قَلْتُهُ فكلُّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل اتفَاعُ والكلب ينفع أَهْلَهُ
فنزّه الكلب عن أن ترى أَخَا الكلب مثْلَهُ

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدني
ابن المعلم لعلی بن الجهم :

وَإِذَا الْكَرِيمُ أَتَيْتَهُ بِخَدِيعَةٍ أَلْفَيْتَهُ فِيمَا تَرَوُّمٌ يُسَارِعُ
لَيْسَ الْكَرِيمُ كَمَا ظَنَنْتَ بِجَاهِلٍ إِنْ الْكَرِيمُ لَفَضْلُهُ يَتَخَادَعُ^(٢)

قال آخر :

لَا تَطْلُبْنِ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ

(١) في الأصل : إِذَا تَكْرَهْتَ عَنْ بَذْلِ .

(٢) ديوانه ١، ٣٢٠ .

يا خادعَ البُخلاءِ عن أموالهم هيئاتَ تضربُ في حديدٍ باردٍ^(١)
قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ وخبرُهُ أبعادُ من أَمَسِهِ
كَأَنَّهُ في جوفِ مِرْآتِهِ يُرَى ولا يُطْمَعُ في لَمَسِهِ
قال آخر :

إن كنتَ تَطْمَعُ في كلامِهِ فارْفَعِ يَمِينَكَ عن طَعَامِهِ
سَيِّانَ كَسْرٍ رَغِيفِهِ أو كَسْرٍ عَظْمٍ من عِظَامِهِ^(٢)
وقال دِغْبَل بن علي الخُزَاعِي :

لَئِنْ كُنْتَ لَا تُؤَلِّي يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ فَلَسْتَ بِمَوْلٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ يَجِدْ في مَلَمَةٍ وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنِلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ^(٣)
وقال منصور الفقيه :

راجي البَخِيلِ وَضِيعُ كما البَخِيلُ وَضِيعُ

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٣٥/٣ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية في العقد الفريد ١٩١/٦ ، محاضرات الأدباء ٣١٦/١ ، ووردا على خلاف هذا الترتيب في عيون الأخبار ٢٧/٢ ، وفيها : لا تكسرن رغيته إن كنت الخ . وقد نسب البيتان في المحاضرات لليزیدی السجوى وكذلك في وفيات الأعيان ٢٣٥/٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سِرْوَى ذَا فِي ذَيْنِ إِلَّا رَقِيعٌ

لَلْعَرَزِيِّ وَيُرْوَى لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَثِيمٍ حَاجَةً فَأَلَحَّ فِي رَفَقٍ وَأَنْتَ مَدِيمٌ^(١)

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا سُسِّمَتْ قَوْمًا فَاجْعَلِ الْوُدَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَكَ تَأْمَنُ كُلُّ مَا تَتَخَوَّفُ
فَإِنْ خَفْتَ مِنْ أَهْوَاءِ قَوْمٍ كَشَّيْتُكَ فَالْبَاجُودُ فَاجِعٌ بَيْنَهُمْ يَتَأَلَّفُوا
فَإِنْ كَشَفْتَ عَنْكَ الْمَلَمَاتُ عَوْرَةً كَفَاكَ غِطَاءُ الْجُودِ مَا يَتَكَشَّفُ^(٢)

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : الْكَرِيمُ لَا تَبْخُلُهُ التَّجَارِبُ . وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ
لَا تَحْكُمُهُ التَّجَارِبُ .

وَسُئِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ الْبَخْلِ ، فَقَالَ : هُوَ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ
مَا يَنْفَقُهُ تَلْفًا ، وَمَا أَمْسَكَ شَرْفًا .

قَالَ طَاوُوسٌ : الْبَخْلُ أَنْ يَبْخُلَ الْإِنْسَانُ بِمَا فِي يَدَيْهِ ، وَالشَّحُّ أَنْ يَشْحَ بِمَا^(٣)

(١) سبق البيتان في ص ٣٢٢ .

(٢) الأبيات في أمالي الغالي ١/ ٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابي قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .

(٣) ٣ : على ما في .

في أيدي الناس ، ويجب أن يكونَ له مافي أيديهم بالحل والحرام ولا يقنع

وقال أبو المتاهية^(١) :

وإن امرءا لم يربح الناس نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للثيم

وإن امرءا لم يجعل البر كنزه وإن كانت الدنيا له لعميم

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْوَاهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ » . ويروى نحوه هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هي عندنا ^(١) في حكمة آل داود » ^(١) .

تَذَاكَرُوا المَرْوَةَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثرُوا فيها ، فقال : « أَمَّا مَرْوَةٌ تَنَافَى نَعْفُو عَنْ ظَلَامِنَا ، وَنُعْطِي مَنْ حَرَمْنَا ، وَنُصِلَ مِنْ قَطَعْنَا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهَبُ كَرَمِهِ	فِي وَصْلِهِ مِنْ صَرَمِهِ
وَعَفْوِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ	أَسْخَطَهُ أَوْ ظَلَمَهُ
وَبِرِّهِ	بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ حَرَمِهِ ^(٢)
فَمَا يَرَاهُ مُعْظَمٌ	لِلْحَقِّ إِلَّا أَعْظَمَهُ

(١) ساقط من > .

(٢) ١ : حرمه .

أُبْقِيَ عَلَيْهِ اللَّهُ - مَا أَبْقَاهُ فِينَا - نِعْمَةٌ
وَزَادَ فِيهَا عِنْدَهُ وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهُ

(١) من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفِعَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ
فِي جُرْمٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمَاقِبَهُ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ لَهُ مَرُوءَةً ، فَقَالَ : اسْتَوْهَبُوهُ مِنْ
صَاحِبِهِ (١) .

سئل عبد الله بن عمر ، عن المروءة والكرم والنجدة . فقال : أما المروءة :
فحفظ الرجل نفسه ، وإحرازه دينه ، وحسن قيامه بصنعيته (٢) ، وحسن المنازعة ،
وإفشاء السلام . وأما الكرم : فالتبرع بالمعروف ، والإعطاء قبل السؤال ،
والإمام في المحل . وأما النجدة : فالذب عن الجار ، والصبر في المواطن ، والإقدام
على الكريمة .

[وفي رواية أخرى ، أن معاوية قال في مجلسه يوماً لمن حضره : من يخبرني عن
المروءة والجود والنجدة ؟ فقال عبد الله بن هاشم بن عتبة (٣) ، وكان بعد عفوهِ عنه
يحضر مجلسه : قال : يا أمير المؤمنين ! أما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح

(١) ساقط من ١ .

(٢) ١ : وضعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أبي المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك
ابن حجر في الإصابة ، وهاشم هو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع عهده حرب الفرس
بالقادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجال في صفين مع علي ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم
يجلس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقعة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٢٩/٩ .

في المال ، والمحاماة عن الجار . وأما النجدة فالجراة على الإقدام ، والصبر عند أزوار
[الأقدام] ^(١) .

قال طلحة بن عبيد الله ^(٢) : جلوس الرجل ببابه من المروءة ، وليس من المروءة ^(٣)
حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرئ الوالدين ، والصبر
على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكذوب ، ولا أخ تملول ،
ولا سؤدد لسيئ الخلق .

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الرئيب ، وإصلاح المال ،
والقيام بمحارم الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تعرف فالتقوى ، وأما
حيث لا تعرف فاللباس .

وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق .

(١) ساقط من أ .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أحد العشرة المؤشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب
الشورى ، وكان يقال له طلحة الجلود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر
المراجع الكثيرة عنه في هاشم الأعلام ٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمال المروءة أن تصون عِرْضَكَ ، وتكرم إخوانك ، وتقبل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فارق الصبرَ والمروءة أَمْسَكَ من نفسه عُدُوَّة

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . والمروءة في الحضر : إيمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لذي المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من تفاق المروءة وكسادها .

كان يقال : صُنْ عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مِثْثَم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ،
عن عبد يزيد بن هشام بن عبد ^(١) المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن
إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئِلَ عن المروءة
ما هي ؟ فقال : الإِنصافُ من نفسك ، والتفضيلُ على غيرك ، أَلَمْ تَسْمَعْ قولَ الله تعالى :
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ^(٢) لَاتَمُّ المروءةُ إِلَّا بهما ، العدلُ هو الإِنصافُ ،
والإِحسانُ التفضيلُ .

^(٣) روى عن الفضيل بن عياض رحمه الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة
فقال : الكامل من برِّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ،
وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأتقى من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .
قال الشاعر :

وإذا الفتى جَمَعَ المروءَةَ والثَّقَى وَحَوَّى مع الأَدَبِ الحَيَاءَ فَقَدْ كَمُلَ ^(٤)
قال رجل من بني قُرَيْنَع :

إذا المرءُ أَعْيَتْهُ المروءَةُ نَاشِئًا فَعَطَلُهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدٌ ^(٥)

قال جعفر بن محمد : لا هينَ لمن لا مروءةَ له .

(١) ساقطة من أ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقطة من ج .

(٤) البيت في البيان ٢٧٠/١ ، العقد الفريد ٤٣٥/٢ .

قال أحمد بن الممدّل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يسمع له شعرٌ غير هذين البيتين ، وهما :

فلو مُدَّ سَروِي^(١) بِمالٍ كثيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذِلًّا
فإنَّ المَروءَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إذا لم يكن مَالُهَا فَاضِلًا^(٢)

وقال آخر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أَرْزُقْ مَروءَةً وما المَروءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ
إذا أَرَدْتُ مُسَامَاةَ تَعَمُّدُنِي عما يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةَ الحَالِ^(٣)

^(٤) وقال منصور الفقيه :

كلُّ من فارق المَروءَةَ عاشَا ونَمَا وَفَرُهُ وَزَادَ رِيَاشَا
وأخُو الفضل والمَروءَةُ والدي نِي مُقِلُّ أُمُورِهِ تَتَلَاشِي^(٥)

وقال سفيان الثوري : من لم يَتَفَقَّهْ لم يُحَسِّنْ يَتَقَرَّ^(٦) .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : ليست بالفسق ولا الفجور ،

(١) السرو : المروءة والعرف .

(٢) البيتان في البيان ١/ ١٨٤ ، وانظر الثاني في التمثيل والمحاضرة ٢٢ ، ٤٢٢ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٣/ ٢٣٩ ، البيان ٣/ ١٨٣ وفيه تفاعدي بدل تعمدني .

(٤) ساقط من ح .

(٥) تفنى : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرأ : تنسك ونورع .

ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعام موضوع ، وحجاب مرفوع ، ونائل مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى^(١) مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لابن هرمة^(٢) :

ولرب ليلة لذة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

وقال صريح الغواني^(٣) :

وما ذمتي الأيام أن لست حامداً لعهد ليالي التي سلفت قبل
ألا رب يوم صادق الميثاق نلتها بها وندامى العفاف والبذل

وقال منصور الفقيه :

فضل التقي أفضل من فضل اللسان والحسب
إذا هما لم يجتمعا إلى العفاف والأدب

(١) في ١ : ولناه .

(٢) - هو إبراهيم بن هلي بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنتاني القرشي ، شاعر غزل من سكان المدينة ، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد تلقى منه جفاء فاقطع إلى الطالبيين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفي سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٢٧/٦ .

(٣) ساقطة من ح . وفي ١ زاد الناسخ بعد كلمة صريح : « الدلاء » ، على أساس أن البيت لصريح الدلاء (محمد بن عبد الواحد القصار) ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريح الغواني مسلم بن الوليد ، وهو في ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فتى الفتيان من راح واغتدى لشرب صَبُوحٍ أو لشربِ غَبُوقِ^(١)
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرِّ عَدُوٍّ أو لنفعِ صديقِ^(٢)

وقال جحظة :

ألا يَأْهَلْ بِنَدَادٍ جَمِيعًا عصيتُم في المروءة من بَرَّاكُم
تذمُّونَ الزمانَ بغيرِ جرمٍ وما بزمانكم عيبٌ سِوَاكُم

(١) الصبوح : ما يهرب من الحر بالغداة فما دون القائلة ، والغروق التي تشرب بالعمى .
(٢) البيتان في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ١٢/٣ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجالِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواحُ أجنادٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها اختلف » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ لله في الأرض بالاهواء تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُتخَلِّفٌ^(١)

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَجَدْتُ النَّاسَ اخْبُرُ تَقَلُّهُ » . وقد روى هذا مرفوعاً عن أبي الدرداء .

وفي خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كَأَسْنانِ المُشْطِ » .

(١) البيتان في المعتمد الفريد ٣٢٩/٢ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوس لأجناد مجندة بالإذن من ربنا تجري وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تابنوا ، فإذا تساؤوا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءُ كَأْسِنَانِ الْحَمَارِ فَلَا تَرَى لَدَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا^(١)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : خالطِ الْمُؤْمِنَ بقلبك ، وخالطِ الْفَاجِرَ بِخُفَاكَ .

كان يقال : يُتَمَتَّحُ الرَّجُلُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : عِنْدَ هَوَاهُ إِذَا هَوِيَ ، وَعِنْدَ غَضَبِهِ إِذَا غَضِبَ ، وَعِنْدَ طَمَعِهِ إِذَا طَمَعَ .

قال أبو عمرو بن العلاء : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالَكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَاعْرِفْ مَا كَانَ لَصَدِيقِهِ قَبْلَكَ عِنْدَهُ .

قال سفيان الثوري : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَالَكَ عِنْدَ صَدِيقِكَ فَاعْزِمْ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَإِلَّا فَاجْتَنِبْهُ .

قال الفضل بن عباس بن عُثْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ^(٢) :

إِذَا أَرَدْتَ وَدَادَ امْرِئٍ فَسَلِّ كَيْفَ كَانَ لِإِخْوَانِهِ

(١) البيت لكثير عزة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد في الميوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سواء .

(٢) من فضحاء بني هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر وباللهي نسبة إلى أبي لهب ، في شعره رقة ، مات في خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإِذَا رَضِيتَ فَأَحْيَيْتَهُ وَإِذَا تَرَعَّبْتَ عَنْ شَانِهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحداً قط إلاَّ وجدته دون ما كنت أظن
قال تَابِطُ شَرًّا :

لتقرعنَّ على السَّنِّ من ندمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يوماً بعضَ أَخْلَاقِ^(١)
وقال آخر :

إِنَّ المودَّةَ بالتجاربِ قَضَتْ مِنَ النَّاسِ المآرِبَ
لَمْ تَتَرَكْ لِي صَاحِبًا أَصْبُو إِلَيْهِ وَلَا أَعَاتِبُ
متفردًا بَتَوْحُودِي دُونَ الأَبَاعِدِ والأَقَارِبِ
ارغبْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يُعْطِي الجَزِيلَ مِنَ المَوَاهِبِ
بِاللَّهِ تَتَّسِعُ الفجَا جُ إِذَا تَضَايَقَتِ المَذَاهِبُ

كان سفيان الثوري يمثل بهذه الأبيات :

ابْلُ الرِّجَالِ إِذَا أَرَدَتْ إِخْلَافُهُمْ وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
وَإِذَا ظَفَرَتْ بِذِي الأَمَانَةِ وَالتَّقَى فِيهِ اليَدَيْنِ قَرِيرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ
وَدَعِ التَّذَلُّلَ وَالتَّخَشُّعَ تَبْتَغِي قَرَبَ الَّذِي إِنْ تَدْنُ مِنْهُ يَبْعِدُ^(٢)

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٧٦ ، والمحيوان ٦٣/١ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجفري في حاسة البحري ٧٨ ، ونسبت في أمالي القاضي للعنق
السكندی ، والرواية في حاسة البحري : أخا العفافة والنهي بدل ذي الأمانة والتقوى ، وفي الأمالي : توسمني
فعلهم بدل أمورهم ، وذو الهباية بدل الأمانة .

وقال آخر :

أَهْلَكَنِي بَرِيَادٌ ثَقِيٌّ وَظُنُونٌ بَرِيَادٌ حَسَنَةٌ
ليس يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ نلتُ خَيْرًا منه من قَبْلِ سَنَةٍ^(١)

وقال يزيد بن محمد المهلب :

ومن ذا الذي تُرَضِّى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كفى المرءَ نُبْلًا أن تُعَدَّ مَعَايِيَهُ^(٢)

وقال آخر :

إنَّ الرجالَ إذا اخْتَبَرْتَ طِبَاعَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ شَقَى عَلَى الْأَخْبَارِ
لا تَعْجَلَنَّ إِلَى شَرِيعَةِ مَوْرِدٍ حَتَّى تَبَيَّنَ صَفْحَةَ الْإِضْدَارِ^(٣)

وقال آخر :

أترك مكاشفة الصديق إذا غطى على هَفَوَاتِهِ سِتْرُ
وتجاف عنه بلا مُصَارَمَةٍ فلنعم صائنٌ عَمْرِيكَ الصَّبْرُ

وقال آخر :

لا تَحْمِذَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجْرِبَهُ وَلَا تَذَمِّنْهُ مِنْ غَيْرِ تَجَرُّيبٍ^(٤)

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٠/١ .

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ١٤٥/١ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١٧٠/٣ وفيها خطة بدل صفحة .

(٤) نسب هذا البيت في حاشية البحري ٣٦٩ لأن الأسود الدؤلي ، ونسب في المؤلفات ١٩٢ للنائفة

وقال محمود الوراق :

لا يملبنتك غالبُ الحرصِ واعلمْ بأنَّ النَّاسَ في نَقْصِ
والبسِ أخاكِ على تَصْنَعِهِ فلرُبَّ مُفْتَضِحٍ على النَّصِّ
ما كدتُ أخْص من أخى ثقةً إلا ذممتُ عواقبَ الفَخْصِ^(١)

وقال آخر :

إذا أنكرت أخلاقَ الصِّديقِ فلستَ من التَّحِيْزِ في مَضِيْقِ
طريقاً كنتَ تسلكهُ سليماً فأستبَعِ فاجتنبهُ إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنَّ امرءاً حتى تجربهُ فرُبَّما لم يوافق خُبْرهُ خَبْرَهُ

وقال آخر :

إذا أنت لم تستقبل الأمرَ لم تجِدْ لكفُّكَ في إذْبارِهِ مُتَعَلِّقاً
إذا أنت لم تترك أخاكِ وزلَّةً إذا زلهاً أو شككُماً أن تفرِّقاً

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ أمرى فيكَ مُبْتَدئاً فقد ذممتُ الذى أحمَدْتُ في صَدْرِى

(١) هذا البيت ساقط من ١ . وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٣/٨٥ ، أمالي الفاي ٢/١٣٨ ، والثالث في
لتبيل والمحاضرة ٨٥ .

فأذهب فأنْتَ امرؤٌ لا شكَّ أوَّلُهُ حُلُوٌّ وآخرُهُ مُرٌّ على الخَبَرِ

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : إِذَا أُحِبِّتَ أَخًا فِي اللَّهِ ، فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُشَارِهِ ^(١) وَلَا تُسَلِّ عَنْهُ أَحَدًا ، فَلَرُبَّمَا أَخْبَرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، فَخَالَ يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُ .

قال الشاعر :

أُردْتُ لَكَيْمًا لَا تُرَى لِي زَلَّةٌ وَمِنْ ذَا الَّذِي يُمِطُّ الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ ^(٢)

أَجْمَعُوا عَلَى الْقَوْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَقَرَّدَ بِالْكَمَالِ ، وَلَمْ يَبْرَأْ أَحَدًا مِنَ النِّقْصَانِ .

قال أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

إِذَا تَصَفَحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَلَفْ أَمْرًا حَازَ الْكَمَالَ فَانْتَفَى ^(١)

مِنْ لَكَ بِالْمَهْذَبِ النَّدْبُ الَّذِي لَا يَجِدُ الْعَيْبُ إِلَيْهِ مَخْطَأً

كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفَيْتُهُ الْوُدَّ خَلَقَ مُرْتَضَى ^(٢)

وقال النابغة الذبياني :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلَهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ ^(١)

(١) الكلمة ساقطة من ح ، ومعنى لا تشاره لا تتجاذله ولا تنبيه .

(٢) البيت لثروان المكي كما في أمالي القالي ٤٣/٢ .

(٣) انظر الأبيات في مقصورة ابن دريد .

(٤) البيت في ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مؤاخياً إلا الذي لا عيب فيه عاش فرداً في الورى

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيقٍ ومن ضجرٍ بل الطَّبائعُ منها الضيق والضجرُ

وقال آخر :

كل خليلٍ كنتُ خالِّته لا ترك الله له واضحته^(١)

كلُّهم أروغُ من تعلبٍ ما أشبه الليلة بالبارحة^(٢)

وقال آخر :

كل امرئٍ صائرٌ يوماً لشيئته وإن تخلَّق أخلاقاً إلى حين^(٣)

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأخبره إلا بكيتُ على أمسٍ^(٤)

(١) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، ول الحبان ٣٠٥/٣ وردت الرواية : وصاحب ، قد كنت صاحبه .

(٣) البيت لدى الإصبع العدواني ، وقد ورد في الكامل ١١/١ ، حماسة البحتري ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، والمؤلف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس في عيون الأخبار ٤/٢ .

وقال آخر :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يَأْبَى دُونَهُ الخلقُ
ولا يواتيك فيما نابَ من حَدَثٍ إلا أخو ثقةٍ فانظرَ بمن تُثقُ^(١)

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومهماتكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإن خالماً تَخْفَى على الناس مُعَلِّمُ^(٢)

وقال نَصِيبُ الأصغر ، مولى المهدي^(٣) :

إن البقاعَ إذا استسرَّ بها الندى أنيسَ النباتِ بها وطابَ المَرِيعُ
وإذا جَهِلتَ من امرئ أخلاقه وقديعةً فانظرُ إلى ما يُصَنِّعُ^(٤)

وقال محمود الوراق :

ذممتك أولاً حتى إذا ما بلوتُ سواك طادَ اللومُ حمداً
ولم أحمذك من خيرٍ ولكن رأيتُ سواك شراً منك جدّاً

(١) نسب البيهقي لسلام بن واثقة الأسدي في الكامل ١١/١ ، البيان ٢٣٧/١ ، الحماسة لأبي تمام ٣٠١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ . ونسب الأول للمرجي في المقدم ٣/٣ ، وللي ذى الاصبع العدواني في حماسة البصري ٢٥٩ ، ميمون الأخبار ٦/٢ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول في كل مرجع عنها في الآخر حتى ليصعب إلمابها هنا ، وإن كانت كلها تؤدي المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدي ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، هرض على المهدي قبل أن يلى الخلافة فاستنشدته فأنشدته من شعره فأعجب به فاشتراه ثم أعتقه ، له مدائح كثيرة في المهدي والهادي وغيرهما ، توفي نحو سنة ٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٣٠٧/٢ (الأعلام ٣٥٦/٨) .

(٤) انظرهما في وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، ٤ وفيها : أعرافه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتلا خليلا لأنى لم أجدُ من ذاك بُداً
كجهودِ تَحَايَ أَكَلِ مَيْتٍ فلما اضطرُّ عاد إليه شداً^(١)

وقال أيضاً :

لَمْ أَبْكِ مِنْ حُبِّ خَلٍّ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ
وَلَمْ أَمِلْ عَنْ صَدِيقٍ لِلزُّهْدِ فِيمَا لَدَيْهِ
إِلَى سِوَاهُ فَأَبْلُو إِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ
كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَبَدٍّ بِحِفْظِ مَا فِي يَدَيْهِ

ذكر ابن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين حمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن علي مودة ، ثم تنافرا ، فكتب إليه حمارة :

سَأَتْرُكُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَاكِنًا فَإِنْ عَدْتَ عُدْنَا وَالْوَصَالَ سَلِيمٌ
وَلَوْ قَدْ خَبَرْتَ النَّاسَ حَقَّ اخْتِبَارِهِمْ رَجَعْتَ إِلَى وَصْلِي وَأَنْتَ ذَمِيمٌ^(٢)

أخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لعل بن الجهم :

النَّاسُ إِخْوَانُكَ حَتَّى إِذَا عَرَضْتَ لِلْإِخْوَانِ بِالذُّرْهِمِ

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١/١٥٠ ، وفيها : مغتسلا ذليلا بدل محتلا خليلا ، وتعاطم بدل تحامى .

(٢) انظرهما في محاضرات الأدباء ٢/٥٠ .

سَاءَ مَا سَرَّكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَصَرَتْ وَسْطَ الْخَلْقِ كَالْعَلَمِ^(١)
وقال آخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بِكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ^(٢)
وقال آخر :

لَمْ أَبُكْ مِنْ زَمَنِ لَمْ أَرْضَ خَلَّتُهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَنْصَرُمُ
وقال آخر :

مَتَى تَحْسَبُ صَدِيقَكَ لَمْ يَقِلُّوا وَإِنْ تَحْبُزْ يَقِلُّوا فِي الْحَسَابِ
وقال آخر :

وَنَعْتَبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أَغْتَبَا^(٣)
وقال آخر :

سَبَّكَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى الْكَيْدُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن تومعة في عيون الأخبار ٤/٢ ، وورد في إعتاب الكتاب ١٧١ من غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب في المستطرف ٢٣٣/٦ لابن عرارة السعدي في سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٤/٢ .

(٤) عيون الأخبار ٤/٢ ، العقد الفريد ٤٥٠/٣ .

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعُهُ ويغلبُهُ إلى النفس خيمها^(١)
وقال أبو دُوَادٍ الإيادي :

إذا كنتَ مرتادَ الرجال لنفعهم فريش والتمس نفع الذي بهم ترهب
وقال محمود الوراق :

أتمَّ الناسَ أعرفهمُ بنقصه وأقنعهم لشهوته وخيمه
فدانٍ على السلامة من تداني ومن لم ترضُ صحبته فأقصه
وخلَّ الفحص ما استغنيت عنه فكم من جالب غيظا بفحصه
ولا تستغلٍ عافيةً بشيء ولا تسترخصن أذى لرخصه

وقال آخر :

ارضَ من المرءِ في مودته بما يؤدِّي إليك ظاهره
من يكشف الناسَ لم يجد أحداً تصعُّ منهم له سرايره^(٢)

(١) نسب هذا البيت في الكامل ١١/١ إلى أم الهيثم الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر في حماسه البحري ٧٢ وفيه : ومن يبتدع ما ليس فيه سجيّة ، ونسب إلى حاتم في حماسه أبي تمام ٣١١/٢ ، كما نسب إلى كثير في عون الأخبار ٥/٢ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والميم متاهما واحد وهو الطيبة والأصل ، وانظره بالرواية التي هنا وبدون نسبة في العقد العريد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لأن حازم في العقد الفريد ٣١٢/٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ فَخُذْ عَفْوَهُمْ قَبْلَ امْتِحَانِ السَّرَائِرِ
فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ بَيْنَهُمْ وَمَالِكَ إِلَّا مَا تَرَى فِي الظُّوَاهِرِ
وإنك إن كَشَفْتَ لَمْ تَرَ طَائِلًا وَأَبْدَى لَكَ التَّكْشِيفُ خُبْتَ الضَّمَائِرِ

وقال آخر :

ولا خَيْرَ في وُدِّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طَوْلِ مَرٍّ الْحَادِثَاتِ بَقَاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا جَمَعَ الْفَقِي حَسْبًا وَدِينًا فَلَا تَعْدِلْ بِهِ أَبَدًا قَرِينًا
وَلَا تَسْمَحْ بِحِطِّكَ مِنْهُ بَلْ كُنْ بِحِطِّكَ مِنْ مَوَدَّتِهِ ضَمِينًا

وقال آخر :

لَتَعْمُرَكَ مَا مَالَ الْفَقِي بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنْ إِخْوَانُ الثَّقَاتِ الذَّخَائِرُ^(٢)

وقال ابن الرومي :

إِذَا شَدَّتْ تَعْرِفَ أَصْلَ الْفَقِي أَجَلُ لِحْظِ طَرَفِكَ فِي مَنْظَرِهِ
فَإِنْ لَمْ يَبْنِ لَكَ فَانْظُرْ إِلَى أَفَاعِيلِهِ فَهِيَ مِنْ جَوْهَرِهِ

(١) البيت في البيان ١٨٤/٣ ، وفيه : ولا خير في فضل .

(٢) عيون الأخبار ١/٣ ، وقال أنشده ابن الأعرابي ، والظرة في العقد الفريد ٣٠٤/٢ ، وفيه : لإخوان الصفاء بدل لإخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهذا وذا
فإن المحاضرَ سرَّ الرجال
بلوتُ الرجالَ وأفعالهم
فلا تطلُبَنَّ سوى مُحضَرُهُ
بها يُعرَف النَّذلُ من خَيْرِهِ
فكلُّ يَمُودُ إلى عُصْرِهِ^(١)

وقال ربيعة الرقي :

إن اللثيمَ وإن خلتَهُ
ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ
كرِيماً يذودك عن عُرفِهِ
إلى أَصلِهِ وإلى صِنْفِهِ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٢ .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٦٢/٥ .

باب التودُّد إلى النَّاسِ

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم : « مداراةُ الناسِ صدقةٌ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربِّي بِمداراةِ الناسِ ونهاني عن ملاحاتهم »^(١) .

روى عن النبي صلَّى الله عليه وسلم أنه قال : « رأسُ العقلِ بعدُ الإيمانُ باللهِ التوددُ إلى الناسِ » .

وقد روى في خبرٍ مرفوع : « التودُّدُ إلى الناسِ نصفُ العقلِ ، وحُسنُ التدبيرِ نصفُ المعيشةِ ، وما عَالَ من اقتصد » .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : إنَّ مما يصفى لك وُدَّ أخيك أنْ تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأنْ تدعوه بأحبِّ الأسماءِ إليه ، وأنْ توسعَ له في المجلس .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ المداراةِ تركُ المماراةِ^(٢) .

وفي الحديثِ المرفوع : « إذا أحبَّ اللهُ عبدًا أحبَّه الناسُ » .

(١) الملاحاة : المشاققة ،^١ أسباب .

(٢) المماراة : العكس وسوء الظن . وفي ١ : المودات بدل المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبةً في الناس^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم^(٢) » قالوا : بلى . قال : « من يبغض الناس ويبغضونه » .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خالياً ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خالياً ؟ قال : هجرتُ الناسَ فيك . قال : أفلا أدلك على شيء تبلى به رضى خالق الناس بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بينى وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامة طال استمتاعه بهم .

قال أكرم بن صيفى : من تشدد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسرورُ فى التفافل .

قال علي رضى الله عنه : شرط الصحبة إقالة العثرة ، ومسامة العشرة ، والمواساة فى العُسرة .

(١) فى ١ : عبداً واسطى بـذل يوماً عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره فى العقد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ١ : ذلك .

قيل للعتّابي : إنك تلقى الناسَ كلّهم بالبشر! قال : دفعُ ضغينةَ بأيسر مؤونة ،
واكتساب^(١) إخوان بأيسر مبدول .

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمودٌ على كلّ حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كان عابساً
ويُسرعُ بخُلِّ المرءِ في هَتَكِ عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للمعرض حارساً
قال أعرابي يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم^(٢) يمدح عبد الله بن عامر
ابن كريز^(٣).

أخ لك ما تراه الدهرَ إلّا على العِلّاتِ^(٤) بساماً جواداً
سألناه الجزيلَ فأتَلَكَ^(٥) وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزاداً
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنَا فأحسنَ ثم عدتُ له فعاداً

(١) في ١ : ولم كرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ،
فصيح الألفاظ ، كانت في لسانه غجمة سمي بسببها الأعجم ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وضم بخلائهم
(الأعلام وهامشه ٩١/٣) .

(٣) ابن ربيعة الأموي ، أمير فاتح ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخياً وصولاً
لقومه رحيماً ، قال عنه الإمام علي : ابن عامر سيد فتيان قریش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام
٢٢٨/٤) .

(٤) على العِلّات : أي على كل حال .

(٥) في حماسة أبي تمام ، والأغاني : تأبى .

مرادًا ما أعودُ إليه إلاَّ تبسمَ ضاحكًا وثني الوَسَادَا^(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ تَنَيرَ والأَيامُ جَمَّ عَجيبُهَا
أريدُ له هَجْرًا لِبعضِ خِلالِهِ فَتَعَطَّفَنِي أُخْرَى له فَأَجِيبُهَا^(٢)

وقال آخر :

أخ لي كأيام الحياة إِخَاؤُهُ تَلَوْنُ أَلوانًا كَثِيرًا خَطوبُهَا
إِذَا عِبتُ مِنْهُ خَلَّةً فَهَجَرْتُهُ دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةً لَا أُعِيبُهَا^(٣)

^(٤) وقال ابن وكيع :

من لم يدار الناسَ غنَّ عِلْمُ بِهِم انصَرَفُوا وَكَلَّمُهُمْ له عِدَا^(٥)

وقال كُثَيْبُ^(٥) :

ومن لا يَنْمُضْ عَيْنُهُ عَنْ صَدِيقِهِ وعن بعضٍ ما فيه يَمُتْ وهو عَاتِبُ

(١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٧، ٦/٣ ، والبيتان الثالث والرابع في ١٥٢/٣ ، ووردت في الحاشية لأبي تمام ٣٤٩/٢ ، والأغاني ١٠٢/١٤ (بولاق) ، وورد بعضها في المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ، وقد أسيت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد أسيت فيها للكثير ، وقال في العيون إنها في مدح عمر بن عبد الله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٧/٣ .

(٤) ساقط من ١ .

(٥) ديوانه ٢١٠/١ .

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَحْدِثُهَا وَلَا يَسْلَمَ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

وقال آخر :

وَكَمْ مِنْ أَيْخٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً قَطَعْتَ وَلَمْ يُكْنِكَ مِنْهُ بَدِيلُ
وَمَنْ لَمْ يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهَذَّبًا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ

قال آخر :

وَأُحِبُّ إِذَا أُحِبِّتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ^(١)
^(٢) وَأُبْغِضُ إِذَا أُبْغِضْتُ بُغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ^(٣)

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أُحِبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ
بِفَيْضِكَ يَوْمًا مَا ، وَابْغِضْ بِنَفْيِكَ هَوْنًا^(٣) مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا » .
وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية^(٤) :

قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقَالِي
رَبِّ صَدِّ بَعْدَ وَدِّ وَهَوَى بَعْدَ تَقَالِي
قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ

(١) في - : راجع .

(٢) ساقط من - ، وقد نسب البيتان في أمالي القالي ٢٠١/٢ لهديبة بن الحشم المذري ، وورد في العقد

٢٨٦/٢ من غير نسبة ، وفيه : وَأُبْغِضُ إِذَا أُبْغِضْتُ غَيْرَ مَبِينٍ .

(٣) في - : يَوْمًا .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أَنشد حبيبُ اللَّفْنَدِ الزَّمَانِي - وقال الجاحظ لا أَظنها له (١) :

صفحنا عن بني ذَهَلٍ وقلنا : القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يُرْجِعَ نَ قوما كالذي كانوا (٢)

قال آخر :

وَكُنْتُ إِذَا صَحَبْتُ رَجَالَ قَوْمٍ صَحِبْتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ
فَأَحْسِنُ حِينَ يَحْسَنُ مُحْسِنُهُمْ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
وَأَبْصِرُ مَا يَنْقُصُنِي بِعَيْنٍ عَلَيْهَا مِنْ عَيُوبِهِمْ غِطَاءُ (٣)

قال آخر :

مَا نَالَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَدَّ مِنْ وُدِّ صَدِيقٍ أَمِينٍ
مَنْ فَاتَتْهُ وَدٌّ أُنِخَ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ (٤)

[وقال آخر :

استوحشَ النَّاسُ عَلَى جَدًّا وَلَا أَرَى لِي مِنْ أَنَاسٍ بُدًّا

(١) انظر الحيوان ٤١٥/٦ ، ٤١٦ ، .

(٢) ورد البيتان في حماسة أبي تمام ١٥/١ ، حماسة البحتري ٧٤ ، أمالي القالي ٢٦٠/١ مفسووين للنفند الزماني ، وكذلك في الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التي نقلها عنه المصنف ، ولكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئاً عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة في هذه المراجع ففي حماسة البحتري والحيوان : بني هند بدل ذهل ، وفي الأمالي وحماسة أبي تمام كما هنا ، كما ورد في حماسة البحتري ، أن ترجم قوما ، وفي الحيوان : ترجمهم جميعاً . الخ .

(٣) أي أبصر عيوبى فأعجلتها ، ولا أبصر عيوبهم فأتبعتها وأغفل عن معايبى .

(٤) في : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٦/٣ .

إِنْ لَمْ أَعَاشِرْهُمْ بَقِيْتُ فَرْدًا^(١)

وقال آخر :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي خُفَاةٌ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ^(٢)

قال آخر :

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي تَغَافُلًا كَأَنِّي بِمَا يَأْتِي^(٣) مِنَ الْأَمْرِ جَاهِلٌ
وَمَا بِيَ جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُذْرِ فِي مَا يُحَاوَلُ^(٤)
^(٥) مَتَى مَا يُرَبِّنِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ بَقِيْتُ وَمَالِي فِي النَّهْوِزِ مَفَاصِلُ^(٥)

وقال آخر :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي فَأُشْرِقَنِي عَلَى حَنْقٍ بِرِيسِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ خُفَاةٌ أَنْ أَعِيشَ بِلا صَدِيقٍ^(٦)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي رَأَيْتُ بَعْضُ خُلُقِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاءَ نِي بُجْفِي

(١) ساقط من > .

(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٣) في ١ : آتى .

(٤) في ١ : رماني ... أحاول .

(٥) ساقط من ١ .

(٦) البيهقي في أمالي القائل ١١١/٣ .

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيْنُ ، خَافَةَ أَنْ أَبْقَى بِنِيرِ صَدِيقٍ^(١)
وَأُنْشِدَ ابْنَ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ :
إِذَا مَا صَدِيقِي سَاءَنِي بِفَعَالِهِ وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيقِ
صَبَرْتُ عَلَى الصَّرَاءِ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ خَافَةَ أَنْ أَبْقَى بِنِيرِ صَدِيقٍ^(٢)
^(٣) قَالُوا : لَا خَيْرَ فِي النَّاسِ ، وَلَا بَدَّ مِنَ النَّاسِ^(٣)

(١) انظرها في عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله بدل بعض خله .

(٢) أمال القالي ١١٨/٣ .

(٣) ساقط من ١ .

باب الاستِيحَاشُ من الناس والفرار منهم^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذُ بعَتَانِ فرسه في سبيل الله يَخِيفُ العدو ويخيفونه » . وفي رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شِعْبٍ من الشُّعَابِ يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويتزلُّ شرور الناس » .

قال عمر بن الخطاب ^(٢) رضي الله عنه ^(٣) الطمع فقره واليأسُ غنى ، والمُزلة راحة من جليس السوء ، وقرين الصدق خير من الوحدة .

قال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل ^(٤) المؤمن يبتغى ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلغى وتلغى .

قال مكحول : إن كان في الجماعة فضل ، فإن في المُرلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معاشكم ، وزايِلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطاً وامش جانباً .

(١) في ١ : عنهم .

(٢) ساقط من ح .

(٣) ساقطة من أ .

قال ابن المقفع^(١) : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي .

قال بعض العلماء : العزلة عن الناس توقي^(٢) العريض ، وتبقى الجلالة ، وترفع
مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستتر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإني رأيتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمُ خفافَ العُهودِ يُكثِرُونَ التَّشْتُمْلَا
بني أمٍّ ذى المالِ الكثيرِ يَرَوْنَهُ وإن كان عبداً سيِّداً القومِ جَحْفَلَا
وهم لمقلِّ المالِ أولادُ عِلَّةٍ وإن كان مخضاً في العمومة مُخَوِلَا^(٣)
وليس أخوك الدائمُ المهدٍ بالذى يسؤوك إن وليَّ ويرضيك مقبلاً
ولكنَّ الأخَّ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إذا الأمرُ أعْضَلَا^(٤)
وقال الحسن بن عبد الرحمن^(٥) .

توحشتُ ولكنِّي أسرَّ بالوحشة أحيانا

(١) في : أبو الفتح .

(٢) في ١ : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومخضا : خالصة .

(٤) انظر الأبيات في ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الرامهرمزي ، محدث العجم في زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه
الشمالي في البيعة ، وكان الحسن محتصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر في ترجمته بقيمة الدهر
٣٨٦/٣ (الأعلام ٢/٢٠٩) .

وفى الوحشة ما يؤي نِسُ من صحبة من خاناً

وقال أبطاً :

يا حبذا الوحشة من أنيسٍ إذا خَشِيتَ من أذى الجليسِ

وقال أبو العتاهية^(١) :

برمتُ بالناسِ وأخلاقِهِمْ فَصِرْتُ أُسْتَأْنَسُ بِالْوَحْدَةِ
ما أَكْثَرَ النَّاسَ لَعْمَرِي وما أَقَلَّهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

كتب شيخ من أهل الرمي عَلَى باب داره : جزى الله عنا من لا نعرفه^(٢) ولا
يعرفنا^(٣) خيراً ، وأما أصدقاؤنا الخاصة فلا جزاهم الله خيراً ، فإننا لم نُؤْتِ
إلا منهم .

قال سفيان : ما وجدتُ من يغفر لي ذنباً ، ولا يستر لي عيباً^(٤) ، فرأيت في
الهرب من الناسِ السلامة .

قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري : دُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أَجْلَسُ إِلَيْهِ ، قال :
تلك ضالّة لا توجد .

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) ١ : على زلة .

١١ قال أكتهم بن صيفي : الاتقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس
مكسبة لقرناء السوء ١٠ .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لَدَا الناسِ قد بُدِّلُوا فهم كذئاب عليها ١٢ مِيَابُ
تواطئوا على كلِّ مستقبَحٍ فما لقبيح لديهم مُعَابُ
وخانوا الأمانة ما يَنبَنُّهم وهل بالأمانة تُوفى الذئابُ

قال الأضبط بن قريع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفَعُنِي يا قومٍ من عاذِرِي من الخُدَعَةِ ١٣

أنشد الخيري ١٤ لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدنيا على خَطَرٍ وفي بلاءٍ وصَفُو شَيْبَ بالكَدَرِ
كراكِبِ البحرِ إن تسلم حُسَّاشَتُهُ فليس يسلم من خَوْفٍ ومن حَذَرِ

وقال قدامة بن إبراهيم الجُمَحِي ١٥ :

(١) ساقط من ح .

(٢) في ح : عليهم .

(٣) البيت في أمالي الفاي ١٠٧/١ ، ١٠٨ .

(٤) لم أعثر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع
الحريري صاحب المقامات فقد ولد هنا في سنة ٤٤٦ هـ وتوفي ٥١٦ هـ ، أي أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلملح الحريري
(عبد الملك بن إدريس) انظر النتيجة ٨٨/٢ .

(٥) المدني ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء
الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رَوَّاه .

العجزُ ضعفٌ وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوءُ الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم في أمرٍ تحاذرُهُ فإنَّ أصبتَ فما بالحزم من باسِ

أنشدني عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي^(١) لنفسه :

أشعرنُ قلبك ياساً ليسَ هذا الناسُ ناساً
قد مضى الإبريزُ منهم وبقوا بعدُ مُحاساً
سَامِرِيَّيْنِ يَقُولُو نَ جَمِيعاً لَا مَسَاساً

لهلال بن العلاء^(٢) :

لما عفوتُ ولم أَحْقِدْ على أحدٍ أُرحتُ نفسي من همِّ العداواتِ
إني أحبيّ عدويّ عند رؤيته لأدفعَ الشرَّ عنيّ بالتحياتِ
وأحسنُ البشرِ للإنسانِ أبغضُهُ كأنَّه قد ملأَ قلبي محباتِ
ولستُ أسلمُ ممن لستُ أعرفُهُ فكيف أسلمُ من أهل الموداتِ

(١) الأندلسي الإشبيلي ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلية ، وعاش في قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة في النجوم واللغة ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . انظر بغية الملتبس ٥٦ ، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦) .

(٢) أبو عمرو الرقي ، قال عنه ياقوت في المعجم ٢٩٤/١٩ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقعة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومي^(١) :

يا ذا الذي منه التَّغِيُّ رُ والتَّشْكُرُ والتَّبَوُّ
إن كان أدركك الملا ل فقد تداخلني السُّلُو

آخر :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرتُ حراً والهوى خادمي
وصرتُ بالوَخْدَةِ مستأنساً من شرِّ أولادِ بني آدمِ
ما في اختلاط الناس خير ولا ذو الجهل بالأشياء كالعالمِ
يا عاذلي في تركهم^(٢) جاهلاً عُذْرِي منقوش على خَاتَمِي

وكان في خاتمه منقوشاً : ﴿ وما وَجَدْنَا لَأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾^(٣)

وقال منصور الفقيه :

نفرتُ من كلِّ من وثقتُ بهِ إِذْ كُلُّهُمْ خَانَنِي ولم أُخْنِ
من لَانَ لي جانباه لِنْتُ له ومن أَبَى أَنْ يَلِينِ لم أَلِينِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إِخْوَانُهُ^(٤) يا معشرَ الناسِ إِخْوَانِ

(١) ديوانه ٣٠١ .

(٢) في ١ : لومهم .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .

(٤) في ح : لي هله .

إخوانُ سوءٍ كلُّهمُ فاسِقٌ له لسانانِ ووجهانِ
يلقاك بالبشرِ وفي قلبه داءٌ يواريه بكتانِ
حتى إذا ما غبتَ عن وجهه رماك في الغيب بهتانِ
يأيها المرءُ فكنْ واحدًا فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبُعدُ منهم سفينةُ
وقد نصحتُك فانظرْ لنفسِك المسكينة^(١)

طرفة بن العبد :

كلّ خليلٍ كنت خالته لا ترك الله له واضحَه
كلهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبه الليلة بالبارحة^(٢)

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدهر إن وفا وأخا الدهر إن غدرُ
كن من الناس كيف شئت على غايةِ الحذرِ

كان يقال : صحبهُ الأشرارِ تورث سوء الظن بالآخرين .

(١) البيتان في معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، التنبيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البيتان في ص ٦٥٤ .

وقال ابن وكيع .

فسد الناس كلهم واتقضى الودُّ (١) فما في الزرى أخ ذو صفاء
وأرى طالبَ الفرارِ من النا سِ ومُرْتَادَ قَرَبِهِمْ في بلاء
ذاك بالانقباضِ (٢) يكسب المنة ت ويُعزى به إلى الكبرياء
وأخو الانبساطِ يخشى انقلاباً من صديق يُضيعُ حق الإخاء
وإذا ما الصديقُ عاد عدواً فهو مستفَرَّه (٣) من الأعداء

وقال منصور الفقيه :

في الناس خيرٌ كثيرٌ والشر في الناسٍ أكثرُ
وقد نصحتك حَهدى فانظر لنفسك واحذرُ
فإن وثقتَ بقولى فيهم وإلا فنررُ

وله أيضاً :

إنما الناس فزعةٌ ليس في الناس مفرغُ
ذم من شئت منهم فهو للذم موضعُ

ولما حضرته الوفاة ، قال (٣) : أستغفر الله من هذين البيتين .

(١) في ح : لا تقباض .

(٢) : مستكره .

(٣) ساقطة من أ

قال سُوَيْدُ بْنُ مَنَجُوفٍ :

فبَلِّغْ مُصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وهل تجد النصيحَ بكلِّ وادٍ
تَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تُنَاجِي وإن ضحكوا إليك هم الأعداى^(١)

أنشد الزبير لأبي هَمَّامَةَ :

إخوة ما حضرت سَرُّونَ بَرُّو ن^(٢) فَإِنْ غَبْتُ فَالسَّبَاعُ الْجِيَاعُ
باينونى حتى إذا عاينونى بَأَنَّ مِنْهُمْ تَضَاوُلٌ وَاحْتِشَاعُ
^(٣) فَمَنْ يَغْمَزُونَ مِنِّي قَنَاءَ ليس يألون غَمَزَهَا مَا اسْتَطَاعُوا^(٣)
ما كذا يفعلُ الكرامُ ولكن هكذا يفعلُ اللثامُ الوِضَاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبد الله غلام أبي العتاهية : ^(٤) كنت عند أبي العتاهية^(٤)
قبل موته بثلاثة أيام ، وإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَلَّةِ لَمَّا بِهِ ، فرفع رأسه إلى وقال :
يا أبا غسان !

لِلَّهِ دَرُّ أَيْكَ أَيْ زَمَانٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ
كُلُّ يُوَازِنُكَ الْمَوْدَةَ دَائِبًا^(٥) يُعْطَى وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ

(١) البيتان في الميوان ٥/٩٤ هـ ، وفيه : فَأَبَاهُ مُصْعَبًا ، أَكْثَرَ مِنْ تَوَاحِي .

(٢) ١ : سُرُوا وَبَرُوا فَإِذَا .. الْح .

(٣) ساقط من ج .

(٤) ساقط من أ .

(٥) ١ : جَاهِدًا .

فإذا رأى رُجْحَانٌ حبةَ خردلٍ مالتْ مودتُهُ مع الرُجْحَانِ
في كلِّ يومٍ منه تبدو قِصَّةٌ تنمى إليك مودَّةَ الإخوانِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

أىَّ زمانٍ نشأتَ فيه كذى ضلالٍ بأرضٍ تيه
ما شئتَ من عالمٍ خبيثٍ فيه ومن جاهلٍ سفيه

وقال أبو العتاهية^(٢) :

إنَّ الزمانَ يغرُّنى بأمانه ويذيقنى المكروهَ من حداثته
فأنا النذيرُ من الزمانِ لكلِّ من أمسى وأصبحَ واثقاً بزمانه
ما الناسُ إلا للكثيرِ المالِ أو لمسلطٍ ما دام فى سُلطانِه
فإذا الزمانُ رماهما^(٣) بلمةٍ كان الثقاتُ هناك من أعوانِه

قال إبراهيم بن العباس الصولى^(٤) :

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ فكلُّ بدمٍ ولومٍ حقيق
وأوحشنى من صديقِ الزمانِ وآنسنى بالعدوِّ الصديق^(٥)

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط فى ديوانه ٢٦١ .

(٢) الأبيات فى ديوانه ٢٨٠ .

(٣) فى الديوان : رعى الفنى .

(٤) ساقطة من ج .

(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

وربّ أخ ناديتُه في ملة فالفيتُه منها أجلّ وأعظماً^(١)

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلب سبيل الهدى جاهداً ودع عنك مُشْتَبَهَاتِ السُّبُلِ
وأصبح من الناس مستوفزاً فأكثرهم راصد للزَّلِ
وأجبن من قد ترى منهم لعمرك يُردى الشجاع البطل
وتسمى المقاتل أقوالهم بالسنة وقعها كالأسل
ومن حكّم الناس في عرضه فن جار أكثر من عدل^(٢)

وقال آخر :

وإذا دعوت أخاً إخاً ثك عند نائبة تنوب
ألفيته أحد الخطوب ب إذا تتابعت الخطوب

وهذا كله عندي — والله أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار^(٣)

(١) ديرانه ٥٧ .

(٢) الأبيات في نفع الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وترى بدل تسمى .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١/٧٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنى نفسى وصَيَّرَ فى الإيحاش من خلقه أنسى
وباعد دارى عاجلاً عن ديارهم كبُعِدَ مغيبِ الشمس عن مطلع الشمس
لعلّى أن أمسى من الشر آمناً وأصبح مسروراً بذاك كما أمسى
فما نكّدت الدنيا على طيب ظلمها وقرب جناها العذب شئ سوى الانس

قال أعرابى ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر
درى الله أنى للأئيس لشانى وتبغضهم لى مُقَلَّةٌ وصَمِيرٌ^(١)

وقال آخر :

قد بلوتُ الناس طُرّاً لم أجد فى الأرض حُرّاً
صارَ أحلى الناسِ فى عيّ نى إذا ما ذيق مُرّاً
ووجدت الحلوى منهم عندما جرّبت صَبِراً^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بنى دهرنا أفاع ليس لمن ساورت طيب

(١) البيتان فى الحيوان ٣٧٩/١ ، المؤلف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأخميم السعدي ، وفيه : لوح بدل صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبي حازم فى العيون ٣٨٤/٢ ، ووردت فى العقد الفريد ٣/٢١٤ بدون نسبة .

فلا يكن فيك بعد هذا لواحدٍ منهم نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غير عيٍّ ولزمتُ الفراشَ من غير علةٍ
وهجرتُ الإخوانَ لما أتنى عنهم كلَّ خصلةٍ مضحكةٍ
فعلى أهلِ ذا الزمانِ جميعاً ضعفَ قطر السماء من لعنة الله

وقال آخر :

لا تعرفنَّ أحداً فلستَ بواحدٍ أحداً أضرتَّ عليك ممن تعرفنَّ
أما نظيرُك فهو حاسدٌ نعمةٍ أو دون ذاك فذو سؤالٍ ملحفٍ
أو فوق ذلك حال دون لقائه بوابٍ سوءٍ واليفاعُ المشرفُ

وللشافعي الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهي :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورَةً وليتنا لا نرى بما نرى أحداً
إن السباعَ تهدياً في مراتبها والناسَ ليس بهادٍ شرُّهم أبداً
فاهربْ بنفسك واستأنسْ بوحدتها تعيش سليماً إذا ما كنت منفرداً

وقال منصور الفقيه :

أحذركُ الناسَ إلا قليلاً فلا تبيننَّ إليهم سبيلاً

وفارقهٖم عن قِلي واتخذ
من الجن والجن إن تلقهٖم
من الإنس؛ لا كان مستأنسا
إذا ما خشيتَ انفرادا خيلا
تجدهم أبرَّ فعالا وقيلا
بهم طالبٌ من سوامٍ بديلا

وقال أبو المتاهية :

أياربُ إنَّ الناسَ لا ينصفونني
وإن كان لي شيءٌ تصدَّوا لأخذه
وإن نالهم بذلي فلا شكرَ عندهم
وإن طرقتني نكبةٌ فرحوا بها
سأمنعُ قلمي أن يحنَّ إليهم
وأحجبُ عنهم ناظري وجفوني^(١)
وإن أنا لم أنصفهم ظموني
وإن جئتُ أبغى شيءٍ ممنعوني
وإن أنا لم أأبدل لهم شتموني
وإن صحبتني نعمةٌ حسدوني

أنشدني حكيم بن المنذر لنفسه :

وكنتم أخلأى الذين أعدَّهم
فأخلفتم ظني بكم فقلبتكم
لصرف زمانٍ إن أَلَمَّ بدهيةٍ
فنفسي عنكم آخر الدهر سائلة

وقال آخر :

ولما رأيتُ الناسَ لا عهدَ عندهم
وصرتُ جليسَ الكُتبِ ماعِشتُ فيهم
صدقتُ - ويدي الله - عن صحبة الناسِ
وأعملتُ حسن الصبرِ عنهم مع الياسِ

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : ردى بدل بدلى فى البيت الثالث ، ونكحوا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رأيت لهم كاسًا من الفَنَرِ بينهم تَدَارُ وما بالقومِ صبرٌ عن الكاسِ
وهذا الباب وما جانسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان
والزهد فيهم ، قد أكثر الناس فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصى وكثر
وجود وغزر ، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من
غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد
والحول والقوة^(١) .

(١) في ١ : وبالله العون لاشريك له .

بابُ الصِّديقِ والعدو

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظمتُ منزلةُ الصِّديقِ حتى عند أهل النار ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى حاكياً عنهم : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾^(١) .

قال عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه : لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته .

قال سويدُ بن الصَّامت^(٢) :

أَلَا رَبِّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَاتِلَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرِي
مَقَاتِلُهُ كَالشَّهَدِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى نُفَرَةِ النَّحْرِ
تُبِينُ لَكَ الْعَمَيَّانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ مِنَ الشَّرِّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّوْزِ
يَسْرُكُ بِأَدِيهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ تَيْمُهُ غَشٌّ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهِرِ
فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي^(٣)

(١) سررة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدى الخزرجي الأنصاري، شاعر من أهل المدينة في سوق، كان يسميه قومه الكال، اشتهر في الجاهلية ، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير ، ولقيه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي الحجاز ، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه : يثا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائداً إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، ولأن كان ابن سعد والطبري يقولان إنه شهد أحداً . انظر الإصابة الترجمة ٣٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها في البيان ٣/٢٥٦، الأمل ٢/١٩٨ ، وماعدا الرابع في عيون الأخبار ٣/٨١،

كان أبو العباس السِّفاح إذا تعادى اثنين من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عدلاً ، ويقول : ^(١) العداوة تزيد العدالة .

كان يقال ^(١) : لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويحاربك في صوابك .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ابذل لصديقك كل المودة ، ولا تبذل له كل الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كل المواساة ، ولا تنفضي إليه بكل الأسرار .

روى عن علي بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعة من دينه يرقعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً .

= منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى في الأسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهي في الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية في الأملال : لسانه بدل مقالته .
المأثور : السيف في منته أثر ، وقد فسره في العيون بأنه الذي يؤثر عنه شر ونهم ، وأحسبه ليس دقيقاً ،
ثمرة النحر : فقرته . والرواية في العيون : كالشحم بدل الشهد ، وفي البيان : مادام بدل ما كان ، وفي الأملال :
حاضر بدل شاهداً ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشرر : النظر فيه إعراس ، أو هو نظر الغضب أو الحاقدة بمؤخرة العين ، والرواية في العيون : من
الضغن والشحناء بالنظر الشرر ، وفي البيان من الغل والبغضاء .

تبتى : تقطع .

راش الصديق : أصاح حاله وضده براه .

(١) ساقط من أ .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تصافح من لا قيت لي ذا عداوة وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى

في أبيات قد ذكرتها في باب البنى والحسد وغيره ، وفي رواية أخرى :

عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت صديقي ليس ذاك بمستوى

وقال آخر :

عدو صديق داخل في عداوتي وإني لمن ودّ الصديق ودود
فلا تقرب مني وأنت عدو من أصادقه فالخير منك بعيد^(١)

(٢) وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا^(٣) عيسى
عن ابن مقسم ، قال : أنشدني أبو علي إسماعيل بن محمد الصّغار ، قال : أنشدني
أبو العباس المبرّد :

صديق عدوى داخل في عداوتي وإني على ودّ الصديق صديق
أعدى الذى عادى وأهوى له الهوى كأننى منه فى هَواه شقيق^(٤)

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، ورواية البيت الثاني فيه :

فلا تقرب منى وأنت صديقه فإن الذى بين القلوب بعيد

(٢) في ١ : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) في ١ : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية في أمالي القالى ٨٣/١ .

وقال العتّابي :

تودّ عدوّي ثمّ تزعمُ أنّي صديقك إنّ الرأى عنك لعازبُ
وليس أخى من ودّني رأى عينه ولكن أخى من ودّني وهو غائب^(١)

قال آخر :

إذا وّالى صديقك من تُعادي فقد عاداك وانقطع الكلامُ

قال معاوية : النبيل مؤاخاة الأكفاء ، ومداواة^(٢) الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنما أحب
أخى إذا كان صديقي .

قال بعض علماء أهل المدينة : من ثقل على صديقه خفّ على عدوه ، ومن
أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ، فلا تردم
في أعدائك^(٣) ، فإن الصديق يحوّل بالجفاء^(٤) عدوا ، وكذلك العدو يحول
بالصلة صديقا^(٥) .

(١) نسب البيتان في حاشية البحترى لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد
وردا في أمالي القالي ٨٣/١ ، العقد الفريد ٣٠٧/٢ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٦/٣ وفيها : ولكن أخى من
صدقته المفاتيح .

(٢) المداواة : المداراة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) في ١ : إغرائك .

(٤) ساقط من ح .

(٥) في ١ : صديقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوة رجل بصدقة ألف .

قال الشاعر :

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم بطون إذا استنجبتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير^(١)
ومما أنشده المبرد :

ترفع عن مخاشنة الصديق ولا تلج العدو إلى مضيق
وإن يسئ من المعروف شيء فبادر خوف إمكان الطريق
وأحسن من مجاهدة الأعدى مجاهدة النفوس على الحقوق

كان المنيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدوا .

سئل أعرابي عن ابن العم ، فقال : عدوك وعدو عدوك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوه خلفه في حياته ، ويقدمه أمامه في وفاته .

كان يقال : لا تلمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك في مخالفتك .

جمع كسرى يوما مرار بته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أي شيء أنتم أشد حذرا ؟ قالوا : من العدو الفاجر ، والصديق الغادر .

(١) نسب البنان في محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : أتقِ العدوَّ ، وكن من الصديقِ على حذر ، فإن القلوب
إنما سميت قلوباً لتَقْلِبُهَا .

منصور الفقيه :

احذر مودةَ ماذقٍ^(١) مَزَجَ المرارةَ بالحلاوةَ
يُحْصِي الذنوبَ عليك أَيَّامَ الصداقةِ للعداوةِ^(٢)

وقال جحظة البرامكي :

لا تُعِدَّنْ لزمانٍ صديقاً وأعدَّ الزمانُ للأصدقاءِ^(٣)

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاطَ تَغَضُّباً^(٤) فالغَيْظُ يُخْرِجُ كامنَ الأحقادِ
ولربما كان التغيظُ باحثاً^(٥) لمعائب الآباء والأجدادِ

استعدي أعرابي على بلال بن جرير بن الخطفي إلى قُثم بن العباس فقال :

أعوذُ بعباسٍ وَحَقْوَى مُحَمَّدٍ وَحَقْوَيْكَ^(٦) من طولِ الأذى والنوائلِ

(١) الماذق : غير خالص الود .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١٠٧/٣ من غير نسبة وفيه : والمدارة ، واظهرهما في الصداقة والصديق ٤١ .

(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٩٩/٣ .

(٤) في التغيظا .

(٥) في ا : باديا .

(٦) ساقط من ج ، والمحقو : الكشح ، وهو ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلف .

فإنّ بلاّ يا بن عمّ محمدٍ عدوّ إذا جاملته لم يُحَامِلِ
إذا نال يوماً رِشوةً من مخاصمٍ رى كل حقّ أدعيه يباطلِ

قال ابن وكيع :

ليس بالْمُنْكَرِ انقلابُ صديقٍ ربما غُصَّ شاربٌ بالشَّرَابِ
وتلاقى الإخوان بعد فسادٍ كتلاقى^(١) الأرواح بعد الذهابِ
لا تضئعُ مودةً من صديقٍ فاتقلابُ الصديقِ شرٌّ انقلابِ

قال آخر :

وَرُوِّعْتُ حَتَّى مَا أَرَاعَ مِنَ النَّوَى وإن بَانَ جِيرَانٌ عَلَى كَرَامٍ
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى هَجْرِ الصَّدِيقِ تَنَامُ^(٢)

وقال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتَ أَمْرًا فَاحْذَرِ عِدَاؤَهُ من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً
إن العدو وإن أبدى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثباً^(٣)

(١) في ١ : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان في وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحماسة ١٠٣/١ إلى عبد الصمد بن المعذل والرواية

في الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان في نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمهيل والمحاضرة ٧٨ .

قال صاحبُ بن عبّاد :

لقد صدّقوا — والراقصاتِ إلى منى —
بأنّ مُدْرَاةَ العدى ليس تنفعُ
ولو أننى دارأتُ عمريَ حيةً
إذا استمكنت يوماً من اللّسعِ تلسعُ^(١)

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زلَّ صاحبهُ
يوماً رأى ذاك ذنباً غيرَ مغفورٍ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعْذِرُ في
ما ليس صاحبهُ فيه بِمَذُورٍ^(٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصتى أيامَ تجرّى تجارى السّوقِ^(٣)

قال أبو تمام الطائي :

وحسبك حَسرةً لك من صديقٍ
رأيتَ زمامهُ يبدى عَدُوَّ^(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصديقِ
فلستَ من التَّحِيْرِ في مضيقٍ

(١) البيتان في التمثيل والمحاصرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ١٠٩/٣ ، قيمة الدهر ٢٧٨/٣ ، وفيها : إذا
مكنت بدل استمكنت ، وفى ١ : من السم بدل اللسم .

(٢) ساقطان من ١ ، وانظرهما في المقد الفريد ٣٠٧/٢ .

(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديق أيام كنا فردين من عامة الناس ، وقد
ورد البيت ضمن أربعة أبيات في عيون الأخبار ٧٤/٣ منسوبة لـ محمد بن مهدي ، وبعد البيت الوارد هنا
في العيون :

حتى إذا راح والملك معاً
عدا طراحي من صالح الخاق

(٤) البيت ساقط من ١ ، وانظره في ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زماً ٤ .

طريقاً كنتَ تسلكه سليماً فأسبع فاجتنبه إلى طريقٍ
فإن قابلتَ يُسرَى منه عُسرَى فراجع من قطعتَ من الصديقِ
وقال عبدُ بنى الحَسْحَاسِ^(١) :

رأيتُ الحبيبَ لا يُعلمُ حديثه ولا ينفعُ المشنوءَ أن يتوددَا
وقال زياد الأعجم :

عدوك مسرورٌ وذو الودِّ بالذى أتى منك من غيظٍ على كظيظ
تلينُ لأهل الغلِّ والغَمزِ منهم وأنتَ على أهلِ الصفاء غليظُ
نسيٍّ لما أوليتُ من صالحٍ مَضَى وأنتَ لتأنيبٍ على حفيظُ
وسُيِّتَ غِيَاظًا ولستَ بغائظٍ عدواً ولكنَّ الصديقَ يَغِيظُ^(٢)

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقواماً من العبيِّ والغَبا وأَعْذِرُ في بُغْضِي لأَنَّهُمْ ضِدُّ
ومن نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(٣)

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبي ، أعجمي اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ،
وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده في أوائل عصر النوبة ، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب
بشعره ، قيل : قتلته بنو الحسحاس في آخر خلافة عثمان حوالي سنة ٥٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشييبه بنسائهم . انظر
فوات الوفيات ١٦٦/١ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ١٢٤/٣) .

(٢) نسبت الآيات في أمالي القالي ١٩٨/٢ ، المؤلف ٨٨ للحسين بن المنذر يقولها في ابنة « غياظ » .

(٣) البيت الأول في الديوان ١٦٩ ، والثاني في ص ١٦٨ ، أي أن الثاني يرد في الترتيب قبل الأول
في القصيدة .

(١) وقال آخر:

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إذا تخلفت عن صديق فلم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه فإنما وده تكلف
وإن تعد بعدها إليه فلا تلمه على التصلف^(٣)

وقال آخر :

إذا كنتم الصديق أخاه سراً فما فضل الصديق على العدو^(١)

وقال ابن الرومي :

عدوئك من صديقك مستفاد^١ فأقلل ما استطعت من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
وإنك قلما استكرت إلا وقعت على ذئاب في ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير يُعاب وكم قليل مستطاب
وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الرئى في النطف العذاب

(١) ساقط من ج .

(٢) البيت للعتبي أيضاً ، انظر ديوانه ٣٧٧ .

(٣) البيتان الأول والثاني في خاص الخاص ١٠٧ ، التمثيل والحاضرة ١٠٥ ، معجم الأدباء ١٨٩/١٩ .

إذا انقلبَ الصديقُ غداً عدوًّا مُبينًا والأمورُ إلى انقلابٍ^(١)

وقال منصور الفقيه :

احذرْ عدوكَ مرةً واحذرْ صديقك ألفَ مرَّةٍ
فلربُّما انقلبَ الصديقُ قُ فكانَ أَلَمٌ بالمضرة^(٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقك خائفًا فلربُّما حال الصديق^(٣)

وقال آخر :

احذرْ صديقك لا عدوكَ إنما مَسْئُورُ سرِّك عند كلِّ صديقٍ^(٤)

قال أبو بكر الخالدي^(٥) :

ما في زمانِكَ ما يعزُّ وجودُهُ إن رمته إلا صديقٌ مخلصٌ^(٦)

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيت في محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى علي بن عيسى .

(٣) في ١ وردت الشطره الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدق .

(٤) في ١ : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هاشم بن وعلة ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخالدين ، وكأنا من خواص سيف الدولة ولاعما خزانة كتبه ، ولهما عدة مؤلفات في الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢٧١/٢ (الأعلام ٢٥٣/٧) .

(٦) بيت في نهاية الأرب ١٠٣/ ، لتبيل والمحاضرة ١١٣ ، بتجمة الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْت يَخاطبُ بنى العباس^(١) :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوَّكُمْ وَخَفْنَاكُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَاكِدٌ^(٢)

وقال آخر :

وَبَغْضُكَ لِلتَّقَى أَقْلُ ضُرًّا وَأَسْلَمُ مِنْ مَوَدَّةِ ذِي الْفُسُوقِ
وَلَنْ تَنْفَكَ تُحْسَدُ أَوْ تُعَادَى فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ^(٣)

خالفه ابن الرومي فقال :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَحُلُو فِي الْحُلُوقِ^(٤)

أَكْثَرُ رَجُلٍ عَلَى رَجُلٍ بِالسَّلَامِ وَقَالَ لَهُ : أَنْاصِدِيكَ . قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي
أَسْلَمٌ عَلَيْكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

لَئِنْ كَانَ مِنْ قَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَمُدُّ صَدِيقًا فَالْصَّدِيقُ كَثِيرٌ

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكمي بن زيد الأسدي ، كما في عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن
الكميت مات سنة ١٢٦هـ ، أي قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبي العباس
السفاح بالأخبار ، فأخذه الحرس فجذبه ، فكتب إلى أبي العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته .
انظر الأغاني ١١٧/١٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ١٠٧/٨ .

(٢) في ج : لواحد وانظر البيت في عيون الأخبار ٣/٣٠ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢/٣ ، وفيها : وبغضاء التقي أقل ضرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٦٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لَا تُهِنَنَّ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ نَفْسَكَ حَتَّى تَعُدَّ مِنْ خَوْلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَكَ عَلَيْهِ كَمَا يَحْمِلُ أَثْقَالَكَ عَلَى جَمَلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى بِالَّذِي يَحْمُولُ عَنْ آلِهِ مَهْدٍ وَيُؤْتِي الصَّدِيقُ مِنْ قَبْلِهِ
وَلَسْتُ مُسْتَبْقِيَا أَخَا لَكَ لَا تَصْفَحُ عَنْ جَهْلِهِ رَعْنُ زَلَلِهِ^(١)

وقال آخر :

إِنَّ الصَّدِيقَ فَلَا تَأْمَنُ بَوَاقِيَهُ أَسْوَا الْعَدُوِّ إِذَا مَا سُوَّتَهُ أَثَرَا

وقال رجل من بني سليم :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَاجٍ عَلَى حَالِ التَّكَاشُرِ مِنْذُ حِينِ
فَأَبْنُضْهُ وَيَبْغِضْنِي وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبْحْنَا جَرَى الدَّمِيَّانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ

وقال المُتَمَلِّسُ :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَشَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايَلُنَّ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَانَا^(٢)

(١) الأبيات في عبون الأخبار ١٧/٣ ، حساسة البحري ١٧/٣ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لئيم ، وتصنع مما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، وروى : تشاط وهما عسى ، تزايلن : افترقن ، والبيت في العقد الفريد ٣٥٩/٥ ، البيان والتبيين ٥٧/٣ ، الحلو ١٣٦/٣ ، فصل المآل ١٣٢ م

وقال آخر :

إذا كنت ممن لا تُرى نافعاً صديقاً ولا بعدوً تضرُّ
فسيان إن متَّ أو إن حييت فلا ذا يسوء ولا ذا يسرُّ

لأبي عينة المهلب،^(١) أو على بن جبلة^(٢) :

ولما رأيُك لا فاجراً قوياً ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقي وليسَ صديقكَ بالحامدِ^(٣)
دخلتُ بك السوقَ الرقيقَ وناديتُ هل فيك من زائدٍ؟^(٤)
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدِ
^(٥) سوى رجلٍ حانَ منه الشقا وحلت به دعوة الوالدِ^(٥)
مُحاطٍ به^(٥) معه درهمٌ ردى فأقبل كالراصدِ
فبعتك منه بلا شاهدٍ مخافةً ردك بالشاهدِ

(١) زيادة في - .

(٢) يرد بدل هذا البيت في العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقي ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت في العقد :

على رجل خائن للصديق كفور بأفعه جاحد

(٤) ساقط من - ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذي بعده في العقد بل ورد مكانها بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دافعا ولم يك في ذاك بالهامد

(٥) في - : سوى رجل .

وَأَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي غَانِمًا وَحَلَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّاقِدِ^(١)
وقال آخر^(٢):

سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهُوَ نَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خِلَاءِ^(٣) وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يَهَانَا
قال العَطَوِيُّ :

إِذَا مَا الْحَرْثُ فَازَ^(٤) بِحُسْنِ حَالٍ أَجَازَ صَدِيقَهُ مِنْ سُوءِ حَالٍ
إِذَا أَتَرَى رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ لَهُ الْإِفْضَالُ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ
لَعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ فِتًى كَرِيمًا يَحِبُّ الْمَالَ إِلَّا لِلنَّوَالِ
أَبَا حَسَنِ ثَكَلْتُ الْحَزَمَ فِيمَا أَحَاوَلُ مِنْ مَقَالِي أَوْ فَعَالِي
لَقَدْ كَذَبْتَ ظَنُونِي فَيْكَ أَنْ لَمْ أَتُبْ مِنْ حُسْنِ ظَنِّي بِالرَّجَالِ^(٥)
وقال آخر:

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ فَبِرُّ صَدِيقِهِ فَرَضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا في الصداقة والصدق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذي أوضحت في العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب في كليهما .

(٢) هو عمير بن جميل التلمبي كما في معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماء في العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التلمبي وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفي السكائل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) في : في هوان .

(٤) ١ : إذا ما المرء جاز بحسن حال .

(٥) ساقط من ١ .

فَإِنْ عَنْهُ الصَّدِيقُ أَقَامَ يَوْمًا فَوَجَّهُ الْبَرَّ أَنْ يَسْمَى إِلَيْهِ
وَأِنْ كَانَ الصَّدِيقُ قَلِيلَ مَالٍ يَضِيقُ بِذَرْعِهِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ أَسْنَى فَعَالٍ الْمَرْءُ أَلَا يَضُنُّ عَلَى الصَّدِيقِ بِمَا لَدَيْهِ

وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَدَّ مِنْ وَدِّ صَدِيقٍ آمِنٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدٌّ أَخٍ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ

(١) عبد الله بن طاهر ، و يروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره (١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرني يحيى بن المعلم ، قال : مررت بعلى بن الجهم ، وقد أذن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع (٢) ، فسلمت عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقيم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأكفى به صديقا له قبلى يد . قال : فلم أمش إلا قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأنشدنى (٣) :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَتَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ (٤)

(١) ساقط من ١ ، م .

(٢) فى ١ : ابن وكيم وهو تحريف .

(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبه الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها نُسب أيضا إلى أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ ، أمانى القال ٢/٣١٤ ، أو إلى إبراهيم بن العباس الصدوق كما ورد فى الأغاني ١/٢٣ (بولاق) ، زهر الآداب ٤/١٥٦ ، ٥٧ ، مجمع الأدباء ١/١٧٤ .

(٤) فى الأمانى و"هـ" ون : أميل مع الدمام ، وفى العيون : وأحتمل الصديق .

وإن ألفتني مَلَكًا مُطَاعًا فَإِنَّكَ واجِدِي عبدَ الصديقِ^(١)
أفرقُ بينَ معروفٍ ومَنِيٍّ وأجمعُ بينَ مَالِي والحقوقِ
قالوا : احذر من وترته وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثقُ به .
قال الشاعر^(٢) :

إذا وترتَ امرئًا فاحذر عداوتهُ مَنْ يزرع الشُّوكَ لا يحصدُ به عنبًا
إن العدوَّ وإن أبدى بشاشتهُ إذا رأى منك يومًا فرصةً وثبًا
وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبياتٌ تصلح في هذا الباب ، فلم أروجها
لتكرارها .

(١) في معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملكا .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق في ص ٩٦٠ .

بابُ جامعٌ متخيرٌ في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالِلُ » .

« قال الأوزاعي : الصاحبُ للصاحب كالرقعةِ للشوب ؛ إن لم تكن مثله شاتئه ^(١) .

قال الشاعر :

وما صاحبُ الإنسان إلا كرقعةٍ على ثوبه فلينخذهُ مُشَاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خيرَ في صحبةٍ من لا يَرَى لك كالذى يرى لنفسه » .

وفي الخبر المرفوع أيضا « شيطانٌ لا يزدادانِ إلا قلة : درهمٌ حلال ، وأخٌ في الله ^(٢) تسكن إليه » .

وقد روى مرفوعا : « المرء كثيرٌ بأخيه » .

قال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من ا .

الخلال : من إذا حدّثك كذّبتك ، وإذا أثمتته خانك ، وإذا أثمتك اتهمك ،
(١) وإذا أنتمت عليه كفرّك (٢) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبي الدرداء : معاتبه الأخ أهون من فقدته ، ومن لك بأخيك كله ،
فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أحبّ في الله ، وأبغض في الله ، وطاد في الله ، فإنه
لا تُنال موالاة الله إلا بذلك ، ولن يجد عبده طعم الإيمان — ولو كثرت صلواته
وصومته — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر
الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله (٣) ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدوّ إلا المتقين ﴾ (٤) ، وقرأ : ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر
يؤادون من حادّ الله ورسوله ﴾ (٥) الآية .

قال المغيرة بن شعبه : التّازلُ للإخوان منزول .

قال المنصور لإسحق بن مسلم العقيلي : ما بقي من لذّتك ؟ قال : أخٌ أشتهى معه
طول السهر ، ودابةٌ أشتهى معها طول السّفر .

قال جعفر بن محمد : حفظ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كرم .

(١) ساقط من ١ .

(٢) في ١ : وذلك لا يجري على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كان يقال : أنصحُ الناسَ لك^(١) من خاف الله فيك .

قال موسى بن جعفر : من لك بأخيك كله ، لا تستقص^(٢) عليه فتبقى بلا أخ .

كان يقال : الأخوة قرابةٌ مستفادة .

كان يقال : ما شيءٌ أسرع في فساد رجل وصلاحه من صاحبه .

ذكر الرياشي ، عن الأصمعي ، قال : ما رأيت شعراً أشبه بالسنة من قول
عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه
فكل قرينٍ بالمُقارنِ مُقتدي
وصاحب أولي التّقوى تنلّ من تُقاهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي^(٣)
وقال أبو العتاهية :

من ذا الذي يخفي عليّ
ك إذا نظرت إلى قرينه^(٤)

قال الخوارزمي :

لا تصحب الكسلان في حاجاته
كم صالح بفساد آخر يفسد

(١) في ح : فيك .

(٢) في ١ : لا تستقص .

(٣) ورد البيتان معاً في : شعراء النصرانية ٤٦٦ ، جوهرة أشعار العرب ١٠٢ ، وورد الأول في : معجم الشعراء ٢٥ ، عيون الأخبار ٧٩/٣ ، حسنة البحري ٣٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ٥٢ ، وقد نسب البيت لطرفة وورد في ديوانه ، ولكن الراجح أنها لمدى .

(٤) ديوانه ٢٨٢ ، وفيه : خدينه بدل قرينه .

عدوى البليد إلى الجليد سريعة^١ والجرؤ يوضع في الرماد فيخمد^(١)
 كان مفيان بن عينة يتمثل :
 لكل امرئ شكل يقتر بعينه^٢ وقرة عين الفسل أن يصحب الفسل^(٢)
 وقال صالح بن جناح :
 وصاحب إذا صاحب حراً مبرزاً يزين ويؤزري بالفتى قرناؤه^(٣)
 وقال سهل الوراق :
 تخير قريناً لا يعيب^(٤) فإنه يقامر لعمري بالقرين قرينه
 وشر خدين قاطع خدينه إذا حاد يوماً عن هواه خدينه
 وقال آخر :
 إن النديم وإن الكأس صيرني كما تراني سليب العقل والدين^(٥)
^(٦) قالوا : من أراد أن يدوم له وذ أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعداً
 فيخلفه^(٦) .

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت في البيان والتبيين ١٧٥/٣ ، الحيوان ١٥٨/٧ . والفسل : النذل الذي لا مروءة له .

(٣) في ١ : وزراؤه .

(٤) في ٢ : لا يعاب .

(٥) في محاضرات الأدباء ٣٢٠/١ ، ورد الشطر الأول من البيت : إني غفلت عن الساقى فصرني .

(٦) ساقط من ١ .

أوصى رجلٌ ابنه فقال : يا بني ! اصحب من إذا غبت عنه خلفك ، وإن
حضرتَ كنَّفَكَ ، وإن لقي صديقك استزاده لك ، وإن لقي عدوك
كفَّه عنك .

وقال بعضهم : لا تؤاخذ شاعراً ؛ فإنه يمدحك بشمن ، ويهجوك بحاناً .

لابن أخى زِرِّ بن حُبَيْش^(١) :

وما استخبأت في رجل خبيثاً كدين الصديق أو حسب عتيق

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبتك زانك ، وإن خدمته صانك ،
وإن أصابتك فاقة مانك^(٢) ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتمها وسترها ،
لا تخاف بوائقه ، ولا تختلف طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي ناصِحٌ لَكَ فَاسْمَعْ طمعت من الإنسان في غير مَطْمَعٍ

طمعت من الإنسان في صَفْوٍ وَدَّهِ أَلَا لَيْسَ يَصْفُو ذُو طَبَائِعٍ أَرْبَعِ

(١) زِرُّ بن حُبَيْش بن حَبَاشة بن أوس الأسدي ، من جلة التابعين ، وقد عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام
ولكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زِرُّ عالماً بالقرآن فاضلاً ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات
في وقعة بدر الجاهم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ١/٥٧٧ (الأعلام ٢/٧٥) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه
هذا الذي نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب في حماسة البجدي ٢٥٦ ليزيد بن الحسك النقفى ومن المؤكد أن
يزيد ليس ابن أخى زِرُّ ، فيزيد نقفى من الطائف ، وزر أسدي كوفي .

(٢) مانك : احتمال مؤثنتك .

خذ العفو من كل امرئ ثمّت ودّه وإن صناق عما ثمّت فتوسع^(١)
ولأبى العتاهية أيضا :

ياربّ خدنٍ كنت آمن غيبه أصبح تنطف في يديه جراحى
سلّحه ليردّ بأس عدوه فدا على فبزني إسلاحي^(٢)
وقال العاقولى^(٣) :

من يكرم الناس يكرمهم ومن يهينهم يهينهم
ومن يقل عثرة يقلها ومن يعين لم يزل ممّانا
كان أخا صاحباً زمانا فال عن وصلنا وخانا
تاه علينا ، وصدّ عنا فلا نراه ولا يرانا

وقيل لخالد بن صفوان : أى إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذى يغفر زلّى ،
ويقبل على ، ويسدّ خللى .

قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات : فإخوان كالغذاء لا يستغنى عنهم
أبدا ، وهم إخوان الصفاء ، وإخوان كالدواء يحتاج إليهم فى بعض الأوقات ، وهم

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة لى دير العاقول وهى بليدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير فى اللباب ١٠٥/٢ ، ٦
بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات لى أحدهم لجرّد أنه عاقولى ، هذا وقد ورد
لى ديوان ابن المعتز ٢٣/٢ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخوان كالداء لا يُحتاج إليهم أبداً ، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أصبح من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقك عليه .

كان^(١) ابن عيينة ماشياً بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلالتي اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنتُ ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنتُ أجالس الشيوخ والكهول ، ألم تسمع إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيد الله :

أَلَا أَبْلَغًا عَنِّي عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ فَإِنِ أَتَمَّا لَمْ تَفْعَلَا فَأَبَا بَكْرٍ^(٢)

ويروى : ولا تدعَا أَن تُثَنِّيَا بِأَبِي بَكْرٍ

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبي الأسود الدؤلي في الصفحة التالية زيادة في ١ .

(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الفخاري السكتاني المدني ، تابعي جليل ومحدث ثقة ، كان من أشبه أصحاب عمر بن عبد العزيز على بن مروان في انتزاع ما حازوا من العمى والمظالم من أيديهم ، فلما ولي يزيد ابن عبد الملك نفاه إلى دهمك على حدود اليمن ، ومات بها في خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ١٧٢/٧ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي . فاضى المدينة وأميرها لهزم بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : إنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفي عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٥٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٨/١٢ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لمبيد الله بن عبد الله بن عتبة النخعي في أمالي المرتضى ٣٩٨/١٢ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة في الأغاني ٩١/٨ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم إن ابن حزم ولي أمرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يجران عبيد الله فلا يسلمان ولا يقفان ، وكان صبراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات انظر البيهقي أيضاً في عيون الأخبار ١/٣ ، ٨ ، الحيوان ١٥٨/٧ .

فكيف تلومان ابن سبعين حجةً على مائتي وهو ابن عشرين أو عشرين
وقال آخر :

أبن لي فكن مثلي، أو ابتغ صاحباً كمثلك إني مبتغ صاحباً مثلي
ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل
قيل لبعض المدنيين : أي الهوى أغلب ؟ قال : هوى مُتَشَاكِلَيْن .

ولعبد الصمد بن المعدل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئ يعرفه الناس بمتابيه
لا تسألنَّ المرءَ عن حاله ما أشبهَ المرءَ بأصحابيه

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناس مثله وكل امرئٍ يهوى إلى من يشا كله
ومالك بُدٌّ من نزيل فلا تكن نزيلاً لمن يسعى به من يُنازله
وإن أنت نازلت الكريم فلا فيه بما أنت من أهل المروءة قائله
وإن أنت نازلت اللئيم فكن في تزياله في فعله وتحميله
إذا لم تُدَاخِلْ عزٌّ من كان ذا حجب وعزمٍ وحزمٍ لم تجذ من تُدَاخِلْه
وما الناس إلا بالأصول فإنما يُنَبِّتُ أعلى كل بيتٍ أسافله (١)

وقال جرير^(١) :

وإني لأستحي أخى أن أرى له على من الحق الذى لا يرى لي

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألا تخافا نبوتى فى مُلّة وخافا المنايا أن تفوتكما لي

تعرّضت فاستمررت من دون حاجتى خالك إني مستمر لحاليا

وإني لمسرور أعلل بالمنى ليالى أرجو أن مالك ماليا

فأنت أخى مالم تكن لي حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية^(٢) بن عبد الله

بن جعفر^(٢) فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدري من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فضيلاً كان شيئاً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا لي

فأنت أخى مالم تكن لي حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا

فلا زاد ما بينى وبينك بعداً بلوتك فى الحاجات إلا تنأيا

ولست براؤ عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راجيا

فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

(١) - الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النفاذ ١٧٧ ط أوربا ، وفيها :

فأنت أبى ... لا أباليا .

(٢) - ساقط من ١ ،

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانياً^(١)

وقد أدخل بعضهم في هذه الأبيات بيتين ، وهما :

ولست بهيَّابٍ لمن لا يهابُني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليَا
مَتَى تَذُنْ مِنِّي تَذُنْ مِنْكَ مَوَدَّتِي وإن تَنَأَ عَنِّي تُلْفَنِي عَنْكَ نَائِيَا^(٢)

^(٣) وقال روح أبو همام :

فَعَيْنُ السَّخَطِ تُظْهِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى^(٤)

وقال معن بن أوس :

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني عينيكَ فانظر أي كَفٍّ تبدلُ^(٥)

(١) هذا البيت وارد في القلط ، وانظر الأبيات لبد الله بن معاوية في عيون الأخبار ٧٥/٢ ، الكامل ١٢٥/١ ، زهر الأدب ١٢٥/١ ،

(٢) نسب هذان البيتان في حسنة أبي تمام ١٦٤/١ لأبي بن سمام المديني ، وورد في بيت جرير الأول : وذئب لأستحيي ، والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى .. في قصيدة طويلة في أمالي الغالي ٧٣/٣ ، ٧٤ لسبار بن هبيرة أحمد بن ربيعة الجوع بن مالك ؛ زيد مناة في عتاب أخويه خالد وزيد ، كما نسب البيتان المفذكوران في التمثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتنبى ولا يوجد ن في ديوانه .

(٣) ساقط من ح ، وفي أ : قال أبو العتاهية وهو خطأ فالبيت ليس له ولم يرد في ديوانه ، ومساكني بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره في الصداقة والصديق ٩٠ .

(٤) زهر البيتان متوسلين لمن في حسنة أبي تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ٣٦٤/١ السواد ٢١٨ ، حسنة البصري ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤٤٤/٤ ، ونسب في الميون ١٨/٣ لجرير وليسا في ديوانه .

كتب ابن عمار^(١) إلى برجوان كتاباً فيه قول الشاعر :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني^١ يمينك فانظر أي كف تبدل

فدما برجوان شاعراً كان قد استخضه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن

هذا البيت ، فقال :

ومازلت أهدى النصيح حتى أطرحته وأقبلت عن سبل الهداية تعدل

فهبك يميني استخبت فقطعتها لتسلم لي نفسي أم الهلك أجهل

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى عينه فيقطعها عمداً ليسلم سائرته

فكيف تراه بعد يمناه فأعلاً بما ليس منه حين تدوى سائرته^(٢)

أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد^(٣) قاسم

ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي خيثمة لأبي الشيص محمد^(٤) بن عبد الله

ابن رزين^(٥) :

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عينة بن الطفيل الأسدي ، وهو شاعر من مخضرمي الدوليين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرأ ، ولقد اتهمه إلى الكوفة بأنه من السراة ، وأنه من دعاة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة لحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفي ابن عمار حوالى سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغاني ١١/٣١٤ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدي من مراجع .

(٢) تدوى : تمزج ، وانظر البيتين في المثل والمخاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٩٦/٣ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر الأبيات في الصفحة التالية في الصداقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف في الترتيب في عيون الأخبار ٨١/٣ ،

ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في العقد الفرید ٢/٣٤٧ منسوبة لابن أبي حاتم ، وانظر المحاسن والأصداق ٤١ ،

صاحبٍ كان لي وكنتُ لهُ
أشفقَ من والدٍ على ولدٍ
كنا كساقَ تَسعى بها قدمُ
أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضُدٍ
وكان لي مُؤنِسًا وكنتُ له
ليستْ بنا حاجةٌ إلى أحدٍ
حتى إذا حلتِ الحوادثُ مِن
سأحتي وحلَّ الزمانُ من عُقَدِي
أحوَلَّ عني وكان ينظرُ مِن
عَيْنِي ويرمي بساعدي ويدي
(١) حتى إذا استرفدتْ يدي يدهُ
كنتُ كمسترفدٍ يد الأسدِ (١)

وقال آخر :

وإني لأستحي أخى أن أبرهُ
قريبًا وأن أجفوهُ وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرقدَيْن إذ طال ليلي
وهما في السماء مُقترنانِ
[ابقيا كيف شئتما عن قليلٍ
سوف تُطوي السَّما وتُفترقانِ] (١)

فيل لأعرابي : لم قطعت أهلك من أهلك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي
الذي هو أقرب إلى من أبي وأمي وأعز فقدا .

قال ابن ميادة :

ألم تك في يميني يديك جعلتني
فلا تجعلني بعدها في شمالِكَ

(١) ساطع بن غز .

وقال آخر :

لا تُهَيَّ بعد أن أكرمَني فشدَّيدٌ عادةٌ منتزَعَةٌ^(١)

وقال آخر :

وكلُّ أخٍ مفارقةٌ أخوه لعمُرٍ أليك إلا الفرقَدَانِ^(٢)

وقال آخر^(٣) :

لن يلبث القراء أن يتفرقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارٌ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لم يك من شكلي ففارقته والناسُ أشْكالٌ وألأفٌ^(٤)

وقال ابن الرومي^(٥) :

* وبعض السجايا ينتمين إلى بعض *

^(١) نسب البيت في عيون الأخبان ١٩٥/٣ لأبي الميناء ، ونسب في حاسة البعري ٩٠ ، ٤ إلى أنس بن أبي أنس اللبي ، وليهما : بعد إكرامك لي ، ونسب في زهر الأذانب ٣٦٦/١ إلى أبي الأسود ، وورد في إعقاب التكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

^(٢) ورد البيت في المؤلف ٨٥ ، حاسة البعري ٢٢٤ منسوباً إلى حضرمي بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب في السكامل ٢/٢٩٨ ، البيان والتبيين ١/٢٣٣ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

^(٣) هو جزير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

^(٤) في ح : لم يك لي شكلا ، وانظر البيت في المؤلف والمختاب ٨٥ ، المحاسن والمساوي ٢/٢٠٦ ،

^(٥) لم ترد هذه الشطره فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظم العِقدَ الكعابُ لزينةٍ كما ينظمُ الشمْلَ الشَّتيتَ الشَّمالُ^(١)

وقال المُساحِقُ :

تُزهِدُنِي فِي وَدَّكَ ابْنَ مُسَافِيعٍ مودُتُكَ الْأَرْدَالَ دُونَ ذَوِي الْفَضْلِ
وَأَنْ شَرَّارِ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُمْ زَمَانُكَ إِنْ الرَّذْلُ لِلزَّمَنِ الرَّذْلُ^(٢)
قال أكرم بن صيفي : أحقُّ من يَشْرَكُكَ في النعمة شرَكَؤُكَ في المكاره .

أخذه دعبل فقال ، ويروى لحبيب :

وإنَّ أَوْلَى الْبَرَايَا أَنْ تَوَاسِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ لِمَنْ وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشَنِ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهَا مُجْمَلًا
شَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فَعْلِهِ وَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلَ^(٤)

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٨/٣ .

(٣) نسب البيتان لأبي تمام في خاص الخاص ٩٥ ، عيون الأخبار ٣/٢٠ ، وانظرهما في ديوانه ٣١٤ ، ونسبا لاصولي ووردا في ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ١/٢٩ ، معجم الأدباء ١/١٩٢ ، ويروى لمن والاك بدل واساك ، وانظر التحقيق في ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان في المعبد الفرید ٢/٢٧٧ ملسوین لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا في محاضرات الأديب . ٥/٢ إلى منصور الفقيه .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي^(١) :

إِنِّي بِمَحَبَّتِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبِرَيْشِ نَبْلِكَ رَائِشٌ نَبْلِي
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا نَبَحَتْ كَلَامُكَ طَارِقًا مِثْلِي

قال عبيد^(٢) :

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُمُنِي وَفِي حَيَاتِي مَازُودْتَنِي زَادِي
الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِي

قال آخر :

وَإِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يَحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جَنْدَبُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَحْمِلُ مِنْكَ الْحَقُّ فَالْتَرَكْ^(٤) أَجْمَلُ

(١) مضمون ترجمته فيما سبق ، وانظر البيتين في الأغاني ٣١٣/١

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص في التمثيل والمجاهرة ٥٠ ، الشعر والعجاء ١٤٥ ، الساق ٣٩٧/١٥ .
والأول في البيان والبيان ٣/١٥٥ فصل المال ٢٠٥ ، الصداقة والصدق ٨١ ، وورد الثاني في العقد الفريد ٣٠/٤
إلى النافذة ، هذا وقد فصل ناسخ اللسغة ج بين البيتين بكلماتي : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد
البيت وحده ومع أبيات في كثير من كتب الأدب ، واختافت لصبته فيها . ففي حاسة البحري ١٠٩ قال : لا
للعمر بن جوين الطائي أو منقذ بن مرة السكتاني ، وفي المؤلف ٣٨ ، أمالي القالي ٨٥/٣ نسب لابن أحمر السكتاني ،
أو زرافة الباهلي ، ونقل هذه النسبة بنصها في اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات في عيون
الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق في هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) في ح : فالصبر .

وفي البعد منجاةً وفي الصرم راحةً
وفي الأرضِ عن لا يواتيك مَرَحَلٌ^(١)
وقال آخر :

لَهُ حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ
ومَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقًا
عليه لأهلها وهو الرسول^(٢)
قال آخر :

وددتُك لما كان وُدُّكَ خالصًا
وأعرضتُ لما صار نهبًا مُقسَّمًا
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناوًه
على كُرهِ الوُرَادِ أن يتهدَّمَ^(٣)
وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

نعم الزمانُ زمارني والشانُ في إخواني
ممن رمارني لَمَّا رأى الزمانَ رمارني^(٤)
لو قيل لي خذ أمانًا من أعظمِ الحداثِ

(١) وروى : مزحل وما يعني ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٩/٣ ، وفيها : وفي البعد منجاة
وفي الهجر راحة .

(٢) نسب البيتان في السكامل ٣٢٢/١ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا في عيون الأخبار ٢٠/٣
بدون نسبة ، وفيهما : عليه لغيره بدل أهلها ، وفي زهر الآداب ١٢٦/١ أنهما لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسلمي
في الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) البيتان في زهر الآداب ٢٦/٤ ، محاضرات الأدباء ١٠٥/٢ وفيها : تبعتك لما كنت عني ممثما بدل
السطرة الأولى .

(٤) ساقط مني أ .

لما أخذت أماناً إلا من الإخوان^(١)

وقال أيضاً :

وكنْتَ أُخِيَّ يا خاءَ الزمانِ فلما نَبَأَ صرْتَ حرباً عواناً
وكنْتَ أذمُّ إليك الزمانَ ^(٢) فأصبحت فيكَ أذمَ الزماناً
وكنْتَ أعدك للنائباتِ^(٣) فها أنا أطلبُ منك الأماناً^(٤)

وقال آخر — وهو كثيرُ عزَّة^(٥) :

خير إخوانك المشارك في المرَّ (م) وأين الشريك في المرَّ أيننا
الذي إن حضرتَ زانك في الحى (م) وإنْ غبتَ كان أذننا وَعَيْننا
أنت في معشرٍ إذا غبتَ عنهم بدُّلوا كل ما يزينُكَ شَيْننا
وإذا ما حضرتَ قالوا جميعاً : أنتَ من أكرمِ العبادِ علينا

وقال آخر :

لحاً لله وصلّا إن تغيتَ ساعةً فأنتَ وأقصى الناس فيه سواء
وخلّا إذا لم تأتِه بهدية^(٥) بدتْ لك منه غفلةٌ وجفاء

(١) الأبيات في ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة في العقد الفريد ٣٠٨/٢ ، وانظرها في ديوان كثير ١٩٤/٢ .

(٥) ساقطة من ١ .

وقال الْمُتَّقِبُ الْعَبْدِيُّ^(١) :

تَوَاعِدُنِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِذَا أَنْ تَكُونُ أَخِي بِحَقٍّ فَيَعْرِفُ مِنْكَ غَيًّا مِنْ سَمِينِي^(٢)
وَإِلَّا فَاطْرِحْنِي^(٣) وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي
فَإِنِّي لَوْ تَعَانِدُنِي شِمَالِي عِنَادَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ يَدِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مِنْ يَحْتَوِينِي

وقال آخر :

أَفَّا وَتَفًّا لِمَنْ مَوَدَّتُهُ إِنْ زُلْتُ عَنْهُ سُوَيْعَةً زَالَتْ
إِنْ مَالَتِ الرِّيحُ هَكَذَا وَكَذَا مَالَ مَعَ الرِّيحِ حَيْثَا مَالَتْ^(٤)

وقال صالح بن عبد القدوس^(٥) :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنْاصِحْ أُمَّ عَلَى غَشٍّ يُدَاغِينِي

(١) ديوانه ٢٩ .

(٢) في عيون الأخبار ٧٧/٣ حماسة البجعي ٧٩ : فأعرف منك غيًّا من شميني .

(٣) في ديوانه وفي الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركني ، وفي عيون الأخبار : فاجتذبي .

(٤) انظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .

(٥) وردت أبيات صالح في حماسة البجعي ٧٩ ، ٨٠ ما عدا الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦

ووردت كلها في تهذيب ابن عساكر ٤٥/٣ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة في محاضرات الأدباء ١٤١/١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصدق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إني لأكثر مما سُمّيتي عَجَبًا يد تشجُّ وأخرى منك تأسُونِي
تغتَابِنِي عند أقوامٍ وتمدحُنِي في آخرين ، وكلُّ عَنكَ يَأْتِينِي
هذان أمران شَتَّى البَوْنُ بينهما فاكفُ لسانَكَ عن ذَمِّي وتزِينِي
لو كنتُ أعلمُ منك الودَّ هانِ إِذَا على بعضُ الذي أصبحتَ تولِينِي
لا أسأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ ما في ضمِيرِي لهم من ذاك يَكْفِينِي
أَرْضَى عن المرءِ ما أَصْفَى مودَّتَهُ وليس شيء من البغضاء يُرْضِينِي
واللهِ لو كَرِهْتَ كَفِّي مصاحِبَتِي لقلتُ إِذْ كَرِهْتَ قُرْبِي لها يِينِي
ثم انثَنَيْتُ على الأخرى فقلتُ لها : إن تسنَدِينِي وإلا مثَلها كَوْنِي
لا أَبْغِي وَدَّ من يَبْغِي مَقَاطِعِي ولا أَلِينُ لِمَن لا يَتَنِي لِينِي
إِنِّي كذاكَ إِذَا أَمْرٌ تَعَرَّضَ لِي خَشِيتُ منه على دُنْيَايَ أو دِينِي
خَرَجْتُ منه وَعَرَضِي ما أَدْنَسُهُ ولم أَقِمْ غَرَضًا لِلنَّذْلِ يَرْمِينِي
رُبَّ أَمْرٍ أَجْنَبِيٌّ عَن مُلَاطَفَتِي تَحْضِ المودَّةِ في البُلُو يَواسِينِي
ومُلَطَفٍ بِي مِدَارٍ ذِي مَكَاشِرَةٍ مُغْضٍ على وَغَرٍ في الصَدْرِ مَكُونِي
ليس الصَّدِيقُ الذي تُخْشَى بَوادِرُهُ ولا العَمْدُ على حَالِ بَأْمُونِي
يُلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لو أَخْبَرَهُمْ بِالْعَذْرِ مَنِّي فِيهِمْ يُلُومُونِي

وقال آخر :

لسائلك معسول ونفسك شحّة ودون الثريا من صديقك ما لكأ

وقال آخر :

بنو عبس أشدّ الناس بغضاً لنا وأشدّهم بغضاً إلينا

فلا تقبل شهادتنا عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا

قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلها متاع ، وكثيرها بوار ، فلا تسرّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخياراً .

قال أسماء بن خارجة : إذا قدّمت المودة سمج الشناء .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عن صا جبك الدهر أخوه

فإذا احتجت إليه ساعة بك فوه

لو رأى الناس ندياً سائلاً ما رحموه^(١)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصوه بدل ما رحموه .

وقال سويد بن منجوف :

فأبلغ مُصعباً عنى رسولا وهل تجدُ النصيح بكل وادٍ
تعلّم أن أكثر من تناجي وإن ضحكوا إليك هم الأعداى

وقال آخر :

لعمرك ما وُدّ اللسانِ بنافعٍ إذالم يكن أصلُ المودّة في القلب^(١)

كان يقال : تناس مساوى الإخوان ، يذم لك ودهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو م بجعله وسط السباخ
ومحضناً ييض القطا تحت الحدّ الرجا الفِراخ
إن الذين تودُّهم هم ناصبوا شبك الفخاخ
ذهب الزمانُ بأهله فانظر لنفسك من تُوّاخ^(٢)

وقال عبدة بن الطيب :

إن الذين تروّفهم إخوانكم يشفي صداع رؤوسهم أن تُصرعوا

(١) البيت في عيون الأخبار ٧٨/٣ ، البيان والتبيين ٢٢٢/١ ، وفيه : في الصدر بدل القلب .

(٢) وردت أبيات قريبة من هذه في ديوان أبي نواس ١٥٤ هـ :

يا واضحا ييض القطا تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها لم تخل من فقر الصباح
فسد الخلاق كلهم فانظر لنفسك من تُوّاخ

فَضَلْتُ عِدَاوَتَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ وَأَبَتْ ضَبَابُ صَدُورِهِمْ مَا تُنْزِعُ
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشُبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعِدَاوَةِ يَرْضَعُ^(١)

قال لقمان لابنه : يا بني إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك
منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العبدي^(٢) :

وَصَاحِبُ السَّوِّءِ كَالدَّاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا رَفَضَ فِي الْجُوفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهُنَا^(٣)
يُنْبِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنَّا^(٤)
كَمُهِرٍ سَوَّءٍ إِذَا رَفَعَتْ سِيرَتَهُ رَامَ الْجِمَاحَ وَإِنْ أَخْفَضَتْهُ حَرَنَّا^(٥)
إِنْ يَحْيَ ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِعَمَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَقْرُبْ لَهُ جَنَنَّا^(٦)

ولقمن بن أم صاحب ، وهو قمن بن حمزة ، أحد بني عبد الله بن غطفان ،
^(٧) يهجو بني ضبة - حتى من غطفان -^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢١/٢ ، حساسة البحري ٢٤١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت في أمالي القالي ١٨٢/٢ إلى رافع بن لمر اهيم اليربوعي ، ولست
في البيان والتبيين ١٣٩/٣ إلى المقنع السكندی .

(٣) ورد هذا البيت في نسخة ح على هيئة كلام نثرى . والرواية في الأمالي الغميص بدل العياء .

(٤) في أ : يفتي بدل ينبي ، وفي الأمالي : يبدى ويظهر . وما رأى من فعال صالح ... الخ .

(٥) في أ : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفي الأمالي : سكنت بدل رفعت ، ورفعت بدل أخفضته .

(٦) الجنن : القبر ، والرواية في الأمالي : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .

(٧) ساقط من أ وانظر الأبيات التالية في حساسة أبي تمام ١٧٩/٢ ، عيون الأخبار ٨٤/٣ .

فَطَاةٌ فَطَنُوهَا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ مَرُوءَةٌ أَوْ تُتَّقَى اللَّهُ مَا فَطَنُوا
 إِنْ يَسْمَعُوا سَبْتًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا مَنِّي ، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُهْنًا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِثْتُ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ
 فَلَنْ يَرَجَعَ وَدِّي وَدْهَمُ أَبَدًا وَكُنْتُ مِنْ بَعْضِهِمْ مِثْلَ الَّذِي زَكَنُوا^(١)

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخا في الله فلا تماره
 ولا تشاره ولا تسئل عنه أحدا ، فربما صادفت له عدوا فأخبرك بما ليس فيه ، فخال
 بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلي :

وَصِلْهُ مَا اسْتَقَامَ الْوَصْلُ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ بِهِ قِيلًا وَقَالَ^(٢)

قال محمود الوراق :

لَسْتُ مِمَّنْ يَمَازِقُ الصَّاحِبَ إِنْ وَدَّ إِذَا أَظْهَرَ الْجَفَاءَ الصَّرِيحَا
 أَنَا أَنَاهُ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ لَسَجَّ أَعَرْتُ الْفَوَادِ يَا سَامِرِيحَا
 غَيْرَ أَنِّي عَلَى الْقَطِيعَةِ لَا أَظْهَرُ هُجْرًا وَلَا أَقُولُ قَبِيحَا

(١) زَكَنُوا : ظَنُّوا عَنْ يَقِينٍ ، وَيُرْوَى : قَلْبِي بَدَلَ وَدِي ، وَأَمْرُهُمْ بِدَلِّ بَعْضِهِمْ ،

(٢) البيت في ديوانه ٢٠٦ .

بَابُ الْعِتَابِ

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أَعْقِلُ النَّاسَ أَعْذَرُهُمْ لَهُمْ .

قال الأحنف : العتابُ مفتاحُ التَّقَالِي ، والعتابُ قرينُ الحقد .

وعن الأصمعيّ قال : قال أعرابي : طابَ من ترجو رجوعه .

قال بعض الحكماء : العتابُ علامةُ الوفاء ، وسلاحُ الأكفاء ، وحاصدُ الجفاء^(١) .

قال العتّابي : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشّاني .

قال بعض الحكماء : من كثر حقه قلّ عتابه .

قال محمد بن داود : من لم يعاتب على الزّلة ، فليس بحافظٍ للخطّة .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملل .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفطِنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلمَ له صديقه ، فليقبلْ عُذْرَهُ ، وليقلِّ عتابه ؛
فإن العتاب يجرُّ الملل^(٢) .

(١) في ١ : سلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) في ٢ : بحر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرو بن بحر : العتاب رَأْدُ الإِنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرياشي ، وهى لهشام الرقاشي ^(١) :

أبلغ أبا مِسمِج عني مُغْلَقَةً وفي العتاب حياة بين أقوام ^(٢)
 قدّمت قبلي رجلاً لم يكن لهم في الحق أن يلجوا الأبواب قدّامي ^(٣)
 لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم قبراً ، وأبعدهم من منزل الدّام ^(٤)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعاتبُ من يحلو بقلبي عتابه وأتركُ من لا أشتي ، لا أهابته

وقال آخر :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لبّ يعاتبه ^(٥)

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشي في البيان والتبيين ٣/٣٢٤ ، العقد الفريد ١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزماني في معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حاسة أبي تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلفة : الرسالة المحمّولة من بلد إلى بلد . والرواية في العيون : أبا مالك بدل أبا مسمج .

(٣) رواية الحاسة : قوماً بدل رجلاً . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت في المراجع ، فقد وردت كما هنا في البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففي العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقرهم قري . وفي العيون : بيت وبيت كنت أقرهم بيتاً ، وفي الحاسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتاً ... إلخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت في كل الأمور معاتباً ، انظره في ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر :

أُعَاتِبُ مَنْ أَحْبَبْتُ فِي كُلِّ زَلَّةٍ لِيَحْتَمِيَ الْأَمْرَ الَّذِي مَعَهُ الْعَتَبُ
فَإِنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ عِنْدَ وَجُوبِهِ بِعَنْزَلَةِ الْغَيْثِ الَّذِي قَبْلَهُ الْجَدَبُ^(١)

وقال على بن الجهم :

أُعَاتِبُ ذَا الْمَوَدَّةِ مِنْ صَدِيقٍ إِذَا مَا رَأَيْتُ مِنْهُ اجْتِنَابُ
إِذَا ذَهَبَ الْعَتَابُ فَلَيْسَ وَدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعَتَابُ^(٢)

وقال آخر :

لَوْلَا مَحَبَّتُكُمْ لَمَا عَاتَبْتُكُمْ وَلَسَكُنْتُ عِنْدِي كِبَعُضِ النَّاسِ^(٣)

وقال نصر بن أحمد :

وَتَعَاتِبُ الْإِخْوَانَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بَعَثْتُ عَلَى الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ
لَوْلَا اعْتِرَافِي بِاعْتِرَافِكَ فِي الَّذِي تَأْتَى وَتَتْرُكُ مَا أَتَاكَ مَلَامِي

وهذا يشبه قول البحتري^(٤) :

أَبَاحَسِّنِ مَا كَانَ عَتِيكَ دُونَهُمْ لَوَاحِدَةٍ إِلَّا لَأَنْكَ تَفْهَمُ

(١) في ١ : فَإِنِّي رَأَيْتُ الْعَتَبَ ، وانظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ .

(٢) انظر البيتين في ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت في وثبات الأعيان ٢/٢٣٠ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه في ديوانه .

(٤) ديوانه ٢/١٤٦ .

وقال نصر بن أحمد :

إن كان لفظي كريها فاضطرب فعلى
لولا الموارض ما طاب العتاب لنا
إني أعاتب إخواني وهم ثقتي
هي الذنوب إذا ما كُشِّفَت دَرَسَتْ
كُره العلاج يُصحُّ الله أبداناً
لولا قِصَارُ ثَنَاءٍ لِلشُّوب ما زاناً^(١)
طوراً وقد تُصَغِّل^(٢) الأسياف أحياناً
من القلوب وإلا صِرْنَا أضغاناً

وقال ابن وكيع :

عتابي أخى فى كل ذنب أتى به
ولست أرى وجهاً لترك عتابه
وقال ابن بسّام :

عاتب أخاك إذا هفأ
وإذا أتاك بغيبه
من ناقش الإخوان لم
واعطف بودك واستعده
واش فقل لم يعتمد
يُمَدِّ العتاب ولم يُعِدْ

وقال محمد بن أبي حازم :

خلّ عنك العتاب إن
خان ذو الودّ أو هفأ

(١) قصارة التوب : غشاه وتبيضه .

(٢) فى ١ : تَقْلِل .

عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَمَنْ لَكَ تُبْدَى لَكَ الْجَفَا^(١)

وقال بشار العقيلي :

إذا كنتَ في كلّ الأمور معاتباً صديقك لم تلقِ الذي لا تُعَانِبُهُ
فَعَشَ واحداً أو صل أخاك فإنه مُقَارَفَ ذنب مرة ومجانِبُهُ
إذا أنت لم تشرب مراراً على القَدَى ظَمِئْتَ وأى الناس تصفو مشارِبُهُ^(٢)

وقال آخر :

البس الناس ما استطعت على النَّقْصِ وإلّا لم تستقم لك خُلَّةٌ
عش وحيداً إن كنت لا تقبل العُدْ رَ وإن كنت لا تجاوز زَلَّةً^(٣)

وقال آخر :

خذ من صديقك ما صَفَا لَكَ لا تكن جَمَّ المعايِبِ
إن الكثير عتَابُهُ إِنْ إخوان ليس لهم بصاحب

وقال أحمد بن يوسف^(٤) :

رَأَيْتُكَ لَا تَمِيلُ إِلَى صَوَابٍ وَلَا تَرْضَى الصَّوَابَ مِنَ الْجَوَابِ

(١) عيون الأخبار ١١٠/٣ ، العقد الفريد ١٣٤/٣ ، والثاني في فصل المقال ٣٨٤ .

(٢) الأبيات في الديوان ٢٠٩/١ .

(٣) البيتان لأبي العاتمة ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الكتّاب ، ولى ديوان الرسائل للأمامون
ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحاً قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد . انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ،
لوزراء والكتّاب ٣٠٤ (الأعلام ٢٥٨/١) .

وتركك ما يريُّبك في كثيرٍ
ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليلى لو كان الزمانُ مساعدي
فأما إذا كان الزمانُ معاندي
وعا تبتما نى لم يضقْ عنك صَدْرِي
فالكجا أن تؤذيانى مع الدهرِ
وقال آخر :

إن الظَّنينَ من الإخوان يُبرِّمه
وذو الصفاء إذا مسَّته معتبةٌ
طولُ العتاب وتُغنيه المعاذيرُ
كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ
وهذا قول مميَّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نَفْطَوَيْه :

وكم من مُليم لم يُصِبْ بَمَلامَةٍ
وكم من محبٍّ صد من غيرِ بَغْضَةٍ
ومُتَّبِع بالذَّنْب ليس له ذنبُ
وان لم يكن فى وُدِّ خُلَّتِه عَتَبٌ^(١)
وقال أبو العباس الناشئ :

ولست معاتباً خِلاً لِأَنِّى
ولو أنى أَوْقَفُ لى صَدِيقاً
رَأَيْتُ العَتَبَ يُغْرِى بِالْعُقُوقِ
على ذنبٍ بَقِيتُ بلا صديق

(١) انظر البيتين فى أمالى القالى ١٦/١ .

وله :

إني ليهجرني الصديقُ تَجَنُّيًا فأريه أن لهجره أَسْبَابًا
وأخاف إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتَابًا^(١)

وقال آخر :

عتبت عليّ ولا ذنب لي بما الذنبُ فيه بلا شك لآكُ
وحاذرت لومي فبادرتني إلى اللوم من قبل أن أدرك^(٢)
فكنا كما قيل فيما مضى خذ اللص من قبل أن يأخذك^(٣)

(١) البيان في وفيات الأعيان ٣/٣ هـ .

(٢) و ١ . وبادرت بدل حاذرت ، وفي العيون : قبل أن أبدرك .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/ ١٠٨ .

بابُ الثَّقَلَاءِ وَالطُّفِيلَيْنِ

سئل جعفر بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بنيفاً ؟ قال : لا يكون بنيفاً ، ولكن يكون ثقيلاً .

قال سفیان بن عیینة : قلت لأيوب السخّتياني^(١) : لِمَ^(٢) لَمْ تَكْتُبْ عَنْ طاووس^(٣) ؟ قال : أتيتُه فوجدته بين ثقلين ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق^(٤) ، وليث بن أبي سليم^(٥) .

(١) هو أيوب بن (أبي تيمعة) كيسان السخّتياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من السالك الرهاد ، ومن أجل حفظ الحديث الثقات . توفي سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، الآيات ٥٣٦/١ .

(٢) و ١ : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الحولاني ، من كبار التابعين تفقه في الدين ورواية للحديث ونقشه في العيش ، وجرأة على وعظ الخفاف والملوك ، أصله من الفرس ، وولد له وشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفي حاجاً بالمرملة أومى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام ٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين الكنيتين) قيس وبنو طارق ، وعبد الكريم معلم بصري ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبد الكريم أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لعد سألنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .

وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : يجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب . وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : يجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب . وما بعدها ٣٧٦/٦ .

(٥) ابن ريم القرشي ، ولدهم ، روى عن طاووس وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه لأنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد ، مثل ليث ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه وليث . انظر : تهذيب التهذيب ٨/٦٥ وما بعدها .

قال الحسن البصري ، في قوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ ^(١) ، قال :
نزلت في الثقلاء .

وقال السري ^(٢) : ذكر الله تعالى الثقلاء في القرآن ، في قوله : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة ^(٣) : كنا عند الأعمش ^(٤) ، فجاء زائدة بن قدامة ^(٥) ، فقال
الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحمله مَيِّتًا بأثقلَ من بعضِ جُلَّاسِنَا ^٦

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللهم اغفر لنا وله ، وَارْحَنَا مِنْهُ .
رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن لباس الشيباني ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفي حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب
التهذيب ٤٦١/٣ .

(٣) السكوفي ، حماد بن سلمة بن زيد القرشي ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأموال الناس وأخبار
أهل السكوفة ، توفي سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، رابع مشهور ، كان عالما بالقرآن
والحديث والفرائض ، توفي ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٢٣٨/٦ .

(٥) الثقفى ، أبو الصامت السكوفي ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا في أرس الروم سنة
١٦٦ هـ . تهذيب التهذيب ٣/٣٠٠ .

(٦) البيت في العقد الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

[كان حماد بن سلمة^(١) إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

وعن حماد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم في البستان من الثقل^(٣) .

كان يقال . مجالسة الثقل تُحمي الروح .

قيل لأبي عمرو الشيباني : لأي شيء يكون الثقل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقيل ؟ فقال : لأن الثقل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفة الهند يقولون : النظر إلى الثقل يورث موت الفجأة .

قال ثقیل لمريض : ما تشتهي ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعشى فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يشغل عليك ، لعدت كل يوم . فقال الأعشى : والله إنك علىّ لثقل وأنت في بيتك ، فكيف إذا عدتني ؟

قال معمر^(٤) : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وحكّ الجرب ،

(١) ابن ديار البصري ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله في الفصاحة والعلم والعلابة في السنة والقمع لأهل البدع ، توفي سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٣/٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) ابن راشد بن أبي عمرو الأزوي ، أبو عروة ، فقيه حافظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقعة في الثقلاء ، وهي أفضل الثلاث .

وقال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكل الفديد ، وحك الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتني كنت ساعة مَلَكَ الموتِ تِ فأفني الثقال حتى يبيدوا

قال : وسمعت معمر يقول : رحم الله عبد الكريم أبا أمية ، إن كان لتقيلا غير ثقة .

قيل لأبي النضر^(١) : لم تكثر عن شعبة^(٢) ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشمعلٌ بالبغضِ لا تنثنِّي إليه طوعاً مُقْسلَةً الرَّامِئِ

١-اليمين ولما أراد العودة كره أهل سماء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخي الحديث أول من صنف باليمين ، توفي سنة ١٥٣ هـ . اطر تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠ (الأعلام ١٩٠/٨) .

(١) اليفدادي ، هاشم بن القاسم بن مسام الملقب الحافظ ، سمع من شعبة جميع ما أملى ببغداد ، وهو أرملة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو الضر شيخنا من الأكرمين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٩/١٨/١٩ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العنكي ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفي ، قال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ هـ . اطر تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ (الأعلام ٢٤٢/٣) .

يَظُلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِداً أَثْقَلَ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ^(١)

كان الأعمش إذا قام من مجلسه ثقیلاً يتحمل :

إِنْ غَاب عَنْكَ ثَقِيلٌ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْ يَشُوبُ حَدِيثَهُ بِمِرَاةٍ
فَهَنَّاكَ طَابَ لَكَ الْحَدِيثُ وَإِنَّمَا طَيِّبُ الْحَدِيثِ بِخَفَةِ الْجُلُوسِ^(٢)

وقال آخر :

إِنِّي أَجَالِسُ مَقْشَرًا نَوَّيْتُ أَخْفَهُمْ ثَقِيلُ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ صَدَّيْتُ بِقُرْبِهِمُ الْعُقُولُ
لَا يَفْقَهُونَ مَقَالَتِي وَيَدِّقُ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا جَلَسَ الثَّقِيلُ إِلَيْكَ يَوْمًا أَتَيْتُكَ عُقُوبَةً مِنْ كُلِّ بَابٍ
فَهَلْ لَكَ يَا ثَقِيلُ إِلَى خِصَالٍ تَنَالُ بِيَعُضِهَا كَرَمَ الْمَاءِ
إِلَى مَالِي فَتَأْخُذْهُ جَمِيعًا أَحَلَّ لَدَيْكَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ
وَتَتَنَفَّحُ لِحْيَتِي وَتَدُقُّ أُنْفِي وَمَا فِي فِي مِنْ ضِرْسٍ وَنَابِ

(١) البيتان في زهر الآداب ١٣٦/٢ ، وفيه : لخطا بدل طوعا .

(٢) في ١ : لحفة التقلاد .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفرید ٢٩٩/٢ للشعي ، وانظرها في عربون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألا أراك ولا تراني مقاطعة إلى يوم الحساب^(١)

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وييل .

قال عبد الأعلى بن مُسهر^(٢) : كان نقش خاتم أبي : « أبرمتَ فقم » فكان إذا استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مُسهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى : كان نقش خاتم إليك . . . فذكر الخبر^(٣) .

سَلَمَ ثَقِيل على إبراهيم بن عبد الله القاري^(٤) صاحب هرون ، فقال له : يا هذا ! قد — والله — بلغت منى غاية الأذى ، أسلفني سلامَ شهر وأرحني منك .

قال معمر : كنت جالساً مع سمالك بن الفضل^(٥) في مجلس بصنعاء ، فدخل

(١) في ١ : بدل المقطرة الأخيرة وود : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الفسائي الدهشقي ، من حفاظ الحديث ويعده شيخ الشام وعالمها بالحديث والمغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرهه على القول بخلق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يعيب ، فسجنه فكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٦ ، تاريخ بغداد ٧٢/١١ (الأعلام ٤٢/٤) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ٣٣٤/١ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووساً نقش على خاتمه : « أبرمتَ فقم » ، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القاري المدني ، عده ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١٣٤/١ .

(٥) سمالك بن الفضل الحولاني اليماني الصنعاني ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته ، انظر تهذيب التهذيب ٢٣٥/٤ .

علينا صاحب له ثقیل فلما جلس قال لی سمالك : یا مَعمر ! تعال حتی ندعو علی کل
ثقیل بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت یا هذا ثقیل وثقیلٌ وثقیلٌ
أنت فی المنظر إنسا نٌ وفی المیزان فیل^(١)

وقال ابن أبی أمیة^(٢) :

شهدت الرقاشی فی مجلس وكان إلى بغیضاً مقیتاً
قال : اقترح بعض ما تشتهی فقلت : اقترحتُ علیك السكوتاً

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر علی الجلیس السوء ؛ فإنه لا یکاد یخطئك .
قال الهیثم بن عدی : كنت یوماً عند مسعر بن کِدام ، فأتاه رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ
العبدی ، فقال له مسعر : مالک یا ابن مصقلة ؟ قال : صریع فالزوج . قال : وأین ؟ قال :
عند من قضی أبوه فی الجماعة^(٣) ، وحکم فی الفرقة .

(١) البیتان فی العقد الفرید ٢/٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له علی ترجمة فیا بین یدى من مراجع .

وفد ورد البیتان بهذه النسبة فی البیان والتبیین ١/٣٧٩ ، ونسباً إلى أبی نواس فی العقد الفرید ٢/٢٩٩ ،
وقد وردا فی دیوانه ٣١٢ .

(٣) ١ : فی الحاقه ، وهو یقصد بهذه العبارة أباً موسى الأشعری ، فقد كان قاضی السکوفة فی عهد علی ،
وأتابه فی قضیة التحکیم المشهورة بینہ و بین معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري^(١) ، فأئتنا بخوان كجوبة من الأرض ، وأئتنا برقاق كآذان الفيلة ، وجرجير كآذان المعزى ، ثم أئتنا بساكة الماء كأن ظهرها ظهر طائر قيراطى ، ثم أئتنا بفالودج عديد ، كأن الزئبق والجادى^(٢) ينبعان من خلاله ، يرى نقش الدرهم من تحته ، فوضع على رأس حُب^(٣) فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيلياً . فقال : يا أبا محمد اكل من ترى طفيلي إلا أنهم يتكاثرون ، فوالله ما برحنا حتى طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى هذا وكيف يعيش ١٢ لو كان أبوه جدد أنف^(٤) عمرو بن العاص مازاد على هذا .

(١) الراجح أنه بلال بن عامر بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، أما الاسم الذى أورده له المؤلف : الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث في بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فلما أن يكون زيادة من النسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك في هس المبر : الحارث ، ولما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسماً آخر هو الوليد ، ولما أن يكون هناك ابن آخر للحارث أو عامر بن أبي بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبي بردة ، وذلك لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا معاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثانى سنة ١٥٢ هـ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ هـ وهو زمن بعيد لحدوث هذه القصة نوعاً ، السبب الثانى أن بلال هو الذى تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : الكرم وخفة العقل أو النرق ، أما الأولى فهو ممدوح ذى الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالكرم سائرة مشهورة وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولى قضاء الكوفة لم يحمّد سيرته ، وكان يقول : لئى ليأتينى الحصان فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبى فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضياً . وعلى ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسماً آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من المبر سهواً لما من المؤلف أو من النسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : الجرّة العظيمة ولعل المعنى أنهم فى لذة من أكل الفالودج وعلى يقين من أنهم سيعمرون بها فى الحب من شراب .

(٤) ١ : جد عمرو بن العاص .

قال له مسعر : أجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره (١) .

وقال حبيب بن أوس (٢) :

يا مَنْ تَبَرَّمتِ الدُّنيا بطلعتِه كما تَبَرَّمتِ الأجفانُ بالسَّهْدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبُه لبُغضِ طلعتِه يمشى على كبدي

وقال آخر :

لخَرَطُ قَتَادَةٍ ولِجِلُّ فيلٍ وماء البحر يغرفُ في زَيْلٍ (٣)
وفكُّ الماضِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ لأهونُ من مجالسةِ الثَّقِيلِ

ولأبي الحسن علي بن العباس الرُّومى :

ولى أصدقاؤه كَثِيرُو السَّلَامِ عَلَيَّ وما فيهمُ نافعُ
إذا أنا أَدَلَجْتُ في حاجةٍ لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعُ
فَلَيْ أبداً معهمُ وقفةٌ وتسليمةٌ وَتَهْأَ ضائعُ
وفى موقفِ المرءِ عن حاجةٍ يُتَمِّمُها شاغلٌ قاطِعُ
ترى كلَّ غثٍ كثيرِ الفضولِ ومُضِحَّةُ مصحفٍ جامعُ

(١) ق ١ : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .

(٢) ديوانه ٥٢ ، محم الأديب ٢٦٦/٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفي الديوان مجازاً بدل مختالاً .

(٣) الزيل : الففة أو الرعاء .

يقول الضميرُ إذا ما بدا : ألا قُبِّحَ الرجلُ العُتَالُ
يُحَدِّثُنِي مِنْ أَحَادِيثِهِ بِمَا لَا يَلِدُّ بِهِ السَّامِعُ
أَحَادِيثَ هُنَّ مِثَالُ النَّصْرِيعِ فَأَكَلُهُ أَبَدًا جَائِعُ
غَدَوْتُ فِي الْوَقْتِ لِي فَسْحَةٌ فَضَاقَ بِي الْمَنْهَلُ الْوَاسِعُ
تَقَدَّمْتُ فَاعْتَاقَنِي أَسْرُهُ إِلَى أَنْ تَقَدَّمَ بِي النَّابِغُ
وَقَالَتْ بُلُقِيَّانِي حَاجَتِي : أَلَا هَكَذَا النُّكْدُ الْبَارِعُ
أَوْلَيْتُكَ لِأَحْيِهِمْ مُؤْنِسُ صَدِيقًا وَلَا مِيْتَهُمْ فَاجِعُ

دق طفيليُّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا الذي كفاكم
مؤونة الرسول .

لطفيلي :

فَمَنْ قَوْمٌ إِذَا دُعِينَا أَجَبْنَا وَمَتَى مُنْسٍ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
فَنَقُلْ : عَلَّنَا دُعِينَا فَفَجَبْنَا أَوْ أَتَانَا فَلَمْ يَحْذُنَا الرَّسُولُ^(١)

دخل طفيليُّ دار قوم بنير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ
له الطفيليُّ في الجواب ، وقال : والله إنَّ قَتْلَ لَأَدْخِلَنَّكَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ .

(١) البيتان في عبون الأخبار ٢٣٢/٣ ، العقد الفرید ٢١٢/٦ ، وفيهما . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قيل لبعض الطفيليين : كم اثنين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مُطَرِّفُ بْنُ مَازِنٍ ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوما : من عبد الرزاق ابن همام الصنعاني^(١) ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبني فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أمتثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتي ، وطول عنق بقلتي . فضحك هرون ، فما خرجت من عنده حتى أمر لى بكسوة وحملا . ولطفيلي^(٢) :

كل يومٍ أدور في عَرَصَةِ الْحَسَى أَشْمُ الْقَتَارِ شَمَّ الدُّبَابِ^(٣)
فإذا ما رأيت نار عُرُوسٍ أو خِتَانًا أو دعوةً لصحاب^(٤)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحيرى ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبي : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠ ، وفيات الأعيان ٣٠٣/ ١ (الأعلام ٤/ ١٢٦) .
(٢) الأبيات التالية في العقد الفريد ٦/ ٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها في كتاب التطفيل ٤٠٠ ، ٣٥ ،
(٣) في العقد والتطفيل ٣٥ : في عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .
(٤) في العقد : آثار عرس أو دخان .

لم أعرج دون التقمّ لا أزه ب شتاً ووكرزة البواب^(١)
 مستخفاً بمن دخلت عليهم غير مُستأذنٍ ولا هيّابٍ
 فتراني ألف بالغم منهم كل ماقدّموا كلف العقاب
 (٢) ذاك أهنا من الغمر م وغيظ البقال والقصاب^(٢)

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذهاب إلى مائدة لم يدع
 إليها ، والمتآمر على رب البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتمامها في جامع النوادر
 من هذا الكتاب .

(١) في المقعد : لا أرهب طعنا ولكزة البواب .

(٢) ساقط من - .

بابُ الشَّمَاتَةِ

قال الله عزَّ وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ،
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

وقيل لأَيُّوب عليه السَّلام : أى شئ من بلائك كان أشدَّ عليك ؟ قال : شِمَاتُهُ
الْأَعْدَاءُ .

قال ابن الكلبي : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة
وحضر موت ، وخَضَصْنَ أيديهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ،
فقال شاعر منهم :

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتُهُ أَنْ الْبَغَايَا رُئِمْنَ شَرَّ مَرَامِ
أَظْهَرْنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتَةً وَخَضَصْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعَنَامِ^(٢)
فَاقْطَعِ هُدَيْتَ أَكْفَهْنَ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي مَتُونِ غَمَامِ^(٣)

قال النبي عليه السلام : « لَا تَظْهَرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ ، فَيَعَاقِبَهُ اللَّهُ وَيَتْلِيكَ » .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : كان معي أى مخضوب ، والرواية
في عيون الأخبار : بالعلام أى الخناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات في عيون الأخبار ١١٦/٣ ، وبقية فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامه ،
فأخذهم وقطع أيديهم .

من مُنتقى الدعاء : اللهم اجعل رزقي رَغداً ، ولا تشمتْ بى أحدا .
ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن
جَهْدِ البلاء ، ومن شماتَةِ الأعداء » .

قال عدى بن زيد العبادى^(١) :

أيها الشامتُ المعيرُ بالدهر ر أنت المبرأ الموفورُ
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خلَدنَ أم من ذا عليه من ألا يُضامُ خفيراً^(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلّلى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أنضعضع^(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد
ابن إدريس الشافعى^(٤) بالموت ، أظنّه قال فى سجوده ، فذكرتُ ذلك للشافعى رحمه
الله^(٤) ، فتمثل :

تمنى رجالٌ أن أموتَ وإن أمُتَ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدٍ

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة فى معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحرى ١٢٢ ، عيون
الأخبار ١١٥/٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢٢٤/٢ .

(٢) فى العيون : أم بدل بل فى البيت الثانى ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين ٣/١ .

(٤) ساقط من ١ .

قُلْ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهِيًّا لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ^(١)
 قَالَ مُحَمَّدٌ : فَمَاتَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَاشْتَرَى أَشْهَبَ مِنْ تَرْكْتِهِ مَمْلُوكًا ، ثُمَّ
 مَاتَ أَشْهَبَ بَعْدَهُ بِنَحْوِ مِنْ شَهْرٍ ، أَوْ قَالَ : خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
 يَوْمًا ، وَاشْتَرَيْتُ أَنَا ذَلِكَ الْمَمْلُوكَ مِنْ تَرْكَةِ أَشْهَبَ^(٢) ، وَالْبَيْتَانِ الَّذِي تَعْتَلُّ بِهِمَا
 الشَّافِعِيُّ لَطْرَفَةٌ .

قَالَ مَهْلَهْلُ :

كَأَنَّ الشَّامَتَيْنِ بِقَبْرِ جَدِّي عَلَى مُلْكِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّدِيرِ
 كَأَنَّ رَمَاحَنَا فِينَا وَفِيهِمْ إِذَا مَا أَشْرَعْتَ أَشْطَانُ يِيرِ
 وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ قَرْظَةَ ، خَالَ الْفَرَزْدَقِ :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَآخِرِينَا
 فَقُلْ لِلشَّامَتَيْنِ بَنَا أَفِيقُوا سِيلَقِي الشَّامَتُونَ كَمَا لَقِينَا^(٣)

وَقَالَ نَصِيبُ :

أَتَصِرْمُنِي عِنْدَ الْأَلَى هُمْ لَنَا الْعِدَا فَنُشْمِتَهُمْ بِي أَمْ تَدُوْمُ عَلَى الْعَهْدِ^(٤)

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرقة ، انظر ديوانه ٤٥٠ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه في وفيات الأعيان ١/٣١٦ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق في عيون الأخبار ٣/١١٤ ، ولم أعثر عليهما في ديوانه ، ونسبا في حماسة
 البجترى ١٤٩ ، ١٥٠ للملك بن عمر الأسدي ، وانظرهما بالنسبة التي هنا في العقد الفريد ٢/٣٢٢ .

(٤) انظره في الشعر والشعراء ١١٤ ، معجب الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عدى بن زيد ، وتمثل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكنا وهل بالموت يا للناس عارُ
عبد الله بن أبي عيينة :

كلُّ المصائب قد تمرُّ على النّبي قهونٌ غيرَ شماتةِ الحُسّادِ^(١)
وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسرّ بموتِي إذا أتاه البشيرُ
إن البشيرَ بموتِي — فلا تُسرّ — نذيرُ
واسمعْ فما أنت ممن تخفى عليه الأمورُ
ألّيسَ من كانَ مثلي إلى مصيري يصيرُ

وله :

أيُّها المظهرُ السّما تةٌ إن متُّ قبلةُ
عنّ قليلٍ يصيرُ مدّ لي مَنْ كنتُ مثله

وله :

يا شامتينَ بعصرعي اليومُ لي ولكم غدُ

(١) البيت في محاضرات الأدباء ١/ ١٢٢ .

وله :

يا شامتاً بى إن هلكت لكلّ حىّ مدى ووقت
وللمنـايا وإن تراخت فى السير - يا ذا الشـماتِ - بعت^(١)
وأنت فى قبضة الليالى تخاف منها الذى أمنت
والكأس ملاءى فعن قريب تشرب منها كما شربت

وقال أيضاً :

ما بين يومِ المهنّيات وبين يومِ المعزّيات
وإن توهّمته طويلاً إلا كما بين ها وهاتِ
ومما ينسب لابن المبارك - وليست له - وإنما هى للبارك الطبرى :
لولا شماتة أعداء ذوى حسدٍ أو اغتنام صديق كان يرجونى
لما طلبت من الدنيا مراتبها ولا بذلت لها عرضى ولاديني^(٢)

وقال آخر :

فن يك عنى سائلاً لشماتة بما نالنى أو شامتاً غير سائلٍ

(١) فى ١ : الدهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى العقد الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزت منى الخطوب ابن حُرّة صبوراً على ضراء تلك الزلازلِ
 إذا سرّ لم يفرح وليس لنكبةٍ إذا نزلت بالخاشع المتضائلِ
 لأعرابيٍّ وقد أُعيرَ على إبله :
 لا — والذي أنا عبدٌ في عبادته — لولا شماتة أعداء ذوى إحَنِ
 ما سرّني أن إيلي في مَبَارِكِهَا وأن شيئاً قضاؤه الله لم يكن^(١)

(١) البيتان في عيون الأخبار ١١٤/٣ ، المقد الفريد ٢٩/٣ ، الصداقة والصدق ٩٤ ، البيان والتهيين ٢١٤/٣ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدنى أو الشمنة فى قوم ذوى إحن

باب مؤاخاة من ليس على دينك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخالل » . وهذا معناه - والله أعلم - ' أن المرء ' يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحب إلا من يرى منه ما يحل ويحرم ، فإن الخير عادة . وفي معنى ^(١) هذا الحديث قول عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن مقتدي
وقول أبي العتاهية :

من ذا الذي يخفى عليّ
ك إذا نظرت إلى خدينه

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى في ذلك : ألا يخالط ^(٢) الإنسان من يحمله على غير ما يحمده من الأفعال والمذاهب ، وأما من يؤمنُ منه ذلك فلا حرج في صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لي فرعونُ خيراً لرددت عليه مقاله .

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَةٍ فَمِنْ بَيْنِ أَنْ تَحِيَّتُمْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ ^(٣)

(١) ساقط من .

(٢) في ١ : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١) وجاء في التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردها لأهل الذمة (١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولبنى خيراً فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلم على أفارد عليه ؟ قال : نعم .

وأما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال فى أهل الذمة : « لا تبدؤهم بالسلام ، وإذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم إلى أضيّقه » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلّهم . قال بتسير : فقلت : أترى أن يُبدؤوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢) .

وقال مالك : أكره مؤاكلة أهل الذمة ، لأن المؤاكلة تُوجب المودة .

وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدؤون بالسلام كل من لقوه (٣) من مسلم أو ذمى . فالمنى فى ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المائر القاعد الذمى ، والراكب المسلم الذمى الماشى ، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

(١) ساقط من > .

(٢) سورة المتحنة ، الآية ١ .

(٣) فى > : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : « ليس عليكم أن تبدءوهم بالسلام » بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمانة الباهلي^(١) يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا ، واسم من أسماء الله نفسيه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمانة السُّنة ، لو صححت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا^(٢) — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوها .

ذكر ابن أبي شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرحيل بن مسلم ، عن أبي أمانة ، أنه كان لا يمر بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلا بدأه بالسلام .

وروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء ، وفُضالة بن عبيد^(٣) ، أنهم^(٤) كانوا يبدؤون أهل الذمة بالسلام .

وقال ابن مسعود : إن من التواضع أن تبدأ بالسلام كل من لقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السلام عليك .

(١) هو مسرى بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمانة ، صحابي جليل ، كان مع علي رضي الله عنه في سبيلهم سكن الشام و زل بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٤ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٤٠ ، (الأعلام ٣/ ٢٩١)
(٢) في ١ : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافع بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي من الدين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك في فتح الشام ومصر ، ثم ولاء معاوية قضاء الشام ، وتوفي بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩ ، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٦٧ .

(٤) ساقط من ج .

وسئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصراني ، فقال :
أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل النعمة
بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى
بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ
وَقُلْ سَلَامٌ ﴾^(٢) .

ومن حجة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾^(٣) الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه
عمر بن عبد العزيز في ذلك .

وَرَوَى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق ، قال : كان يقال : من الحق^(٤)
أن تؤا كل غير أهل دينك .

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة المتحنة ، الآية ٨ .

(٤) في ١ : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأسدي^(١) :

كأن لم يكن بالقصر قصرٍ مُقاتلٍ وزورة ظلّ ناعمٌ وصديقٌ
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُّ

ولبعضهم في مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقبشر الأسدى :

شهدتُ عليك بطيب المشاش^(٢) وأنتك حُرٌّ جَوَادٌ خِصَمٌ
وأنتك سيّد أهل الجحيم إذا ما تردّيت فيمن ظلم
كفانى المجوسى مهر الرّباب فدّى للمجوسى خالٌ وعم^(٣)

روى إسماعيل بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبي أويس^(٤) ، يقول : سُئِلَ مالك ، أترى بأساً إذا أهدى اليهودى أو النصرانى للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذ الله ! وما للمسلم أن يقبل هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا في اليهود رجال صدق على ما كان من دين يريب

(١) ورد البيت بهذه النسبة في الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ ، وورد في الكامل ٢٦/١ ضمن خمسة أبيات منسوبة لأطخيم بن أبي الطمحاء الأسدى ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بني اسمى القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد المبادى ، وكذلك وردت بهذه النسبة في المؤتلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحان هو كنية أطخيم ، انظر هاشم الحيوان ١٥٨ ، ١٥٧/٥ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٢٩٦/٢ ، الحيوان ١٥٩/٥ .

(٤) ابن أبي أويس : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى ، أبو عبد الله

خيلان اكتسبتهما وإني لخلة ماجد أبداً كسوب^(١).

لعمري الشاعر ، وهو القاسم بن يحيى ، من ولد أبي مريم السلمي صاحب النبي عليه السلام ، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبادي عند إسلام الوليد ابن أخيه ، وكان إسحاق هذا كاتب أبي الجبش بن طولون صاحب مصر^(٢) :

تَمَرَّ فَإِنَّ الْحَرَّ لَا بَدَّ يَخْلُقُ	وَكُلُّ أَمْرٍ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَخْلُقُ
وَمَا فَرَجُ الْأَيَّامِ إِلَّا مَوَاهِبُ	فَمِنْ بَيْنِ مَحْرُومٍ وَآخِرٍ يَرْزُقُ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّهَ نَفْسَهُ	فَتَى كَادَ فِي بَحْرِ مِنَ الْهَمِّ يَفْرَقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي رَدٍّ مَا فَاتَ حِيلَهُ	فَإِنْ الْفَتَى بِالصَّبْرِ أُحْرَى وَأَخْلُقُ
أَتَانِي غَمٌّ مِنْ سُرُورٍ سَمِعْتُهُ	فَلَا أَنَا مَأْسُورٌ وَلَا أَنَا مُطْلَقُ
سَرَرْتُ بِإِسْلَامِ الْوَلِيدِ دِيَانَةً	وَأَقْلَقْنِي عَمَلِي بِأَنْكَ مُتْلَقُ
فَقَلْبِي بِهِ شَطْرَانِ جَذْلَانُ وَاحِدُ	وَآخِرُ مَحْزُونٍ مِنْ أَجْلِكَ مَحْرَقُ
أَنَارَ لَكُمْ فِينَا وَأَشْرَقَ كَوْكَبُ	لَنَا مِثْلُهُ فَيْكُمْ يَنْيرُ وَيُشْرِقُ
فَكَمْ رَاعِنًا مِنْ مُسْلِمٍ مُتَنْصِرٍ	فَهَذَا بِهِذَا وَالسَّعِيدُ ^(٣) الْمَوْفَقُ

== ابن أبي أويس ، ابن أخت الإمام مالك ونسبه ، محدث روى عنه الشيخان ، توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١١/١ وما بعدها .
(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في الحيوان ١٥٧/٥ منسوبة لأبي صالح مسعود بن قند الفزاري وبعد البيت الأول :

لعمرك لاني وابني غريضي لئلا الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من ح .

(٣) في ١ : والمعبد .

(١) لزيبا النصراني - وكان يثشيع -:

عدى و تيم لا أحاول ذكركم
وما تعتريني في على ورهطه
يقولون ما بال النصراري تحبهم
فقلت لهم: إني لأحسب حبهم
بسوء ولكني محب لهاشم
إذا ذكروا في الله لومة لأثم
وأهل النهي من أعرب وأعاجم
سرى في قلوب الخلق حتى البهاشم (٢)

وله أيضاً:

على أمير المؤمنين خليفة
فلو كنت أبني ملة غير ملتي
وما لسواه في الخلافة مطمع
لما كنت إلا مسلماً أتشيع (١)

(١) ساقط من ج .

(٢) وردت الأبيات في المحاسن والمساوي ٥٠/١ منسوبة لأموصلي النصراني ، وفيها : عدى ونعيم ، هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا في كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت في نفح الطيب منسوبة إلى زيب بنت إسحاق النصراني .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبرُّ يا رسول الله ؟ قال : « أمك
قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبك ثم أدناك »
ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة
لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسن الجوار ، عمارة الديار وزيادة
في الأعمار » .

وقال الحسن : البرُّ أن تطيعهما في كلِّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ،
والمعقوق هجرانهما ، وأن تحرِّمهما خيرك .

قال عروة في قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(١) . هو ألا
يَنْتَهَمَا من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبى حُنيب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حقِّ الأب ،
ولكلِّ حق .

(١) سورة الإسراء الآية ٢٤ .

رأى ابنُ عمر رجلاً يطوفُ بالبيتِ حاملاً أمَّهُ ، وهو يقولُ لها : أتريـنـي جـزيـئـك
يا أمَّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلقة واحدة ، أو قال : ولا زَفرة واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : « ما برَّ أباه من سدّد النظرَ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : « من أراد أن يصل أباه بعد موته ، فليصل
إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « الوُدُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئُ نورَ العبد : أن يقطع ودَّ أهلِ بيته ، ويبدل
سُنَّةَ صالحة ، ويرى بصره في الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلُ الجنةَ حاقٌّ ، ولا مَنَّانٌ ، ولا مُدْمِنٌ
خمر ، ولا مدمنٌ سِخِرَ ، ولا قَتَاتٌ ^(١) » .

للرَّبِيعِ بْنِ صَبَّحٍ ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي رُبَيْعٍ فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاءُ

(١) القَتَات : التَّام ، أو هو الذي يسهَمُ أحاديثُ الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نَحِمَ أم لم ينحَم .

(٢) ابن وهب بن بَشِيصٍ الْفَزَارِيُّ الدَّبِيلِيُّ ، شاعر جاهليٌّ معبرٌ من الفُرسان ، كان أحكم العرب فُزَمانه ،
ومن أدهرهم وأنطهم ، وأدرك الإسلامَ وقد كبر وخرف ، فقليل : أسلم ، وقبل : منته قومه من الإسلام ،
انظر خزانة البغدادي ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته في : دراسة البجتي ٣٢٢ ، العقد الفريد
٣/٥٥ ، النوادر ٢١٥ .

بِأَنِّي قَدْ كَبُرْتُ وَرَقَّ جِلْدِي ^(١) فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النَّسَاءُ
 إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفُئُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْرُمُ بِهِ الشِّتَاءُ ^(٢)
 وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ مُقَرٍّ ^(٣) فِسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ
 إِذَا بَلَغَ الْفَتَى مَائَتِينَ عَامًا ^(٤) فَقَدْ ذَهَبَ الْبَشَاشَةُ وَالْفَتَاءُ

وسئل ابن عباس ، عن رجل قَتَلَ امرأته ^(٥) ما توبُّهُ ؟ قال : إن كان له أبوان
 فليبرهما ماداما حيَّين ، فلعن الله أن يتجاوز عنه . ^(٦) وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي
 تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة ^(٧)

قال مكحول ^(٨) : برُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر .

قال محمد بن المنكدر : بتُّ أنعمزُ رجل أُمِّي ، وبات عمي يصلي ليلته ، فأتسرنى ^(٩)
 ليلته بليلى .

(١) في حسانة البختری : وُرقَّ عظمي .

(٢) وفيها أيضا : يهدمه .

(٣) في ١ : إذا ما تذهبوا في كل فن .

(٤) في العقد الفريد : سبعين عاما ، وفي ج : ستين .

(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا انفصام .

(٦) ساقط من ج .

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الهذلي ولاء ، فقيه الشام في عصره ، أصله من فارس ،
 وصار مولى لامرأة في مصر من هذيل فأنسب لآبائها ثم اعتق ووقفه ورجل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة
 واستقر في دمشق ، قال الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٩ ،

(٨) في ج : فما سمعته .

قال الشاعر في ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيه ولو مِتَّ بانَتْ للعِدْوِ مقاتلُهُ
إذا ما رآنى مقبلاً غَضَّ طَرْفَهُ كأنَّ شَماعَ الشمسِ دونى يقابِلُهُ^(١)

ومثله :

إذا أبصرتنى أعرضت عني كأنَّ الشَّمسَ من قبلى تدور^(٢)

ولعبد الله بن بكر السهمي^(٣) :

خالل خليل أخيك وارع إخاءهُ واعلم بأن أخاك أخيك أخوكا
وبنيك ثم بني بنيك فكن لهم براً فإن بني بنيك بنوكا
والطف بجذك رحمةً وتمطفاً واعلم بأن أبا أيك أبوكا

روى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبره
كان بأمه .

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طييء اختلف في اسمه ، في المؤلف ١٥٢ أنه عنتره بن كبرة الطائي ، وفي حسنة
أبي تمام ٨٠/١ أنه عنتره بن الأحرش المعنى الطائي ، وفي حسنة البحتري ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكرمة الطائي ،
وانظر البيت في الحيوان ١١٣/٣ ، عيون الأخبار ١١٠/٣ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سميد بن
سام الباهلي ، وعرض عليه سوار قضاء الأبله فأبى ، ولم يزل في بغداد حتى توفي سنة ٨٨ هـ . انظر تهذيب
التهذيب ١٦٢/٥ .

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَجُلًا يَمْشِي خَلْفَ رَجُلٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبِي . قَالَ : لَا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ وَلَا تَجْلِسُ قَبْلَهُ ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ .

مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : لَا تَقْطَعْ مَا كَانَ أَبُوكَ يَصِلُهُ فِطْفًا نَوْرُكَ

قَالَ كَعْبٌ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ ، اتَّقِ رَبَّكَ ، وَبِرِّ وَالِدَيْكَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ ، يُمَدِّ لَكَ فِي عَمْرِكَ ، وَيُسِّرْ لَكَ يُسْرَكَ ، وَيُصْرِفْ عَنْكَ عُسْرَكَ .

وَالْآثَارُ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا ، وَقَدْ نَصَّ ^(١) اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ خَفْضِ الْجَنَاحِ لِهَما ، وَالْحُضِّ عَلَى بَرِّهِمَا مَا يَكْفِي .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْوَلَدُ الصَّالِحُ مِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ » .

وَنَظَرَ يَوْمًا إِلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَجِبُّونَ وَتُبَخِّلُونَ ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ الْجَنَّةِ » .

دَخَلَ صَمْرُ بْنُ الْعَاصِ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ بِنْتُ لَهُ ^(٢) ، فَقَالَ : ابْعِدْهَا عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُنَّ يَلِدْنَ الْأَعْدَاءَ ، وَيَقْرِبْنَ الْبُعْدَاءَ ، وَيُورِثْنَ الضَّغَائِنَ . قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَا تَقُلْ هَذَا يَا عَمْرُو ، فَوَاللَّهِ مَا مَرَضَ الْمَرَضَى ،

(١) في ١ : ذكر .

(٢) في عيون الأخبار ٩٩/٣ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه نفاعة القلب . فقال : ابعدا ... الخ .

٧٦٣

ولا ندب الموتى ، ولا اعول على الأحزان^(١) مثلهن ، ولرب ابن أخت قد
نفع خاله .

قال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنات ، والله عز وجل يحاسب
على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بناتي وسياتي لذبت شوقاً إلى المات
لأننى في جوار قوم نغصنى قربهم حياتي^(٢)

وله أيضاً :

أحب البنات ، فحب البنات
لأن شعيماً لأجل البنات
ت فرض على كل نفس كريمه
ت أخدمه الله موسى كلمه

وقال آخر^(٣) :

لقد زاد الحياة إلى حباً بناتي إنهن من الضعاف

(١) في ١ : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٨٧/١٩ ، وفيه : بغصنى بدل نغصنى ، وفي ١ : اطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان في معجم الشعراء ٢٥٨ إلى عيسى بن فالك أوعانك الخطمي ، وفي الكامل أوردها ضمن
خسة أبيات ، وقال : إنها لأبي خالد القناني الخارجي ، وقد أرسل إليه قطري بن العجاء يعتب عليه قعوده عن
المروج مهم فكتب إليه بها ، الكامل ١٠٧/٢ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٩٤/٣ .

مخافة أن ين البؤس بعدى وأن يشربن رتقا بعد صاف^(١)

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحاني :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ
هن للنسل والأنس وهن الشجراتُ
وياحسان إلهن تكون البركاتُ
إنما الأهلون أرضون لنا محترثاتُ
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابي^(٢) زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزّ عليه ، واجتنبها
وصار في بيت ضررتها إلى جنبها فأحست به يوماً في بيت صاحبته^(٣) ، فجعلت
ترقصُ ابنتها الطفلة^(٣) وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظلُّ في البيت الذي يلينا
غضباناً ألا نلد البنينا^(٣) تا لله ماذلك في أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا يلبث ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا^(٣)

(١) في الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفي ج : مضافة أن ترى البؤس عليهم ، والرائق :
الكدر .

(٢) سماء في البيان أبا حمزة الضبي ، وانظر الرجز في البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، العقد الفريد ٣/ ٣٤٢ ،
٤٨٢ ، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٣) ساقط من أ .

فعرّف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوبُ لم أكن يرُوغني ذكرُ الحنوطِ والسكفنِ^(١)

وقال آخر^(٢) :

لولا أُميئة لم أجزع من العدمِ ولم أجُبْ في الليالي حنْدِسَ الظلمِ^(٣)
وزادني رغبةً في العيش معرفتي ذلِ اليتيمةِ يحفوها ذُؤو الرّحمِ
أحاذرُ الفقرَ أن يُلْغِمَ بساحتِها فَيَهْتِكَ السّترَ من لَحْمٍ على وضمِ^(٤)
أخشى إضاعة عِمٍ أو جفاء أخٍ وكنتُ أحنُّو عليها من أذى السّكَمِ^(٥)
ما أنْسَ لا أنْسَ منها إذ تودّعني والدمعُ يجري على الخدين ذا مسجَمِ
لا تبرحن فإنّ متنا فإنّ لنا ربّاً تكفل بالأرزاق والقِسَمِ
تهوى حيّاتي وأهوى موتها شفقاً والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

(١) في ١ : لما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهراني ، الحماسة لأبي تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) في الحماسة : ولم أقاس ، وحنْدِسَ الظلمة شدتها .

(٤) الوضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هتك السترة عن الأهم : القتل والضياح .

(٥) في ١ : فظاظة عم ، وفي الحماسة أبقى بدل أخي .

وقال آخر^(١) :

أحب بنيتي ووددت أني سترت^(٢) بنيتي في قعر أحد
وما إن ذاك من بُغضٍ ولكن^(٣) مخافة أن تذوق البؤس بعدى

رأى ابن عباس رجلاً ومعه ابن له ، فقال : أما إنه لو عاش فتنك ، ولو
مات أحزنك .

قال محمد بن علي بن حسن لابنه جعفر : يا بني ! إن الله رضيني لك وحذرني منك ،
ولم يرصك لي فأوصاك بي ، يا بني ! إن خير الأبناء من لم يدعه البر إلى الإفراط ، ولم
يدعه التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولد ريحانة سبعا ، وخادمك سبعا ، وهو بعد ذلك صديقك أو
عدوك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين !
أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماؤ ظليمة ، وبهم
نصول عند كل جليمة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ،

(١) انظر البيهقي في عيون الأخبار ٩٣/٣ ، وقال : أشدهما ابن الأعرابي .

(٢) في العيون : دفنت .

(٣) في ١ ، وفي العيون : وما بي أن تهون علي لكني .

وَيُحِبُّوكَ جَهْدَهُمْ ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قَفْلًا^(١) فَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ وَيَكْرَهُوا قُرْبَكَ وَيَمْلُوا
حَيَاتَكَ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : اللَّهُ أَنْتَ ! لَقَدْ دَخَلْتَ عَلَيَّ وَإِنِّي لَمَلُوءٌ غِيظًا عَلَى يَزِيدَ
وَلَقَدْ أَصْلَحْتَ مِنْ قَلْبِي لَهُ^(٢) مَا كَانَ فَسَدًا^(٣) . فَلَمَّا خَرَجَ الْأَحْنَفُ مِنَ عِنْدِ مَعَاوِيَةَ
بَعَثَ مَعَاوِيَةَ^(٤) إِلَى يَزِيدَ بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَبَعَثَ يَزِيدُ إِلَى الْأَحْنَفِ بِنِصْفِهَا .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : يَنْبَغِي لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَوْلَدَهُ إِذَا وُلِدَ الْأَسْمَ
الْحَسَنَ .

وَفِي الْخَبَرِ الْمَرْفُوعِ : مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُشَبِّهَهُ^(١) وَلَدَهُ .
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَجَّلُوا بِكُنَى أَوْلَادِكُمْ لَا تُسْرِعْ إِلَيْهِمُ الْأَلْقَابَ الشُّعُوءَ .
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : بَادِرُوا بِالْكُنَى قَبْلَ الْأَلْقَابِ . قَالَ : وَإِنَّا لَنَكُنِي
أَوْلَادَنَا فِي الصِّغَرِ مَخَافَةَ اللَّقَبِ أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ .
قَالَ قَتَادَةُ : رَبُّ جَارِيَةٍ خَيْرٌ مِنْ غَلَامٍ ،^(٢) وَرُبُّ غَلَامٍ^(٣) قَدْ هَلَكَ أَهْلُهُ
عَلَى يَدَيْهِ .

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ خَيْرًا مِنْ
أَدَبٍ حَسَنٍ » .

(١) فِي ١ : ثَقْلًا .

(٢) سَاقِطٌ مِنْ > .

(٣) سَاقِطَةٌ مِنْ > .

(٤) ج : يَشْهَدُ .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاث بناتٍ ، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين كُنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

« وكما لا يصحّ الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج »^(١) .

كان عقيل بن علفة^(٢) غيوراً ، فحمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعُبدان وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبك لبناتك ؟ قال : إني لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عدوٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علموا أولادكم العوم والفروسيّة ،

(١) ساقط من ١ .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعي ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف في قومه ، ترغب قريش في مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسه ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والأفة على ما ليس عليه أحد ، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغاني ١١/ ٨٩-٨٨ (الأعلام ٤٠/ ٥) وانظر الأبيات في زهر الآداب ١٧٤/ ٢ .

ورودهم ما سار^(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجاج لمعلم ولده : علم وَلَدِي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما ورّث الرجالُ بنِيهم أدبُ صالحٍ وحسنُ الشئاءِ
ذاك خيرُ من الدنانير والأو راق في يومِ شدةٍ أو رخاءِ

وهي أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف في قائلها في باب التعليم في الصغر ، من كتاب العلم . وفي ذلك الباب كثير من معاني هذا الباب ، والله الموفق للصواب .

قال أعرابي ، وهو حِطَّانُ بنُ المُعلَى^(٢) :

أبكانيَ الدهرُ وياربِّما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

(١) في ١ : وزودوهم ما صار من المثل .

(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٣) شاعر إسلامي ، قامت شهرته على هذه القصيدة التي نوردناها ، انظرها في الحماسة ١/١٨٩ ، ووردت ببعض محالفة في أمالي القالي ٢/١٨٩ ، المقدم الفريد ٢/٤٣٨ .

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حَكْمِهِ مِنْ شَاهِقِ عَالٍ إِلَى خَفَضٍ^(١)
 وَابْتَزَنِي الدَّهْرُ ثِيَابَ الْغَنَى فَلَيْسَ لِي ثَوْبٌ سِوَى عَرَضِي^(٢)
 لَوْلَا بُدَيَّاتُ كَرْغَبِ الْقَطَا يَنْهَضُنَّ^(٣) مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
 إِنْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ لَمْ تَطْعَمُ الْعَيْنُ مِنَ الْغَمَضِ^(٤)
 لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ
 وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَنْنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ

كان الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مَبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِّيقِ
 اللَّهُ كَمَا اللَّهُ رِيقِي^(٥)

قالوا : من كان له صبيٌ فليستصحب له .

كانت أعراية ترقص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أَحْبُهُ حَبِّ شَحِيحٍ مَالَهُ قَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْفَقْرِ مِمَّنْ نَالَهُ

(١) في العيون : من مرقب عال ، وفي الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفي العيون : فليس لي مال بدل ثوب .

(٣) في الأمالي : أجمن بدل ينهضن ، وفي العيون والحماسة : حططن .

(٤) في العيون : لامتنعت عيني . الخ .

(٥) انظره في عيون الأخبار ٢/٤٣٩ ، ٣/٩٥ ، العقد الفريد ٣/٤٩٠ .

إذا أراد بذله بذالة^(١)

قال محمد بن يحيى النديم^(٢): أول شعر قاله علي بن الجهم وهو غلام في المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حظه، فجلسه فكتب إلى أمه:

أني جُعِلْتُ فِدَاكَ من أم أشكو إليك فظاظة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم وحسنت بالمدوان والظلم

قال الزبدي: كنت رجلاً منثناً، فقبل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع، واستغفر الله عند الجماع، ففعلت فولد لي بضعة عشر ولداً ذكراً.

قال الشاعر:

وما كل منثانٍ سيشقى بيته^(٣) وما كل مذكارٍ بنوه سرور

ومن هذا المعنى ذكر في باب النساء.

(١) الرحز في أمالي القالي ٢/٢٩٣، عيون الأخبار ٢/٤٣٩، العهد الفريد ٣/٤٧٢.

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، كان يلقب بالنديم لأنه نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس هم: الراضي والمكثي والقادر، وكان يلقب أيضاً بالسطرنجي لذكائه من أحسن الناس إتماماً له وبراعة، توفي بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧. وانظر هذا الخبر والبيتين في الأغاني في ترجمة علي بن الجهم، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلاً.

(٣) في ١: استشفى بيته.

قال أبو الملاء محمد بن أحمد بن جعفر الوُكَيْمِيُّ^(١) : ماسمعت بكار بن قتيبة
القاضي^(٢) قط ينشد بيت شعر إلا مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه^(٣) ،
فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ،
فقال :

تَعَاطَيْتُمَا ثَوْبَ الْمُقَوِّ كَلَاكِمَا أَبُ غَيْرِ بْنِ وَابْنِ غَيْرٍ وَاصِلٍ^(٤)

كان لعبد الملك بن مروان بيت مال كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه ،
لا يدخله شيء من الغلول ، يعمده للتزويج وشراء الجوارى اللواتي يطلب أولادهن ،
وكان يقول : إن الغلول يبقى في الولد .

قال أعرابي لأبيه ،^(٥) وهو عمر بن ذر الهمداني^(٥) يعاتبه : يا أبت إن عظيم
حقك علي لا يذهب صغير حقك عليك ، والذي تمث به إلى أمت بمثله إليك ، ولست
أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء .

(١) ساقط من ج ، وأبو الملاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظل
بها إلى أن توفي سنة ٣٠٠ هـ انظر : تهذيب التهذيب ٢١/٩ .

(٢) ابن أسد السكوني ، قاض فقيه محدث ، ولى قضاء مصر للمتوكل العباسي سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر
إلى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فسجنه ، فأقام في السجن يقصده الناس ويرون
عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ٦١/١ ، (الأعلام وهاشمه ٣٤/٢) .

(٣) ق ج : وأمه .

(٤) ق ج : فاضل .

(٥) ساقط من أ ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ، من رجال الحديث ، ومن
أهل الكوفة ، كان رأسا في القول بالإرجاء ، فاختلفوا في صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٤٤/٧ .

قيل لأعرابي ، وكان له ابن عاق : كيف ابنتك ؟ قال : عذابٌ أزعف^(١) على
به الدهر ، فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بلاء لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم
عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي ، فسأله جعفر
عن بنيه ، فقال^(٢) :

إِنْ بَنَى خَيْرُهُمْ كَالْكَلْبِ أَبْرُهُمْ أَوْلَهُمْ بِسَيِّ^(٣)
لَمْ يَغْنِ عَنْهُمْ أَذْيُ وَضْرِي فليتني كنت عقيم الصلب^(٤)
ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بِنَفْسِي أَنْتِ لَا بَابِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجُودَ بِالْآبَاءِ لَوْ مَا^(٥)

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابن العاق .

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز في أمالي القالي ١٩٨/٢ ، الأدباء ١٥٨/١ ، المحاسن والمساوي ١٩٠/٢ .

(٣) في ١ : كلهم بدل خيرهم ، وفي الأمالي : أولاهم ، بدل أولهم ، وفي المحاسن : ألهم بدل أبرهم .

(٤) في الأمالي : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هي : ولا إتساعى لهم ورحبي ،
ورد بعد ذلك هو :

فليتني مت بشير عقب أو ليتني كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت في معاضرات الأدباء ١٩٣/١ .

قال أمية بن أبي الصلت ، وهو قد عتب على ابنه ^(١) :

عَذَوْتُكَ مولودًا وَعَلَّمْتُكَ يافعا تُعَلِّمُ بِمَا أَسْعَى عَلَيْكَ وَمُنْهَلٌ ^(٢)
 إِذَا لَيْلَةٌ جَاءَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَكُنْ بِشُكْرِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ ^(٣)
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طَرِقْتَ بِهِ دُونِي فَمَعْنِي تَهَلُّ ^(٤)
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُوْجَلٍ ^(٥)
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ قَبْلُ أَوْمَلُ ^(٦)
 جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفُظَاظَةً ^(٧) كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمُنْفَضِلُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوَّتِي كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعَلُ ^(٨)

ورضى أبو الشَّغْبُ الْعَبْسِيُّ عن ابنه فقال ^(٩) :

(١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٨٧/٣ منسوبة إلى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبي تمام ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .

(٢) في العيون : منك بدل علك ، وأجنى بدل أسعى ، وفي الحماسة : أدنى إليك .

(٣) رواية الحماسة : إذا ليلة فاجئك ... لم أبت ، وفي العيون : نالتك -

(٤) في العيون والحماسة : وعيني بدل فمعني .

(٥) لم يرد هذا البيت في العيون ، ورواية الحماسة : حم بدل وقت .

(٦) في العيون : فلما بلغت الوقت في العدة التي .

(٧) العيون والحماسة : جعلت جزائي منك جها. وغلظة .

(٨) في العيون والحماسة : فاعت كما الجار ... الخ .

(٩) الأبيات التي تلي في حماسة أبي تمام ١٠١/١ ، ١٠٢ ، أمالي الفال ٣/٢ ، الكامل للبرد ١٠١/١ ، والبيتان ٢ ، ٣ في عيون الأخبار ٥/٣ ، وذكر فيه : أنها في مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان لإخوان الرجال ... الخ ، ولا يتفق هذا مع أي من المراجع الأخرى ، وقد نس في الكامل على أنها من أب في ابنه ، قال : قال أبو العباس : أنشدني التوزي لأبي رباط يقول لابنه ... الخ .

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شِبَابُهُ وَوَلَّى شِبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَثْبُ
 إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ حَزَازَةً^(١) فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحَلُوُّ وَالْبَارِدُ الْمَذْبُ
 لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَمْبُ^(٢)
 يَخْبِرُنِي عَمَّا سَأَلْتُ بِهِيْنِ مِنْ الْقَوْلِ لَا جَافِيَ الْكَلَامِ وَلَا نُغْبُ^(٣)

وقال آخر :

فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةً أَكَّاسَتْ وَكَيْسَ الْأُمِّ أَكْبَسَ لِلْبَيْتِ^(٤)

(١) في الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الفيل. .

(٢) في الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفي العيون : مزكبه بدل ممتنع .

(٣) اللقب : العاسد من الكلام .

(٤) في ١ : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت في البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، ٣/ ٣٤٨ ، محاضرات

بَابُ الْأَقَارِبِ وَالْمَوَالِي

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا رسول الله ^(١) إن لي قرابةً أصليهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويُسيئون إليّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ أجدرُ بأن تعجلَ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغى وقطيعة الرِّحِم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقُّ كبير الإخوة على صغيرهم ، كحقِّ الوالد على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ في التوراة : إن أحسد الناسِ لِمِائِمٍ وأبغاهم عليه ، قرابته وجيرانه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَوَالِي القوم منهم » .

قال ابن عباس : قد تُقَطَّعُ الرَّحِمُ ، وقد تُكْفَرُ النِّعْمَى ، ولا شيءٌ كقتلِ القلوب . وفي رواية أخرى عنه ، تُكْفَرُ النِّعْمَةُ ، والرَّحِمُ تُقَطَّعُ ، والله يؤلِّف بين القلوب ، وإذا قارب بين القلوب لم يُرْحَزْها شيءٌ أبداً ، ثم تلا : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ

ما في الأرضِ جميعاً ما أَلَفَتْ بينَ قلوبِهِمْ ، ولكنَّ اللهَ أَلَفَ بينهم ^(١) .

كان يقال : لا تُؤدِّي حَقَّ ^(٢) الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ،
وتعطيه إذا حرمك .

قال الشاعر :

وجدتُ قَريبَ الوُدِّ خيراً وإن نَأَى من الأبعد الوُدُّ القَريبِ المَناسِبِ
ورب أخ لم يُدْنِه منك والدُّ أبرُّ من ابنِ الأمِّ عندِ النوائِبِ
ورب بعيد حاضِرٍ لك نفعُهُ ورُبَّ قَريبٍ شَاهدٍ مثْلُ غائبِ

ولنصور الفقيه :

^(٣) مناسِبُك الأذنى أشدُّ عداوةً وكفراً لما أوليته من عداثِكا
يقول الذي بيني وبينك مُوجبٌ عليك لعمري أثرتني بحياتِكا
وما خبرٌ من عسى ويصبحُ ساخطاً على الله في تأخيرهِ لما تَكا

وقال آخر ^(٣) :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعاً من الرجلِ البعيدِ الأقربُونا

(١) سورة الأَنْفال الآية ٦٣

(٢) في - : صلة .

(٣) ساقط من ١ .

وقال آخر^(١) :

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرِكَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تماثِبُه
يخونُكَ ذو القربى مرارًا ورُبَّما وَفَى لكَ عند الجُهد من لا تُناسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهي^(٢) في بنى أمية^(٣) :

مهلا بنى عمنا عن نحت أثلثنا سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيرُونَا^(٤)
لا تطعمُوا أن تهينُونَا ونكرمُكُمْ وأن نكف الأذى عنكم وتؤذُونَا
مهلا بنى عمنا مهلاً موالينا لا تنشروا^(٥) بيننا ما كان مدفونا
الله يعلم أنا لا نجحُكُمْ ولا نلومُكُمْ ألا تجبُونَا
كل يداجي^(٦) على البغضاء صاحِبَه بِنِعْمَةِ الله نَقْلِيكُمْ وتَقْلُونَا

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ٣٠٩/١ ، محاضرات الأدباء ٢٢/١ ، الصداقة والصديق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته في هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٨٢/١ ، مع اختلاف في الترتيب ، وانظر البيت الثالث في الكامل ٢٧٩/٢ ، وبعضها في المؤلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٣٢٨/٢ ، عيون الأخبار ٧١٣/١ .

(٤) الأثلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للعرض ، والمقصود كفوا عن ضمنا وشم أعراضنا ، ورواية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) في الحماسة : لا تنبشوا .

(٦) فيهما أيضاً مداجج .

قال مضر بن أقيط الفقعسي :

فقدت موالى الذين كأنهم دماميل في وجهي على تَنَخُّسٍ

ولما قتل الحسين بن عليّ ، قالت بنت عقيل بن أبي طالب :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأتم آخر الأمم
بعثتني وبأهلي عند منطلق منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوى رَحِمِي^(١)

لسويد الحارثي أو غيره^(٢) :

بنى عنما لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغيم القوافيا^(٣)
فلسنا كما كنتم تصيئون مثله فيقبل عقلاً أو يحكم قاضيا^(٤)
ولكن حكم السيف فيكم مسلط ففرضي إذا ما السيف أصبح راضيا
فإن قلتم إنا ظلمنا فإنكم^(٥) بدأتم ولكننا أسأنا القاضيا

(١) انظر الأبيات في : السكامل ٩١/١ ، عيون الأخبار ٢١٢/١

(٢) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٤١/١ ، وقال : أنها للشيمندر الحارثي أو سويد بن صميع الرندي الحارثي ، وانظر عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٣) في الحماسة : الغيم بدل الغيم ، والفجر موضع بين ذات عرق واليستان ، قبله بيمين يوجد قبر أبي رغال .

(٤) في الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نكن بدل فإنكم .

وقال الأصبط بن قريع :

فَصِيلُ جبالِ البعيدِ إن وصل الـ حَبْلَ وأقصِ القريبَ إن قَطَعَهُ^(١)

قال قيس بن زهير^(٢) :

شفيت النفس من حَمَلِ بنِ بَدْرِ وسيفي من حُذَيْفَةَ قد شفاني
^(٣) قتلتي إخوتي سادات قومي وقد كانوا لنا حلَى الزمانِ^(٣)
 فإن أك قد شفيت^(٤) بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني

قال ذو الإصبع المدواني^(٥) :

ولي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ يخالف لي أقليمَ وَيَقْلِينِي^(٦)
 أزرى بنا أننا شالت نعامُنا^(٧) نخالني دونه بل خلته دورني
 الله يعلمني والله يعلمكمُ والله يجزيكمُ عني ويجزيني

-
- (١) البيت في البيان والتبيين ٢/ ٢٨٠ ، العقد للفريد ٢/ ٢١٥ ، زهر الآداب ٢/ ٢٠٤ .
 (٢) الأبيات التالية في : حاسة أبي تمام ١/ ٧١ ، عيون الأخبار ٣/ ٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/ ٧٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر معجم الشعراء ٣/ ٣٣٢ ، أمالي القالي ١/ ٢٦٢ .
 (٣) ساقط من ج .
 (٤) في ١ : بردت وكذلك في الميون ، وفي المعجم : فإن أك قد شفيت بذلك قلبي .
 (٥) الأبيات في الحيوان ٤/ ٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/ ٣٢٨ ، أمالي القالي ١/ ٢٥٥ ، ٥٦ .
 (٦) في الأمالي : مختلفان فأقلبي .
 (٧) شالت نعامتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تغير حالهم من يسر إلى عسر .

ماذا عَلَيَّ وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكم إذ لم تُحِبُّوني
قال الأعشى^(١) :

وإنَّ القريبَ من يقربُ نفسهُ لعمرُ أهلك الخيرِ لا مَنْ تَنَسَّبَا
وقال آخر :

وإني للباسٌ عَلَى المَقْتِ والقَلَى بنى العمِّ منهم كاشحٌ وحسودُ
أذبٌ وأرى بالحصى من ورائهم وأبدأ بالنعى لهم وأعوذُ^(٢)
قال ابنُ العميد :

آخرَ الرجالِ من الأَبَا عِدِ والأقاربَ لا مُتَقَارِبُ
إنَّ الأقاربَ كالعقبا رِبِ أو أشدُّ من العقاربِ^(٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقبه يوماً
ممتاخطاً. فقال له : مالك ؟ قال : لقيني فلانٌ — لرجل من أهله — فشتني وآذاني.
فقال له : هوّن عليك فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم
سَرِيٍّ ، فهوّن عليك .

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان في معاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحصى بدل النعمى .

(٣) البيتان في بتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ ، خامس الخامس ١٢٦ ، النذيل والمحاضرة ١٢٧ .

من شعر طرفة ، ويروى في شعر عدى بن زيد^(١) :

و ظلم ذوى القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أبو فراس الحمداني^(٢) :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربي إذا كان لي منهم قلوبٌ الأبعد

قال العتّابي : عشيرتُك من أحسن عشرتك ، وابن عمك من عمك خيرُه
وقرأتك من قرب منك نفعه ، وأحب الناس إليك أخفهم ثقلاً عليك .

وقال^(٣) :

إني بلوتُ الناسَ في أحوالهم وخبرتُ ما وصفوا من الأسباب^(٤)
فإذا القرابة لا تُقربُ فاطماً وإذا المودة أقربُ الأنسابِ

(١) ورد البيت في معاقبة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزي في شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى في حماسة البجترى ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ . والرواية فيها كلها : أشد عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦٠ .

(٣) ورد البيتان في حماسة البجترى ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما في العقد الفريد ٣١٤/٢ إلى أبي تمام وليس في ديوانه .

(٤) رواية حماسة البجترى لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقبلهم وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

ولقد سبرت الناس ثم خيرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا^(١)
وهذا مأخوذ - والله أعلم - من قول أكنم بن صيفى : رب أخ لم تجمع
مك ولادة .

قال آخر^(٢) :

قوى هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت أصابنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جملأ ولئن سطوت لأوهن عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجحفت به سنة حلت مصيبته حقدى^(٣)
قال آخر^(٤) :

سأخذ منكم آل حزن لحوشب وإن كان مولأى وكنتم بنى أبى^(٥)

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، غير منسوبة لقائل .
(٢) هو الحارث بن ولة الجرمى كما فى حماسة أبى تمام ٧١/١ ، وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ .
(٣) فى العيون : يصيبى بدل أصابى ، وقرعت بدل سطوت .
(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ١ : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ١٠٧/٣ . ذو الضعف بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نكبتة بدل مصيبته .
(٥) قال فى حماسة أبى تمام ١٢٠/١ : يقال إنه جندل بن عمر ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار ٨٩/٣ .
(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولأى وقال الشارح وفيه الكف ، وهو حذف التون من مفاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مكفوف غيره .

فَإِنْ كُنْتَ لَا أَرْضِي وَتَرَمَى عَشِيرَتِي تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَجِي وَمِنْكَبِي^(١)

وقال آخر :

فَلَمْ أَرِ عِزَّ الْمَرْءِ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أَرِ ذَلًّا مِثْلَ نَائِي عَنِ الْأَهْلِ

قال آخر^(٢) :

أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَبَحَهَا إِذَا لَمْ تَجَاوِبْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ^(٣)

وقال المقتنع الكندي ، واسمه محمد بن حمير بن أبي شير الكندي ، وكان من أجل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامه ، فكان إذا كشف وجهه يؤذى ، فكان يتقنع دهره ، فسمى لذلك : المقتنع . وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة وسباطة وحلاوة^(٤) :

يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دُيُونِي^(٥) فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ مَحْدَا

(١) في الحماسة : كنانتي بدل عشيرتي ، وجانحات بدل جانحات .

(٢) اسب البيت في معاضرات الأدباء ١٧٣/١ إلى الزعمان بن حنظلة ، ونسبت في عيون الأخبار ٩١/٣ إلى رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) في المحاضرات : وهرشها بدل نبحها ، وسبارشها بدل تجارها .

(٤) انظر الأبيات التالية في حماسة البحتري ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالي الفاي ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع في حماسة أبي تمام ٣٢/٢ - ٣٤ .

(٥) يروي : تدانتي .

أَسَدٌ بِهِ مَا قَدْ أَخْلُوا وَضَيَعُوا حَقُوقٌ تُغَوِّرُ مَا أَطَافُوا لَهَا سَدًا
 وَلِي جَفْنَةٌ لَا يُفْلَقُ الْبَابُ^(١) دُونَهَا مَكَلَّةٌ لَهَا مَدْفَقَةٌ تُرَدَا
 وَلِي فَرَسٌ نَهْدٌ عَتِيقٌ جَعَلَتْهُ حِجَابًا لِيَتَى ثُمَّ أَخْدَمَتْهُ عَبْدًا
 وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمَّتِي لَمُخْتَلَفٌ جِدًا
^(٢) إِذَا أَكَلُوا الْحُمَى وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
 وَإِنْ ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيَّيْ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
 وَلَيْسُوا إِلَى نَصْرِي سَرَاعًا وَإِنْ هُمُ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِي أَتَيْتُهُمْ شَدًّا
 وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي^(٣) بِنَحْسٍ عَرَبِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا يَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
 وَلَا أَهْمُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ^(٤) مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
^(٥) لَهُمْ جُلٌّ مَالِي أَنْ تَتَابَعُوا لِي غَنَى وَإِنْ قُلُوبُ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رَفْدًا
 وَإِنِّي لَعَبْدٌ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِمَّةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا
 وَقَالَ طَرْفَةٌ :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذُلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ^(٥)

(١) في الحماسة : وفي جفنة ما يفتاق الح ، وكذلك في البيت التالي : وفي فرس الخ .

(٢) ساقط من ١٠ وفي الحماسة : فإن أكلوا بدل فإدا .

(٣) في الحماسة : طيرا .

(٤) في حماسة البحتري : وليس كريم القوم .

(٥) ديوانه ١٢٦ .

وقال عوف التميمي^(١) :

ولستُ لقوى بَعِيَّابَةً وشرُّ العشيرةِ من عَابِهَا
أَعِفُّ وأبذلُّ مَالِي لَهَا وَلَا أَتَعْلَمُ الْقَابِهَا^(٢)

وقال أبو الطمحان القيني^(٣) :

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ فَلَا تَسْتَثْرِهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا^(٤)

قال آخر :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاجٍ إِلَى التَّيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ
وَأَنَّ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحُهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بَغِيرِ جَنَاحٍ

قال الشَّافِي^(٥) :

(١) انظر ترجمته و البيتين في معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) نسب البيت في المؤلف ٢٣ إلى الأقبيل القيني ، وفي حماسة البحتري ١٨ إلى معروف بن عمرو الطائي .

(٤) في المؤلف : متى ما يسكن ، وفي حماسة البحتري نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٣٠٤/٢ ، ٢/٣ ، فصل للمقام ٢٢٠ ، الأغاني ٧٠/١٨ (يولاتي)

إلى مسكين النارمي ، ونسباً في حماسة البحتري ، ٣٨٨ إلى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر في هامش البيان ٨٢/١ أنه يزيد بن الحكم الثقفي على الاحتمال ، وقد نص في الشعر والشعراء ٣٠٠

من كان ذا عَصْدٍ يَدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إن الدليلَ الذي ليست له عَصْدُ
تنبؤُ يدها إذا ما قُلَّ ناصِرُهُ ويأنفُ الضَّيْمُ إن أثرى له عددُ

وقال أشجع السامى :

نسيبك من أُمسَى يناجيك طَرْفُهُ وليس لمن تحْتِ الترابِ نسيبُ^(١)

وقال محمد بن أبى حازم الباهلى :

رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ وابنُ أبٍ متهَمُ الغيبِ^(٢)
ورب عَيَابٍ له منظرٌ مشتملُ الثوبِ على العيبِ

قال محمد بن أبان اللاحقى يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها وأنت سَنَنْتَها للناسِ قبلى^(٣)

واللاحقى هو القائل :

== على أنه الأجرد التقى ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٣/٢ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤١ ،
الميوان ٣/٤٥٠ .

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين في البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه :
وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب يعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سَنَنْتَها في الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقى .

اخفض الصوت إن نطقت بلبيل والتفت بالتهار قبل الكلام^(١)

وفي معنى قول اللاحق في البيت الأول قول الهذلي :

فلا تقزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها^(٢)

(١) البيان والبيان^٥ ٢٦٦/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ .

(٢) ديوان الهذليين ١٢/١ . والرواية في عيون الأخبار ١٠٩/٤ : فلا تسجين ، وفي الشعر والشعراء :

لا تجزعن .

باب المملوك والمالك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سيِّء المملوك » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حُكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حَسُنَ عيشُ غيره في عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشجِّي العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثرُوا شراءَ^(١) الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقاً^(٢) من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي عبدَ بنِي الحَسَحَاس واسمه سُحَيْمٌ ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد اشتريتُ لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبَّ بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم .

(١) في ح : شري .

(٢) ١ : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بني ! إياك وخدمة العين^(١) . قال : وما خدمة العين^(١) ؟ قال :
ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك^(٢)

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة ، فجاءه سقاء على ظهر بعير
لهم^(٣) ، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ،
وغدير لا يُنزع ، وقوم لا يُروون

قال بعض الحكماء : أفضل الممالك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ،
وأسرع قبولاً .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ،
قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح^(٤) :

بَطَرْتُمْ فطَرْتُمْ والعصا زَجَرُ من عَصَى وتقويمُ عبدِ الهون بالهون رادعُ

(١) في ١ : النير .

(٢) في ١ : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ١ .

(٤) في ٢ : ابنه الفتح ، وأبو الفتح هذا هو علي بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب
بذي الكفايتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ،
واستمر إلى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهاشمه ١٤٣/٥ ، وانظر البيت
في التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ١٩٠/٣ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الحاس ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكن في منزل المرء حرّة رأى خلافا فيما تدير الولاؤ
فلا يتخذ منهم حرّ قعيدة فهن لعمر الله بئس القعائد^(١)

قال آخر :

العبد يُزجرُ بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه^(٢)

وقال آخر :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة^(٣)
أخذه من قول مالك بن الرّيب :

العبد يُقرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيد^(٤)

وقال بشار^(٥)

الحرُّ يلحى والعصا للعبد^(٦) وليس للملحف مثل الردّ^(٦)

(١) البيهقي في التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأباء ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما :
شبهة بدل خلا .

(٢) اسب هذا البيت في الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطم ، ونسب في البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات
الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصّرخاني الفهمي انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) ديوانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلحى .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضُّر ، والعبد عبد ولو مشى على الدُّر .
أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ في الحالات حرٌّ وإن الدُّلَّ يُقرن بالعبيد^(١)

وقال يزيد الملهبي :

إن العبيد إذا أذللتهم صلُّوا على الهوان وإن أكرمتهم فسَدُوا^(٢)
قال المتنبي^(٣) :

لا تشتري العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لأنجاسٌ منا كيدُ
وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمة عبده تبجى له ذنباً^(٤) وإن لم يكن ذنبُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن الأثام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) ١ : قدم له ذنباً .

باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟
قالوا : بيم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسن والثناء السيئ ، أتم شهداء الله في
الأرض ، بعضكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .
وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أحببتكم أن تعلموا ما للعبد عند ربّه ^(١) فانظروا ما يتبعه
من حُسن ثناء .

قال مطرّف بن الشَّخِير : عنوانُ كرامة الله لعبده حسنُ الثناء عليه ، وعنوان
هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم
حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

(١) في ١ : عند الله .

وإنما المرء حديثٌ بعدهُ فكن حديثًا حسنًا لمن وعى^(١)

قال آخر :

أرى الناسَ أحدىةً فكوني حديثًا حسن^(٢)

قال آخر :

وكلُّ جديد - يا أميم - إلى البلى وكلُّ امرئٍ يومًا يصير إلى كائن^(٣)
وقد مضى قول حاتم الطائي :

أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِنْ بَعْدِي^(٤)

مات ابنٌ لحبيب بن المهلب^(٥) ، فقدم أخاه يزيد ليصلى عليه ، فقبل له : أتقدمه
وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرفه الناسُ وشاع له فيهم الصيت ، ورَمَتْه
العربُ بأبصارها ، فكرهت أن أضعَ منه ما رفع الله .

(١) في ١ : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت في المتن هكذا :

أرى الناس أحدىة للزمان فكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد النسخ فيه كلمتين ، وهو ما لم ترد به رواية البيت في المراجع ، انظره في التمهيل والمحاضرة ٨٧ ،
نسوبا لمبد الصمد بن العنفل . وانظره في السكامل ٢٣٧/١ ، محاضرات الأدباء ١٨٠/١ بدون نسبة .

(٣) البيت في حماسة البجترى ٣٣٢ ، البيان والتبيين ١٦٠/٣ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبي صفرة ، أحد شجيمان العرب وأشرفهم ، كانت له ولاية كerman من قبل عبد الملك بن مروان ،
وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صلب أخاه يزيد في أعماله وغروانه حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنى^(١) :

فإذا بليتكم أهلکم فتحدثوا ومن الحديث مهالكٌ وخلودٌ

قال آخر :

فأمنوا علينا لا أباً لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخُلْدُ^(٢)

قال الأسدي :

فإني أحبُّ الخلدَ لو أستطيعهُ وكالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ^(٣)

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

وسيتبقى الحديث بعدك فانظر خيراً أحدىثة تكونُ فكُنْها^(٤)

مع سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ١٧٣/٢ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحواً من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذي كان يخفي بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاء سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلامانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغلب عليها سنة ١٠١ هـ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٢٤٦/٩ والمرجع الكثيرة التي أوردتها عنه في هامشه .

(١) في ح : الغنوى ، والبيت أنشدته الجاحظ كافي السكامل ٢٢٣/١ ، وانظره في الحيوان ٤٧٥/٣ ، وفيه أرضكم بدل أهلکم ، ومتألف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ١٦١/٣ كما هنا .

(٢) البيت للحارثي كما في الأغاني ٢٧٥/٣ ، وانظر السكامل ٢٢٣/١ . وقال أنشدته الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ١٦١/٣ .

(٣) نسب هذا البيت في معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضر بن ربيعة بن لقيط . وانظره بالنسبة التي هنا في البيان والتبيين ٢٢٣/١ ، ٢٦٤/٣ . الحيوان ٤٧٥/٣ . محاضرات الأدباء ١٨٠/١ .

(٤) نسب البيت في البيان والتبيين ٢٦٤/٣ ، الحيوان ٤٧٥/٣ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جهور ، ^(١) وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ،
والله أعلم ^(١) :

إذا أعجبتك طباعُ امرئٍ فكنته يكن منك ما يعجبك
فليس على الجودِ والمكرُماتِ حجابٌ إذا جئتَه يحجبك

قال آخر :

ذكرُ الفتى عمره الباقي وحاجته مافاتُه وفضولُ العيش أشغالُ ^(٢)

قال التهامي ^(٣) :

بينما يرى الإنسانُ فيها مُخبرًا حتى يرى خَبَرًا من الأخبارِ

(١) زيادة من ا ، وقد ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ ، ملسوين إلى أبي العيضاء

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتي ، مافاتُه من فضول الخ .

(٣) هو علي بن محمد بن نهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى
خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفياً ، ومعه كتاب من حسان بن مفرج الطائي . أيام استقلاله ببادية فلسطين
إلى بى قرة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلقت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل في سجنه سنة ١٦٦ هـ .
انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ (الأعلام وهاشمه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على ماضى من الأزمان والتلهف على صالح

الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم ^(١) وخَفَّتْ أماناتهم ؟ »

قيل لبعض الحكماء : بأى شيء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال : بحنينه إلى أوطانه ، ^(٢) وتلهفه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ^(٣) وتشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد ^(٤) :

ذهب الدين يُعَاش في أَكْثَنَافِهِمْ وبقيتُ في خَلَفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ
يتعدثون ملالة وخيانةً ويُعَاب قائلهم وإن لم يَشْغَبِ ^(٥)

(١) مرج العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشغب : يهيج الشر ، ورواية الكامل ٧٠/٢ : يتعدثون مجانة وملادة ، وفي البيان ٢٧٠/٢ :

مفالة وخيانة ، وفي ملالة بدل ملالة ، وإطر الحيوان ٢٧٥/٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك ليبد زماننا هذا ؟ قال عمرو : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله ليبدأ ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله ليبدأ ورحم عائشة ، لقد أصبت باليمن سهما في خزان عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لي إلى أجبال هندٍ بذى اللوى لوى الرمل من قبل المات معاد
بلادُ بها كُنّا ونحن نُجِئُها إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادٌ^(١)
(٢) قال أبو العتاهية^(٣) :

لله أزمنةٌ عَهِدْتُ رِجَالَهَا في النائبات وإنهم لكرام
ماذا أقول لو أفد الزمن الذي^(٤) هلك الأرامل فيه والآيتام
زمنٌ هوت أعلامه وتقطعت فِرَقًا فليس لأهله أعلام
زمن مكَاسِبُ أهله مَدْخُولَةٌ جدًّا^(٥) فُتِرُوهُ أصوله الآثام

(١) انظر هذا الخبر في العقد الفريد ٣٤٠/٢ ، محاضرات الأدباء ١٦٩/٢ مع اختلاف قليل في الرواية .

(٢) من هنا ساقط من نحو صفحة .

(٣) الأبيات التالية في ديوانه ٢٤٤ .

(٤) رواية الديوان : فلميرة أخرت الزمن الذي ... الخ

(٥) في الديوان : دخلام .

زمن تُجَاهِي الْمَكْرُمَاتِ سَرَائِهِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ حَرَامٌ

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوزٌ وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقربها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وتزورنا أيامَ خديجة ، وحفظُ العهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذَهَبَ الزَّمانُ بِرَهْطِ حَسانِ الأُلَى كانت مناقبُهم حديثَ النَّـابِرِ
وَبَقِيَتْ في خَلْفٍ تَحَلَّى ضِيوفُهُمْ منهم بِـنَزْلَةِ اللِّثيمِ الغادرِ
سَوْدُ الوجوهِ لثيمةٌ أَحسابهم فُطَسُ الأنوفِ مِنَ الطرازِ الآخِرِ^(١)

وقال آخر :

مَضَى الذين إِذَا ما جِئْتُ أَسأَلُهُم قالوا بِرَحْبٍ : على العَيْنينِ والرَّاسِ
وَقَدْ بَقِيَتْ بأَوْغادٍ أَكْبَرُهُم ليسوا بِناسٍ بَلَى أَشْبَاهُ نَسْناسِ^(٢)

وقال عتبة الأعور^(٣) :

ذَهَبَ الذين أَحَبَّهُمْ وَبَقِيَتْ فيمن لا أَجْبُهُ

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .

(٢) إلى هنا ينتهي القسم من ح . وانظر البيهقي في العداقة والصديق ١١٥ .

(٣) هو : عتبة بن أبي سفيان بن حرب ، وبسمى الأعور لأن عينه فقتت يوم الجمل الذي شهده مع عائشة وكان عتبة عاقلاً فصيحاً مهيباً من فحول بني أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : لسب قریش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ١٣٨/٢ (الأعلام ٣٦٠/٤) .

إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمٌ قَوْماً فِيهِمْ كَلْبٌ يَسْبُهُ^(١)

وقال الحارث بن^(٢) الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مَقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالمَقْبِلِ
وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مَنْهَلٍ^(٣)

وقال الأحموس :

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ سَلَفًا وَبَقِيْتُ كَالْمَفْقُودِ فِي خَلْفٍ
مِنْ كُلِّ مَطَوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ مُتَصَنِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي^(٤)

وقال بشار :

فَسَدَ الزَّمَانُ وَسَادَ فِيهِ الْمُقْرِفُ وَجَرَى مَعَ الطَّرْفِ الْحَمَارُ الْمُوكَفُ^(٥)
كَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِي يَقُولُ : ذَهَبَ النَّاسُ فَلَا مَرْتَعَ وَلَا مَفْزَعَ^(٦) .

(١) البيتان في الحيوان ٣٠٩/٢ ، وفيه : كريم قومي ... النح :

(٢) في : - دعي الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان في الحيوان ٣٠٧/٢ . والولع : حركة لسان الكلب في الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان في البيان والتبيين ٢٧٦/٣ ، الحيوان ٨٥/٣ ، وفيها : كالغمرور بدل المفقود ، وفي البيان : متصنع بدل متصنّع .

(٥) المقرف : الفرس الذي أمه عربية لا أبوه وهو لا يداني الطرف أي الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف ، ورواية : - : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : الحصب والسعة ، والمفزع : الذي يلبجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه ، ^(١) وتروى لغيره ^(٢) :

ذهب الرجالُ السُّقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرٍ
وبقيتُ في خلفٍ يُزَيِّنُ بعضهم بعضاً ليأخذ مُعْمُورٌ من مُعْمُورٍ ^(٣)
^(٤) ركبوا ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا متنكبِّين عن الطَّرِيقِ الْأَكْبَرِ
ما أقربَ الأشياءِ حينَ يَسُوقُهَا قدرٌ وأبعدُها إذا لم تُقَدَّرِ
المسلمُ زينٌ للرجالِ مروءةً والعلمُ أنفعُ من كنوزِ الجواهرِ
أَخَى إِنَّ من الرجالِ بهيمةً في صورة الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطِنَ لكلِّ مصيبةٍ في ماله وإذا يُصَابُ بدينه لم يشعر ^(٥)

ولأبي حفص عمرو بن علي بن بحر الفلاس ^(٦) ، ^(٧) وكان أحد أئمة أهل الحديث

الحفاظ الجليلة ^(٨) :

(١) ساقط من أ .

(٢) نسب البيهقي في معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعلج الحرامى ، ونسباً في المؤلف ١٦١ إلى الحكم بن عبد الأسدى ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفي عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أنشدنا ابن الأعرابي ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها في معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوباً إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكذة ، ثم وردت مرة ثانية في ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلى .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثاني منهما في المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .

(٤) ورد هذا الاسم في أ : أبو حفص عمر بن علي بن حفص الفلاس ، وفي ب ، م : عمر بن علي الفلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفي التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، للباب ٢٣٠/٢ (الأعلام ٢٥٤/٥) .

(٥) ساقط من ج .

ألا ذهب التكرُّمُ والوفاءُ وباد رجاله وَبَقِيَ النَّشَاءُ
وَأَسْأَلُنِي الزَّمانُ إلى رجالٍ كأمثال الذَّنابِ لهم عواءُ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءُ إذا نَزَلَ البلاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا زماناً أَوْرَثَ الْأَحْـ رَارَ دَلًّا وَمَهَانَةً
لستَ عِنْدِي بِزَمانٍ إِنَّمَا أَنْتَ زَمَانَةٌ
كَيْفَ نَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا وَالْعَلَا فِيكَ مُهَانَةٌ
أَجْنُونًا مَا نَرَاهُ مِنْكَ يَبْدُو أَمْ مَجَانَةٌ^(٢)

وقال آخر :

كنا مُنَمَّرٌ مِنْ يَأْتِي بِفَاحِشَةٍ وَالنَّاسُ يَرْعَوْنَ حَقَّ الدِّينِ وَالْحَسْبِ
فالنَّاسُ قَدْ تَرَكُوا التَّعْيِيرَ كُلَّهُم لَمَّا اسْتَوَى النَّاسُ فِي الْفَحْشَاءِ وَالْكَذِبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهابَ أُمسِ الذَّاهِبِ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُجَامِلٍ وَمُؤَارِبِ

(١) انظر الأبيات مع أخرى في عيون الأخبار ٣٤٥/٢ . وفيه : إذا ذهب بدل ألا ، وجهه بدل نزل .

(٢) اسبغت الأبيات التالية في معجم الأدباء ٩/١٩ ، خاص الحاص ١١١ إلى أبي الحسن بن لسكك البصري ، والزمانة : العاهة ، والمجانة : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرم والوفاء من الورى وتقرّضنا إلا من الأشمارِ
وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصارِ

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليعقوبى الشذونى :

مضى دهر السّماح فلا سَمَاحُ ولا يُرْجى لى أحدٍ فلاحُ
رأيتُ الناسَ قد مُسِخُوا كَلابا فليس لديهمُ إلاّ النُّباحُ
وأضحى الظرف عندهمُ قَبِيحا ولَا واللهِ إنهمُ القَبَاحُ
سلامٌ أهلَ إبليسِ عليكمُ فإنّ البَينَ أوشكه الرّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُستَرَّاحُ
إذا ما الحرُّ هانَ بأرضٍ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنَاحُ

وقال آخر :

مضى الجودُ والإحسانُ واجتُثَّ أَصلُهُ وأُخذ نيرانُ النّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرٍ يَرَوْنَ العُلا والمجدَ جمعَ^(١) الدّراهمِ
كانهمُ كانوا جميعاً تعافدُوا على الأؤمِ والإمساكِ فى صُلبِ آدمِ

(١) فى ١ : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقاً إلى مكة ، ويرفع عقيرته^(١) :

(٣) ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بوادي وحوالي إذ خمر وجليل
و هل أردد يوماً مياه مجنّة و هل يبدؤن لي شامةً وطفيل^(٢)

ولابن ميادة واسمه الرّمّاح^(٣) :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً بحجرة ليلى حيث رينني أهلي
بلاد بها نيطت على تماثي وقطعن عني حين أدركني عقلي^(٤)

وقال آخر :

أحب بلاد الله ما بين منبج إلى وسامي أن يصوب سحائبها
بلاد بها عقى الشباب تماثي وأول أرض مسّ جلدي ترابها^(٥)

وقال آخر :

أحنّ إلى دهر مضى بنضارة إذا العيش رطب والزمان مواتي

(١) انظر البيهقي في أمالي القالي ١/٢٤٦ ، المعجم العربى ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) في معجم البلدان بفتح ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضاً الثمام نبت يستعمل في بعض علاجات العين ، ومجنّة جبل لبنى رتل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من أ .

(٤) البيهقي في الأغاني ٣/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفي أ : بوادى الخزامى بدل حرة ليلى ، ونيطت : شدت ، والتماثي : ما يعلق على الصبيان من الأحذية لطفهم من العين ونحوها .

(٥) نسب البيهقي في عبون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيبة ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالي القالي ١/٨٣ ، السكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير في الرواية ، ومنعج واد يصب في الدهناء وهى أرض =

وأبكى زماناً صالحاً قد فقدته يقطع قلبي ذكركه حسرات
تمطى علينا الدهر في متن قوسه ففرقنا منه بنبل شتات

وقال متمم بن نويرة^(١) :

وكنا كبندهماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وقال آخر :

خمسون عاماً تولت في تصرفها عسرو ويسر على الحالين أشهد
لم أبك من زمن صعب لشدته إلا بكيت عليه حين أفقده
وما جزعت على ميت فجعت به إلا ظلمت لستر القبر أحسده
وما ذممت زماناً في تقلبه إلا وفي زمني قد صرت أحده

ولأبي عبد الرحمن العطوي ، واسمه محمد بن عطية :

سألت عن سبب الإقتار والعدم وعن زوال الندى في العُرب والعجم

تمتيم بنجد ، و يروى بدل منجد مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عني الشباب تمامي أي شقها والمعى أنني بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعي التميمي ، شاعر كبير من أشرف قومه ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله في أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة ، وسكن متمم المدينة في أيام عمر وتوفي بها نحو سنة ٥٣٠ هـ . انظر في ترجمته الأعلام ١٥٥/٦ والمراجع الكثيرة في علمه ، واطر البيت في السكامل ٢/٢٩٦ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِي^(١) : هَوَتْ أَنْجُمُ الْإِفْضَالِ وَاشْتَمَلَتْ
 أَنْعَى إِلَيْكَ مَوَاسَاةَ الصَّدِيقِ وَمَا
 أَنْعَى إِلَيْكَ خِلَالَ الْفَضْلِ قَاطِبَةً
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
 أَيْنَ الْجَمِيلُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُلْتَبَسًا^(٢)
 أَيْسَرَ وَأَنْتَ صَدِيقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَإِنْ وَجَدْتَ صَدِيقًا عِنْدَ نَائِبَةٍ
 لَمَّا أَنَاخَ عَلَى الدَّهْرِ كُلَّكَ
 نَادَيْتُ مَا فَعَلَ الْأَحْرَارُ كُلَّهُمْ
 قَالُوا : حَدَا بِهِمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَسَلْ
 أَمْ التَّوَاصُلُ^(٣) فِي الدُّنْيَا عَلَى عُقْمٍ
 قَدْ كَانَ يَرْعَى مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالذَّمِّ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الْعِلْمِ
 قَوْمٌ لِقَوْمٍ وَأَيْنَ الْحِفْظُ لِلْحُرْمِ^(٤)
 أَهْلَ الْوَفَاءِ وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
 ثُمَّ ابْلُ سِرَّهُمْ فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
 فَلَسْتَ مِنْ طُرُقَاتِ الْخَيْرِ^(٥) فِي أَمَمٍ
 وَخَانِي كُلُّ ذِي وَدٍّ وَذِي رَحِمٍ
 أَهْلُ النَّدَى وَالْهَدَى وَالْبُعْدِ فِي الْيَمِّ
 أَحْدَاثُهُ عَنْهُمْ تَخْبِرُكَ عَنْ رِمَمٍ^(٦)

روينا عن عبد الله بن مصعب الزبيري^(٧) أنه قال : خرجنا إلى النزو زمن

(١) في : ه : بادى .

(٢) في ١ : أم الفواضل .

(٣) ١ : للخدم .

(٤) ١ : يلبسه .

(٥) ١ : الحزم .

(٦) ١ : أمم .

(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي ، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولي اليمامة أيام الخليفة المهدي ، ثم ولاء الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن تولى بالركة سنة ١٨٤ .

مروان بن محمد حتى إذا كنّا ببعض الطريق أصابنا مطرٌ وابل ، قلنا إلى قصر رفع^(١) لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبي وأمي ! من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصُّعداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذا سَكَنٍ بالشَّامِ يَأْلَفُهُ فَإِنَّ فِي غَيْرِهِ أُمْسَى لِي السَّكَنُ
وإنَّ ذا القصر حَيٌّ مابِه وطني لَكُنْ بِمَكَّةِ أُمْسَى الْأَهْلُ وَالْوَطَنُ
من ذا يسأل عَنَّا أين منزلنا فَأَلْفُجُوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَرِينُ
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ صَفْوًا مَا يَكْدُرُهُ ضِعْنُ الْوُشَاةِ وَلَا يَنْبُوتُنَا الزَّمْنُ^(٢)

قال : فضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفنا راجعين ، أخذنا المساء عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثمَّ حاجة . فقال : وماهي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، والله لو كانت حية ما مضيت إلّا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفًا على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه مكة^(٣)

(١) في ١ : وضع .

(٢) الأبيات للعارف بن خالد المخزومي ، انظرها في الأغاني ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث في الكامل ١٧/٢ ، والرواية فيه وفي ١ : من كان يسأل عَنَّا أين منزلنا ، والأفجوانة : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز في عصره ، وبعد أول من صنف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل من موالى قريش ، مكي المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٣٠٥/٤) .

رضي الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركه ، قال : فلما نزلت عليه رجب بن وسهل ، وقال : ما أقدمك هذه المدرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاقت ذرعي فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمت خير مقدم ، يُنقى دينك وتنصرف محبورا إلى وطنك . قال : فأقت عنده شهورا في أحسن مشوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوما إذ رأيت الناس يتأهبون إلى الحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبدة ، وحننت نفسي إلى الوطن ، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناى بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة الحج ^(١) ^(٢) والخروج إلى مكة ^(٣) فذكرت أبياتا لعر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى . قال : وأى أبيات عمر هي ؟ فقلت : قوله ^(٤) :

(١) هيات من أمة الوهاب منزنا إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجيادا فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن ^(٥)
بل مانسيت غداة الخيف ^(٥) وموقفي ، وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن ^(٦)

(١) في : يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من أ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٢٦/٢ . وانظرها مع القصة في الأغاني ١١١/١ .

(٤) ساقط من ح . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن بهما حين نزل مكة

ربط فيه جواده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢١٣/٢

(٥) الخيف : موضع بجن .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بِاللهِ قولى له فى غير مَعْتَبَةٍ : ماذا أُرِدْتُ بِطول المكثِّ فى اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا فما أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ من ثَمَنِ

فَقَالَ : أَتَعَزَّمُ عَلَى الرِّحِيلِ وَالرَّجُوعِ إِلَى وَطَنِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : صَحْبَتِكَ
السَّلَامَةُ ، وَرُزِقْتَ الْعَافِيَةَ . وَخَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِ فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَوْضِعِي ، حَتَّى سَبَقَنِي
خَمْسَةُ عَشَرَ بَغْلًا عَلَيْهَا عَصَبُ الْيَمَنِ ^(١) ، وَدِرَاهِمٌ ، وَضُرُوبٌ مِنَ الْخَيْرِ ، فَقَصَصْتُ دِينِي
وَتَأَثَّلْتُ مِنْهُ كَنْزًا ^(٢) مِمَّا بِيَدِي الْيَوْمَ .

(١) نوع من الغزل اليمنى مشهور .

(٢) فى ١ : كَثِيرًا .

باب مدح منالفة^(١) الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمَى وَيُصَمَّ » .

قال وهب بن منبه : العقل والهوى يعطران ، فإيهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دُرَيْد :

وَأَفْقَهُ الْعَقْلُ الْهَوَى فَنَ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيان الثوري : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعَصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٢)

(١) في ١ : باب ذم معالفة ... الخ .

(٢) انظر البيت في السكامل ٢٣٦/١ ، محاضرات الأدباء ٢٥٤/١ ، وورد في البيان ١٦٩/٣ برواية مختلفة هي :

إِذَا مَا أَمَلْتَ النَفْسَ مَالَ بِكَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ ..

قلت^(١) : لو قال :

إلى كل ما فيه عليك مقال^(٢)

كان أبلغ وأحسن .

قال بعض الحكماء : إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنع ما شئت .

قلت^(٣) : لو قال اعص الهوى لاكتفى .

قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن^(٤) إلا ذمه .

قيل لشريح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبي وهواي ؟

قال بزرجهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوقة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

(١) في ح : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من أ .

(٣) في أ ، ح : قال أبو عمر .

(٤) أ : في كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيثَ كانتَ وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ^(١)
أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي ،
حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ، حدثنا مخلد بن حسين ، حدثنا هشام
ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينا عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع
امرأة وهي تقول :

هل من سبيلٍ إلى حمير فأشربها أم من سبيلٍ إلى نصر بن حجاج

فلما أصبح قال : علي بن نصر . فجاء به ، فإذا هو أجهل الناس ، فقال : إنها المدينة
فلا تسأكني فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عم له ، هو أمير البصرة ،
فبينما هو جالس مع ابن عمه وامراته ، إذ كتب في الأرض : إني لأحبك حباً لو
كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلك . فقرأته وكتبت تحته : وأنا . وكان
الأمير لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفاً عليه إناءً وقام وبعث إلى من
يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجيء إليه ، ومرض حتى سلّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر
الأمير بذلك ، فقال : اذهبي إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلا ذهبتِ إليه
وأسندته إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئاً ، فصعدت

(١) انظره في عيون الأخبار ٦٦/٢ .

إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته ، فأفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :^(١) الأمير مجاشع بن مسعود السلمي ، وامراته الخضراء^(٢)

^(١) قال إبراهيم بن عثمان : وأخبرني محمد بن كثير ، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضي الله عنه :

لعمري لئن سيرتني وحرمتني وما جئت ذنباً إن ذا الحرام^(٢)
ومالي ذنب غير ظن ظننته وفي بعض تصديق الظنون أثام^(٣)
أأن غنت الذلفاء يوماً بمنيّة وبعض أمانى النساء غرام^(٤)
ظننت بي الأمر الذي لو أتيتّه لما كان لي في الصالحين مقام^(٥)

(١) ساقط من ١ ، هذا وقد ذكر في الأغاني ١٩ / ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبي أرهر الزهرانية ، وفي هاش عيون الأخبار ٤ / ٢٤ أورد ما جاء في تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبي أزيهر الدوسي زوج مجاشع بن مسعود السلمي أمير البصرة ، وقال وفي تزيين الأسواق لداود الأنطاكي أنها شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر ، وكانت مع أجمل النساء وعلى أى حال فقد اتفقت الروايات على أن اسمها شميلة فعلم ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة في المراجع السابقة وفي المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لا يخرج في مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٣ / ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصاً غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلاً ، أى حادث الذي وما سبقه ، أما الجزء الثاني وأبيات نصر التي كتبها إلى عمر فشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات في العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعاً .

(٢) في العيون : لعمري إن . وفي اصيرتني .

(٣) في العيون : ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي في الذي كلام

وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِيزَتِي وَأَبَاءُ صِدْقٍ صَالِحُونَ كِرَامٌ^(١)
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَبَيْتٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٌ^(٢)
فَهَاتَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتِ رَاجِعِي فَقَدْ جُبَّ مِنْي غَارِبٌ وَسَنَامٌ^(٣)

قال بعضُ الحكماء: الهوى عدوُّ العقل، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرَك من
تشاوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعي، وأظنه لسهل الوراق :

إِذَا حَارَ ذَهْنُكَ فِي مَعْنِينَ وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الْهَوَى^(٤) وَالصَّوَابُ
فَدَعْ مَا هَوَيْتَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يَعْابُ

قال غيره: اغتَنَمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا عَجَّلْتَ، وَمِنَ الْهَوَى مَا سَوَّفْتَ .

كان يقال: إِذَا غَلَبَ عَلَيْكَ عَقْلُكَ فَهُوَ لَكَ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ هَوَاكَ فَهُوَ
لَعْدُوُّكَ .

قال عمر لمعاوية: مَنْ أَصْبِرُ النَّاسُ؟ قال: مَنْ كَانَ رَأْيُهُ رَأْيًا لِهَوَاهُ .

(١) في العيون: تَسْكُرُمِي بدل حَفِيزَتِي، وسالفون بدل صَالِحُونَ .

(٢) رواية العيون: خَبَاؤُهَا وَحَالُهَا مِمَّ عَقَّة .

(٣) رواية العيون: وَقَدْ خُفَّ مِنْي كَاهِنٌ وَسَنَامٌ .

(٤) في ١: الْهَدَى .

قال أعرابي : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشدَّ فطام النفس عند الصبر .

قال نفطويه :

إِنَّ التَّـرَائِيَّ لَا تَرِيهِ لَكَ خَدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا
وَكَذَلِكَ نَفْسُكَ لَا تَرِيهِ لَكَ عِيُوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا^(١)

وعن نفطويه ، قال : تضيّف صديقٌ لى من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرّفث والخنا كان كمن اتخذ المزابل مجلساً ، وقلما يجن^(٢) رجل إلا هلك .

قال الشاعر :

الحُبُّ زُورٌ وَالْهَوَى بَاطِلٌ وَالْقَلْبُ مَا أَجْرِيته يَجْرِي
وَتَرَكُ مَا تَهْوَى يَسِيرُ إِذَا أَعْمَلْتَ فِيهِ سَعَةَ الطَّسْدِرِ
وقال منصور النمرى :

(١) لسب البيتان إلى منصور الفقيه في : محاضرات الأدباء ١/٧ ، وصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٠١ .

(٢) في ١ : سَخَف .

وإنَّ امرئاً أودى النِّرام^(١) بلبّه
لعريان من ثوبِ الفلاحِ سَلِيبُ
قال آخر :

عينُ الحبِّ كليلَةٌ عن عَيْبِ كلِّ فِتْيٍ يَوَدُّ
قال عمرُ بن أبي ربيعة :

حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ من تَوَدُّ^(٢)

وقال رَوْحُ أبو هَمَّام^(٣) :

وعَيْنُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عَيْبٍ وعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عن ذاك تَعْمَى
وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعَيْنُ الرِّضَا عن كلِّ عَيْبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عَيْنُ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا
قال أبو العتاهية :

والمرءُ يَعْمَى عَمَّنْ يَحِبُّ فَإِنْ أَقْصَرَ عن بَعْضِ ما بِهِ أَبْصَرَ^(٤)

(١) في : أودى المرام ، وفي ح : أزرى المدام .

(٢) عجز بيت ، وصدره .

فتضاحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ٤٥/١

(٣) انظر البيت في الحيوان ٤٨٨/٣ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو هام ، ولم أعر له على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت في الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْقِ النِّسَاءِ والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين ، أسلبَ لعقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئِلَ بعضُ الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد في صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحٌ جُمِلَ في الروح ، وهو معنى تنتجُه النجوم بطارح شعاعها ، وتنولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس بلطفِ خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصيقل للأذهان ما لم يُفِرط ، فإن أفرط عادسُ قاتلا ، ومَرَضاً مُنْهَكاً ، لا تنفدُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ، العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكرم ، وثمالة بن أشرس ، فقال المأمون ليحيى : خبرني عن حدِّ العشق فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانح تسنح للعاشق يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمالة : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمالة . فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكل أمقت^(١) لمح

(١) في ح : أنبتت .

نورٍ ساطع تستضيء به بواطن^(١) العقل قتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك الملح نور حاضر^(٢) بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا^(٣) .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عيناً قد درت ما فيها ، ويحنو على كبد قد أعت مداويها^(٤) .

ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوئى شربته النفس أيام شبابه ، فاستخفت بالماذلات^(٥) وعتابها .

وصف بعض الحكماء الهوى الذى هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظهر فكشف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والسكئون .

وقال بعض الأدباء : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب مملك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة^(٦) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والمقول وآراءها ، وأعطى عنان

(١) ~ : نواظر .

(٢) ~ : ويصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الخ .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد المفرد ٣١٧/٢ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال ... الخ

(٤) فى ١ : مداوئها .

(٥) ~ : بالماذلات .

(٦) ١ : جائرة .

طاعتها^(١)، وقادَ نصرفها، تواری الأبصار مدخله، ونغمض في القلوب مسلکها.

قال عباس بن الأحنف، فيما أنشدہ إسحاق الموصلي له.

فلو كان لي قلبانٍ عشتُ بواحدٍ وَخَلَّيْتُ قَلْبًا فِي هَوَاكَ يُعَذِّبُ
ولكننا أحيا بقلبٍ مُروِّعٍ فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يَقْرُبُ
تعلمتُ ألوانَ الرِّضا خوفَ سُخطها وَعَلَّمَهَا حَيَّ لَهَا كَيْفَ تَغْضَبُ
ولي ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانه ولكنْ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ^(٢)

والصِّمَّة^(٣) القشيري :

لعمري لئن كنتم على النَّأيِ والغنى بكم مثل ما بي إنكم لصديقُ
إذا زفَّراتُ الحبِّ صعدنَ في الحشى رُددنَ ولم يفتَحْ لهن طريقُ^(٤)

للعباس بن الأحنف^(٥) :

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أَسْلُكُهُ إِلَى الْحَبِيبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرِفُ

(١) ١ : زمام أعتنها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ١ : والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قره القشيري ، شاعر غزل ، بدوي ، من شعراء العصر الأموي ، ومن العشاق المتيمين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله في التزوج بتجربته ، ثم خرج غازيا يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغاني ١٢٦/٥ طبعة الساسي ، خزنة البغدادى ٤٦٤/١ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيهقي في أمالي القالي ٢٨/١ ، محاضرات الأدباء ٣٧/٢ ، ورواية الأمالي : كرر فلم يلاق ، ورواية المحاضرات : رددن ولم يوجد لهن . وفي ١ : يهيج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه في معنى بيت

عباس هذا :

أمرُ نَشِيطًا إِذَا زُرْتُكُمْ وَأَرْجِعُ كَسْلَانًا لَا أَنْشَطُ
وَسِيرُ الْمَطِيَّةِ مَا كَذَّبَنِي وَلَكِنْ هَوَى لَكُمْ مُفْرِطُ

وقال العباس بن الأحنف^(١) :

يَقْرُبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَالَجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

وله^(٢) :

مُتُّ عَلَى مَنْ غَبَتَ عَنْهُ أَمَفًا لَسْتُ مِنْهُمْ بِمَصِيبٍ خَلْفًا
لَنْ تَرَى قَرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا أَوْ تَرَى نَحْوَهُمْ مَنْصَرَفًا
قُلْتُ لَمَّا شَفَّيَ وَجْدِي بِهِمْ : حَسْبِيَ اللَّهُ لِمَا بِي وَكَفَى
بَيْنَ الدَّمْعِ لَنْ يُبْصِرَنِي مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا

ولمحمد اليزيدي :

أَتَيْتُكَ حَائِلًا بِكَ مِنْكَ لَمَّا ضَاقَتِ الْحِيلُ

(١) ديوان ٢٧٤

(٢) الديوان ١٤٠

وصيرني هواك وبى لحنى يضربُ المشلُ
فإن سلمت لكم نفسى فما لاقيته جَلالُ^(١)
وإن قتلَ الهوى رجلاً فإننى ذلك الرجلُ

كتب المهدى إلى الخيزران وهو بمكة :

نحنُ فى أفضل السُّرور ولكنَّ ليس إلّا بكم يتمُّ السُّرورُ
عيبُ ما نحن فيه يا أهلَ ودِّى أنكم غبتم ونحن حضورُ
فأجدوا المسيرَ ، بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياحِ فطيروا^(٢)

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفتَ من الشَّو ق فكدنا . وما فعلنا نَظيرُ
ليت أنَّ الرياحَ كنَّ يؤدِّي نَ إليكم ما قد يحنُّ الضميرُ
لم أزل صَبَّةً فإن كنت بعدى فى سُرورٍ فدام ذاك السُّرورُ

قال بعضُ الأدباء : ما أشدَّ جولةَ الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصَّبِّ^(٣) ،

لقد تصدعت كبدى للمحبِّين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججة

(١) ق ٥ : جدل ، والجلال : الهميم ، ويطلق أيضاً على العظيم ، صد .

(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الأدباء ١ / ٣٠٧ .

(٣) ق ١ : الصبر .

في أبدانهم ، لهم دموع غزيرةٌ على التَغَائِي ، كغُرُوبِ السَّوَانِي^(١) ، وأنشد :

سقى الله أطلالاً لليلي وشققت
عليهن من غرّ النمام جُيُوبُ
فما تقشعرُّ الأرضُ إن نزلتُ بها ولكنها تُزهِى بها وتطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُكُ نأيُها
بلى كلُّ ماشفٍّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ الهينُ أن تكثرَ البكا
ويُمنعَ منها نومُها وسُرُورُها^(٢)

وقال آخر :

فلو أن شَرَقَ الشَّمْسُ بيني وبينها
وأهلي وراءَ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قَطَعَ الأرضِ بيني وبينها
وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال الصَّهْبَةُ بن عبد الله القُشَيْرِي :

إذا ما أَتَتْنَا الرِّيحُ من نحوِ أرضِكم
أَتِينَا بريّاًكم فطابَ هُبُوبُها
أَتِينَا بريحِ المسكِ خالطَ عَنبراً
وربيعِ الخُزَامِي باكرتها جُنُوبُها^(٣)

(١) السَّوَانِي جمع سَانِيَة ، وهى الدلو العظيمة ، وغروبها ماؤها . وتذهب العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان في حساسة أبي تمام ١٢٦/٢ ، أمال القالي ٨٨/١ منسوبين لتوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ١ : يضير النفس بدل العين .

(٣) البيتان في الأغاني ١١٥/٤ .

وقال آخر :

نصاف قلبي الهوى فأكثر سهوى وجوى الحب مَفْطِيعٌ كلَّ حُلُو
لو عَلاَ بعضُ ما علانى ثَبِيرًا^(١) ظلَّ ضَعْفًا ثَبِيرُ من ذاك يهوى
من يكن من هوى الغواني خُلُوًا يا ثقاتي فإني غيرُ خُلُو

^(٢) قال العباس بن الأحنف :

جرى السَّيْلُ فاستبكَنا في السَّيْلِ إذ جرى وفاضتْ له من مُقْلتي غُرُوبُ
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أننى أمرُ بوادٍ أنتِ منه قريبُ
يكون أجابًا قبلكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيِّبكم فيطيبُ
أيًا ساكنى شرقى دجلة كلُّكم إلى القلبِ من أجل الحبيب حبيبُ^(٣)

قال بعضهم : لو لم يكن في العشق إلا أنه يشجع قلب^(٤) الجبان ، ويسخى كف
البخيل ، ويصنِّق ذهن النبي ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عزُّ الملوك ، وتصرَّعُ
له صولة الشجاع ، وينقادُ له كلُّ ممتنع ، لكفى به شرفًا .

قال الأصمعي : سمعت أعرابيًا يقول : إذا تَرَمَّتْ هَتُوف الضحى^(٥) على الفصيون،

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .

(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات في الديوان ١٦ .

(٣) في ١ : القلب .

(٤) في ٢ : محبوب الرياح .

أرسلت الشُّنُون^(١) مياها إلى العيون ، فن ذَاد عينه عن البكا أورث
قلبه حزناً .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة^(٢) ، فأطمعت في نفسها ، فبعث
يستهدىها^(٣) طعاماً ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكره عليها ، بعثت إليه :
رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وجبك
لا أراه تجاوز^(٤) المعدة .

قال أعرابي من فزارة : عشقت امرأة من طيِّ ، فكانت تظهر لي مودة ،
فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من ريبة ، غير أني رأيت يياض كفها ليلة^(٥) ،
فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه ! لا تفسد ما صلح ، فأرفضت عرقاً من قولها ،
فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجل يكتُمُ بُغضَ المرأة أربعين يوماً ، ولا يمكنه أن يكتُم
حبها يوماً واحداً ،^(٦) والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوماً^(٦) ، ولا يمكنها أن

(١) في ١ : الشون ، والشُّنُون : مجازي اليرمع في العين .

(٢) في السكاك ١١/٢ : عشق أبو القمقام بن بحر السقا جارية حديدية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل أكثر .

(٣) في ٢ : لبيدتها .

(٤) في ١ : وجبك لايجاوز .

(٥) في ١ : في سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تسكتم بغضه يوما واحداً .

قال يوسف بن هرون^(١) :

دَقَّتْ مَعَانِي الْحُبِّ عَنْ أَذْهَانِهِمْ فَتَأَوَّلُوْهَا^(٢) أَفْبَحَ التَّأْوِيلِ
وقال كثير :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تَسْتَحِيلَنَا أَبَيْنَا وَقَلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ^(٣)
وقال حبيب :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا^(٤)
لعلي بن الجهم :

يَا سَائِلِي مَا الْهَوَى اسْتَمَعَ إِلَى صِفَتِي الْحُبُّ أَعْظَمُ مِنْ وَصْفِي وَمِقْدَارِي
ماء المدامع نَارُ الشوق تحمُرُهُ فَهَلْ سَمِعْتَ بَعَاءَ فَاضٍ مِنْ نَارٍ^(٥)

(١) الكندي الرمادي ، شاعر أندلسي عالى الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبي عامر ، ثم شاعت عنه أشعار في دولة الخليفة ورجالها بسجن ، وظل في السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر بتيمة الدهر ١/٣٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) في ح : فتأولوا .

(٣) البيت في الديوان ٣/٣١ هـ وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفي معاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إذا واصلتنا خلة كسى نزيلها ... عرضنا ، وفي العيون ٤/٢٨ : إذا واصلتنا ... كسى نزيلنا .

(٤) في ح : فتعكما ، والبيت في الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجنون في الحيوان ١/٤٠ ، ونسب لابن العثري في المقادير الفريد ٥/١٢٢ ، معاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) في أ : تخرجه بدل تحمُرُهُ ، وانظرهما في ديوانه ٣٢ ،

وقال أبو التاهية :

أَذَابُ الْهَوَى جَسْمِي وَلَحْمِي وَقُوَّتِي فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النَّضْوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى حَجَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُوٌ^(١)

وقال آخر :

أُسِرُّ الَّذِي بِي وَالذَّمُوعُ تَبُوحُ وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفَوَادُ قَرِيحُ^(٢)
وَبَيْنَ صُلُوعِي لَوْعَةٌ لَمْ أَزَلْ بِهَا أَذُوبُ اشْتِيَاقًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ

وقال الصِّمَّةُ الْقَشِيرِي :

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذَكْرِيكَ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ مَدَمًا
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعًا^(٣)

وَأَكْثَرُهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ^(٤) فِي هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُهُ^(٥) :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ^(٥) مِنْ لَيْلِي وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

(١) لم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

(٢) في ١ : جريح .

(٣) هذا البيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية في المراجع ، وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات ١٣/٥ أن ابن عبد البر وحده هو الذي ذكرهما مع هذه الأبيات في كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ١ . وانظر الأبيات للصمة في الأغاني ١٦٧/٢ ، حساسة أبي تمام ٥٤/٢ ، ٥٥ ، أمالي

الغالي ١٩١/١ .

(٥) في ٢ : قرارك .

فما حسنُ أن تأتيَ الأمرَ طائفاً^(١) وتجزعَ أن داعي الصَّبابةِ أنعمَا
 بكتِ عيني اليسرى^(٢) فلما زجرتها عن الجهلِ بعد الحلمِ أسبَلتَا معاً
 وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أنثني^(٣) على كبدي من خشيةٍ أن تصدَّها
 فليستْ عَشِيَّاتُ الحمى برواجعٍ إليك^(٤) ولكنْ خلَّ عينيكِ تدمعَا
 ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضاً تنسب^(٥) ، والأكثر
 أنها للصِّمَّةُ :

(٢) في - : الحمى .

(١) في - : عاشق .

(٣) في المباشرة : حتى وجدتني .

(٤) في ١ : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت في وفيات الأعيان ١١٣/٥ لابن الطرية ، ونسبت في المقيد الفريد ٣٣/٦ لابن المنيعة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس لابن عبد البر

صفحة

٣	تصدير
٧	مقدمة المحقق
٣٥	مقدمة المؤلف
٣٩	باب آداب المجالسة وحق المجلس الصالح
٥٤	باب حمد اللسان وفضل البيان
٦٠	باب ذم العى وحشو الكلام
٦٤	باب فى اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب ، وذم الغريب فى الخطاب
٧١	باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة
٧٣	باب من خطب فأرتج عليه
٧٥	باب حمد الصمت وذم المنطق
٩٠	باب من مزدوج الكلام
٩٤	باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة
١٠٧	باب الأدب
١١٥	باب ترويح القلوب وتذبيها
١١٧	باب قولهم فى وصف العيش وما تتمناه النفس
١٢٨	باب اختلاف الهمم فى أنواع المال
١٣١	باب التجارة

صفحة

١٣٧	باب الرزق
١٥٢	باب الحرص والأمل
١٦١	باب ذم السؤال وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال
١٧٥	باب انظار الفرج
١٨٦	باب الحد والجد
١٩٥	باب المال حمداً وذمًا
٢٠٥	باب جامع القول في الغنى والفقر
٢١٥	باب الدين
٢١٧	باب الاقتصاد والرفق
٢٢١	باب السفر والاغتراب
٢٣٨	باب التحول عن مواطن الذل
٢٤٦	باب التوديع والفراق
٢٥٧	باب الزيارة والعيادة
٢٦٢	باب العيادة أيضاً
٢٦٥	باب الحجاب
٢٧٤	باب المصافحة وتقبيل اليد والقبول
٢٨٠	باب الهدية
٢٨٩	باب التجار
٢٩٥	باب الضيف
٣٠٢	باب المعروف
٣١٠	باب الشكر
٣١٧	باب في طلب الحاجات

٣٣١	باب السلطان والسياسة
٣٥٣	من الأمثال في السلطان ومحبتة
٣٥٥	باب الكتاب والكتابة
٣٦١	باب الظلم والجور
٣٧٠	باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ
٣٧٥	باب الغضب
٣٧٨	باب الرجاء والخوف
٣٨٣	باب العافية والبلاء
٣٨٦	باب المرض والطب
٣٩٣	باب الطاعة والمعصية
٣٩٧	باب الغيبة والتميمة
٤٠٦	باب البغى والحسد
٤٢٦	باب الغن والزكاة
٤٣٠	باب المراء والخصومة والملاحاة
٤٣٧	باب الكبر والعجب والتهيه
٤٤٩	باب الرأي والمشورة
٤٥٨	باب كتمان السر وإفشائه
٤٦٦	باب الحرب والشجاعة والجبن
٤٨٤	باب الاعتذار
٤٩٢	باب المواعيد
٤٩٨	باب عيون من المدح
٥٣٢	باب العقل والحق
٥٤٨	باب من أجوبة الحق ومراجعة السخفاء، وألقاظ النوكى والجهلاء
٥٥٦	باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح

صفحة

٥٦٥	باب المزاح إباحة وكراهة
٥٧٢	باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة
٥٧٩	باب الحق والباطل
٥٨٩	باب الحياء والوقار
٥٩٤	باب حسن الخلق وسوئه
٥٩٨	باب مكارم الأخلاق والسود
٦١٥	باب حمد الحلم وذم السفه
٦٢٣	باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل والنؤم
٦٤٠	باب المروءة والفتوة
٦٤٨	باب امتحان أخلاق الرجال
٦٦١	باب التودد إلى الناس
٦٦٩	باب الاستيحاء من الناس والفرار منهم
٦٨٤	باب الصديق والعدو
٧٠١	باب جامع متخير في الإخوان
٧٣١	باب الثقلاء والطفيليين
٧٤٣	باب الشبهة
٧٤٩	باب مؤاخاة من ليس على دينك
٧٥٦	باب الولد والوالد
٧٧٤	باب الأقارب والموالي
٧٨٧	باب المملوك والمالك
٧٩١	باب الذكر والثناء
٨٠٨	باب مدح ، مقابلة الهوى وذم اتباعه
٨١٥	باب معنى عشق النساء والهوى فيهن

